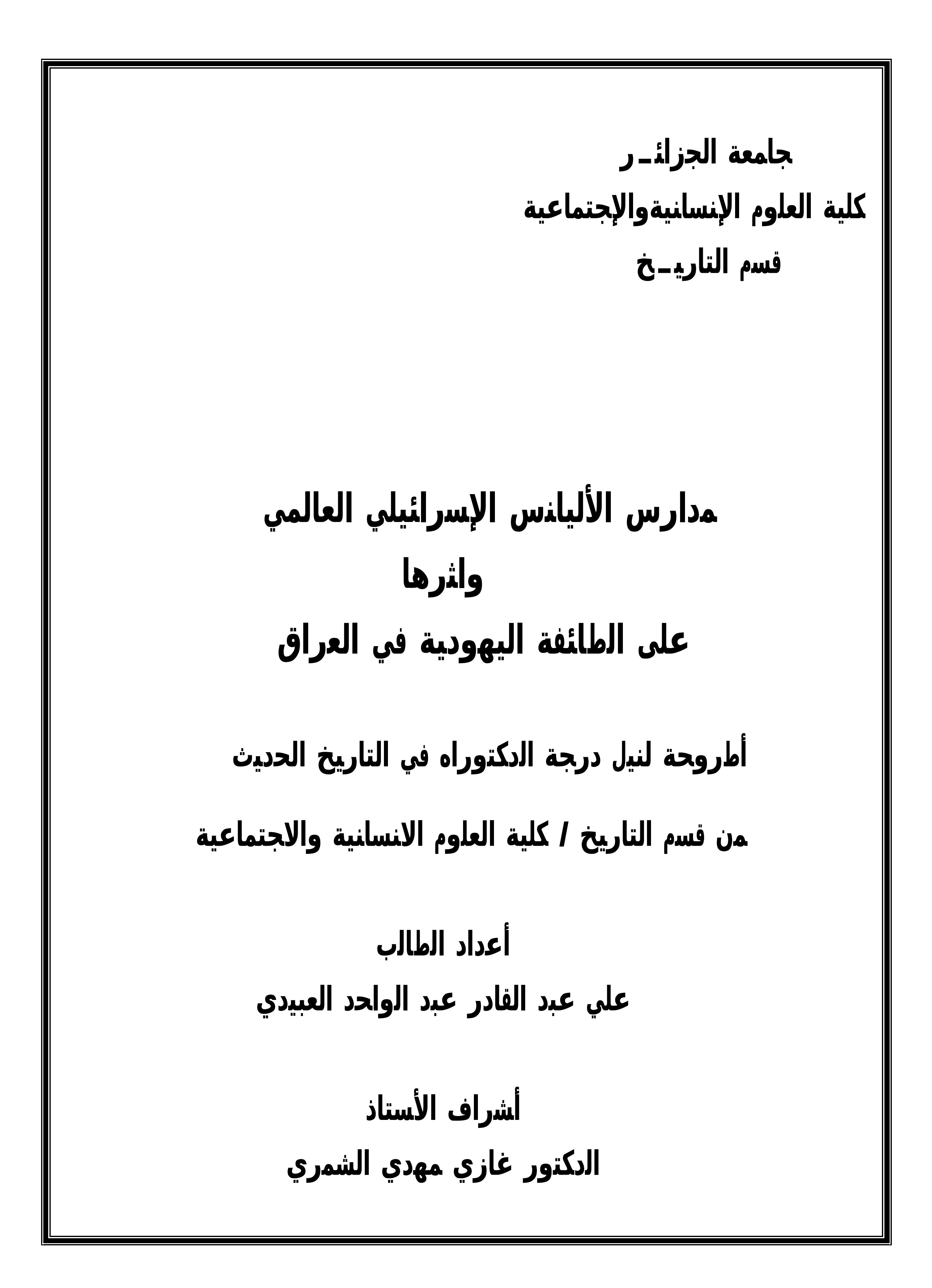


جامعة الجزائـر
كلية العلوم الإنسانيةوالإجتماعية
قسم التاريـخ

مدارس الأليانس الإسرائيلي العالمي
واثرها
على الطائفة اليهودية في العراق

أطروحة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث

من قسم التاريخ / كلية العلوم الانسانية والاجتماعية

أعداد الطالب

علي عبد القادر عبد الواحد العبيدي

أشراف الأستاذ

الدكتور غازي مهدي الشمري

السنة الدراسية 2003/2002

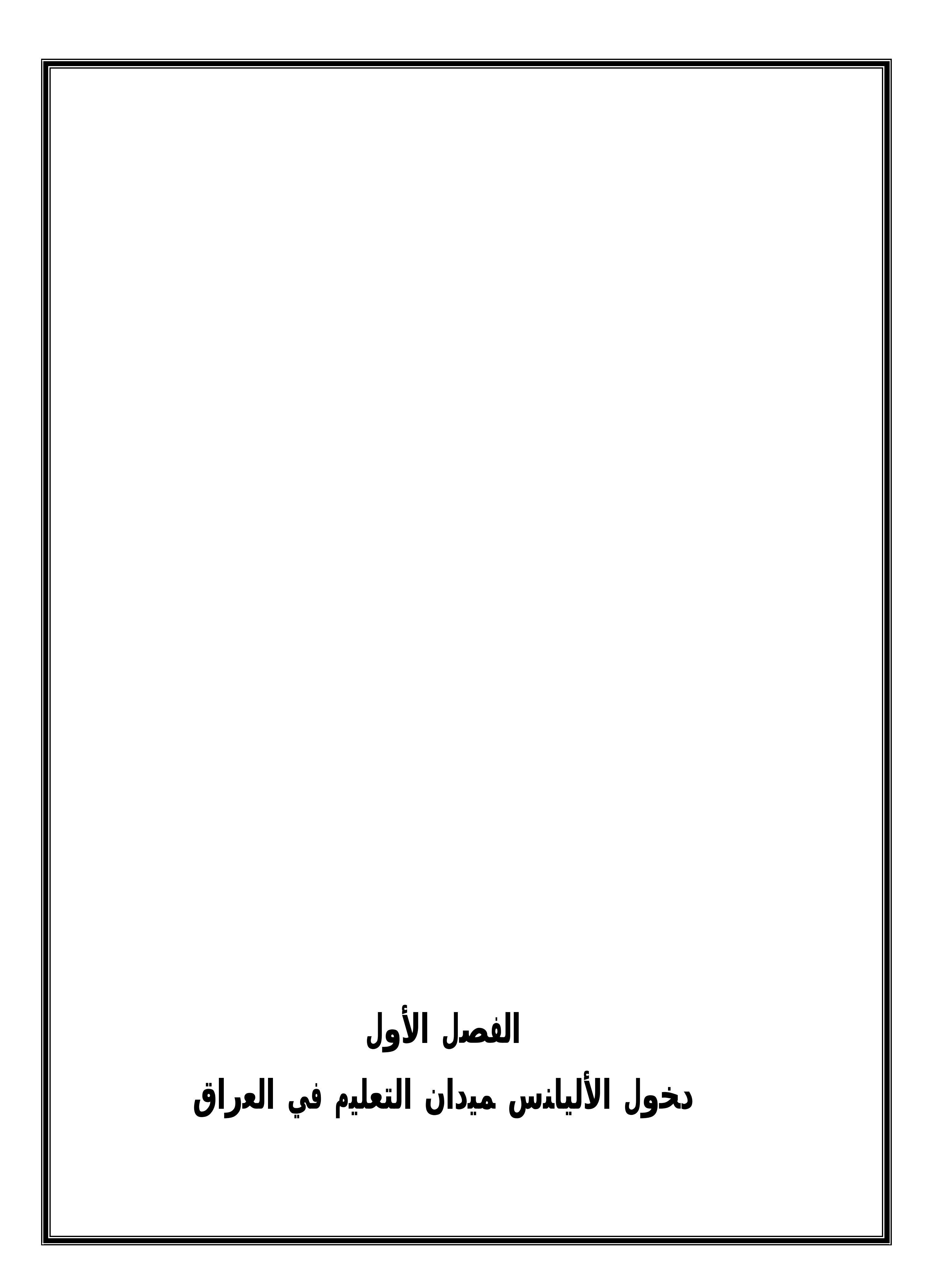
التمهيد

أوضاع التعليم في العراق

حتى منتصف القرن التاسع عشر

أولا: مراحل دخول التعليم الحديث العراق.

ثانيا: التعليم اليهودي في العراق حتى عام 1864م.



الفصل الأول

دخول الأليانس ميدان التعليم في العراق

أولا: لمحة تاريخية عن الأليانس الإسرائيلي العالمي.

ثانيا: دوافع أهتمام الأليانس بيهود العراق.

ثالثا: تأسيس أول مدرسة للأليانس في بغداد.

رابعا: الأهتمام بتعليم الفتيات .

الفصل الثاني

سياسة الأليانس التعليمية في العراق

(مرحلة الرسوخ والاتساع)

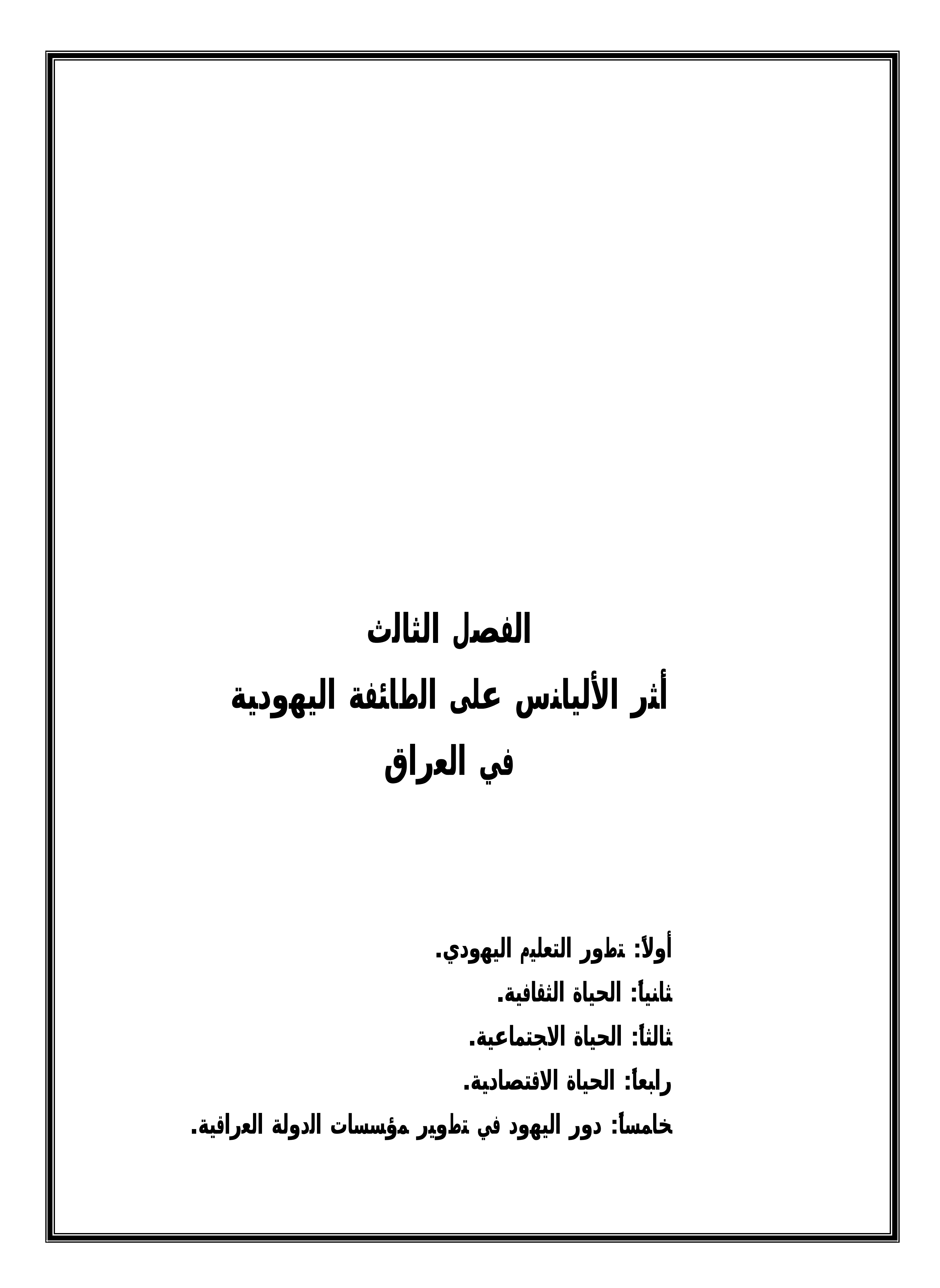
أولاً: أتساع قاعدة عمل الأليانس.

ثانياً: المناهج الدراسية.

ثالثاً: سير العملية الدراسية.

رابعاً: وسائل تمويل أنشطة الأليانس في العراق.

خامساً: موقف سلطات المعارف في العراق من نشاط الأليانس.



الفصل الثالث
أثر الأليانس على الطائفة اليهودية
في العراق

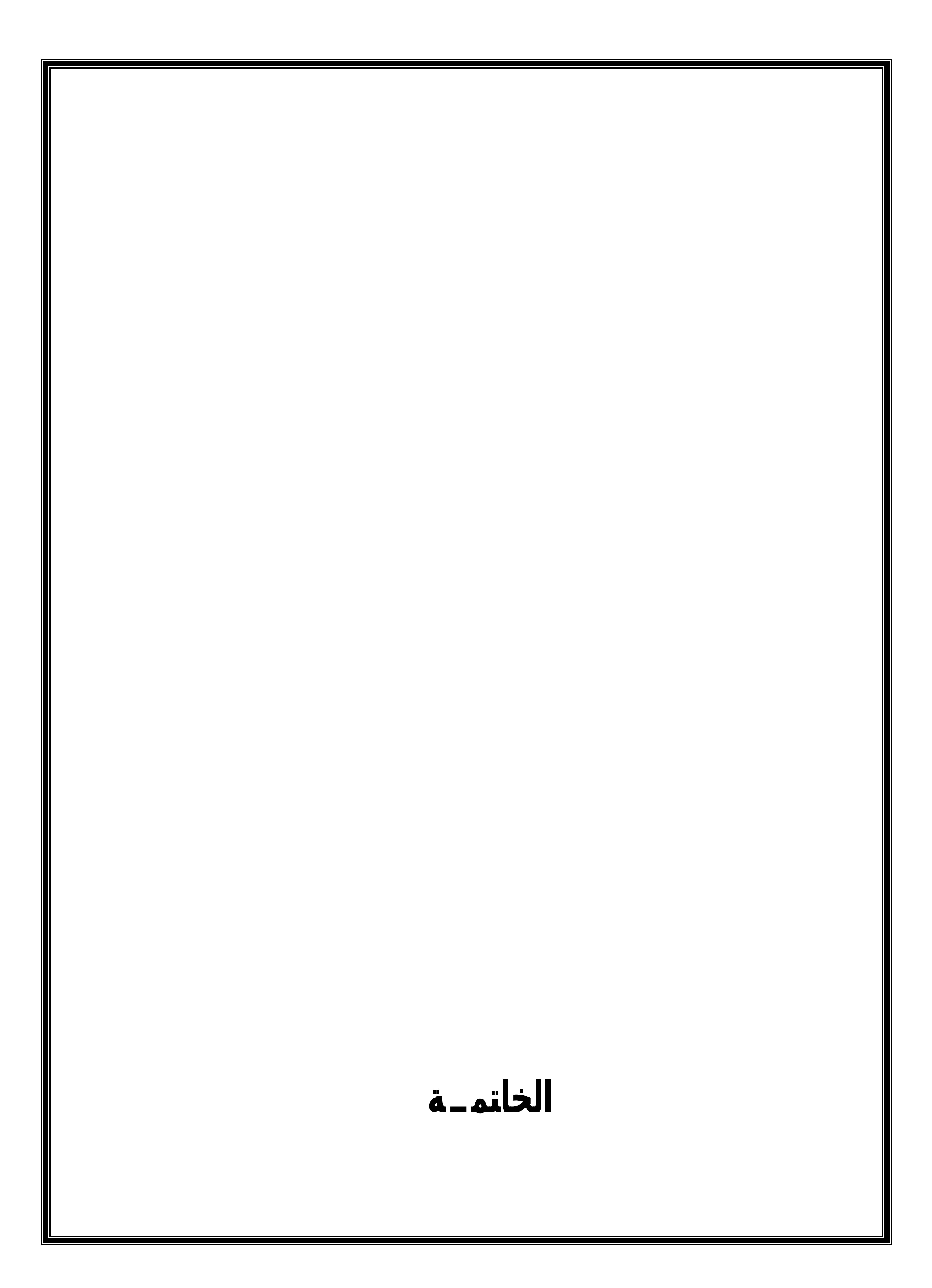
أولاً: تطور التعليم اليهودي.

ثانياً: الحياة الثقافية.

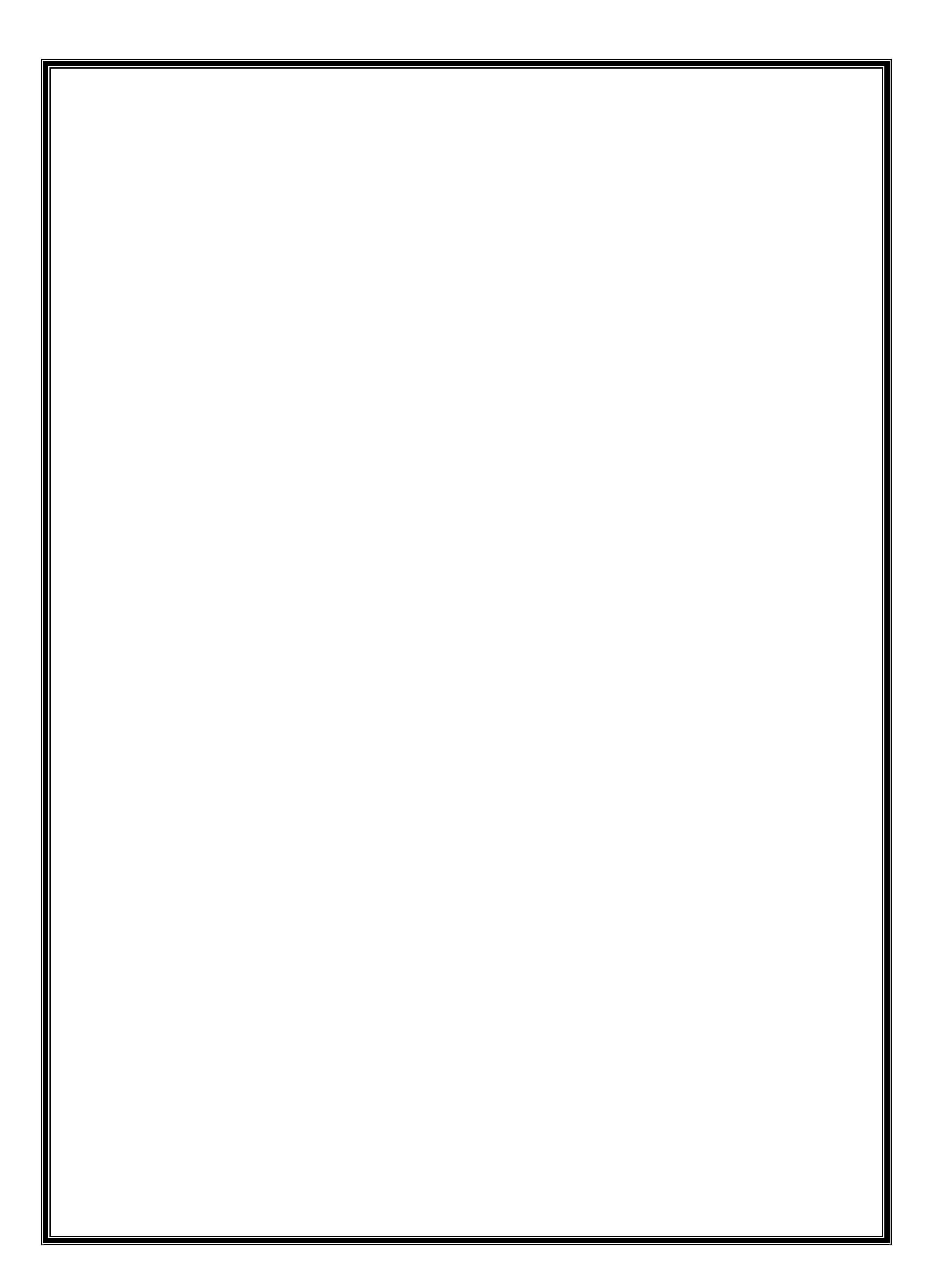
ثالثاً: الحياة الاجتماعية.

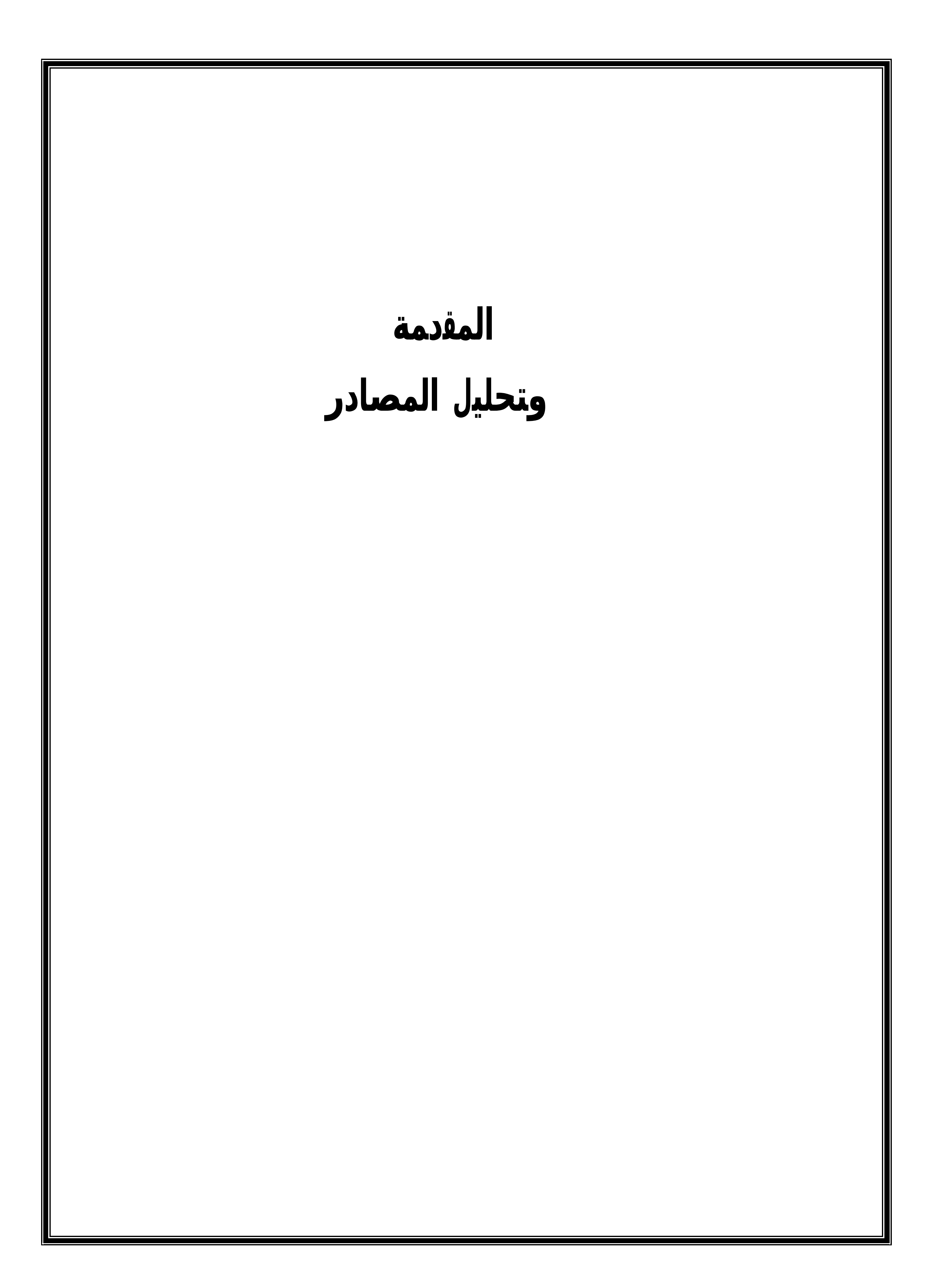
رابعاً: الحياة الاقتصادية.

خامساً: دور اليهود في تطوير مؤسسات الدولة العراقية.



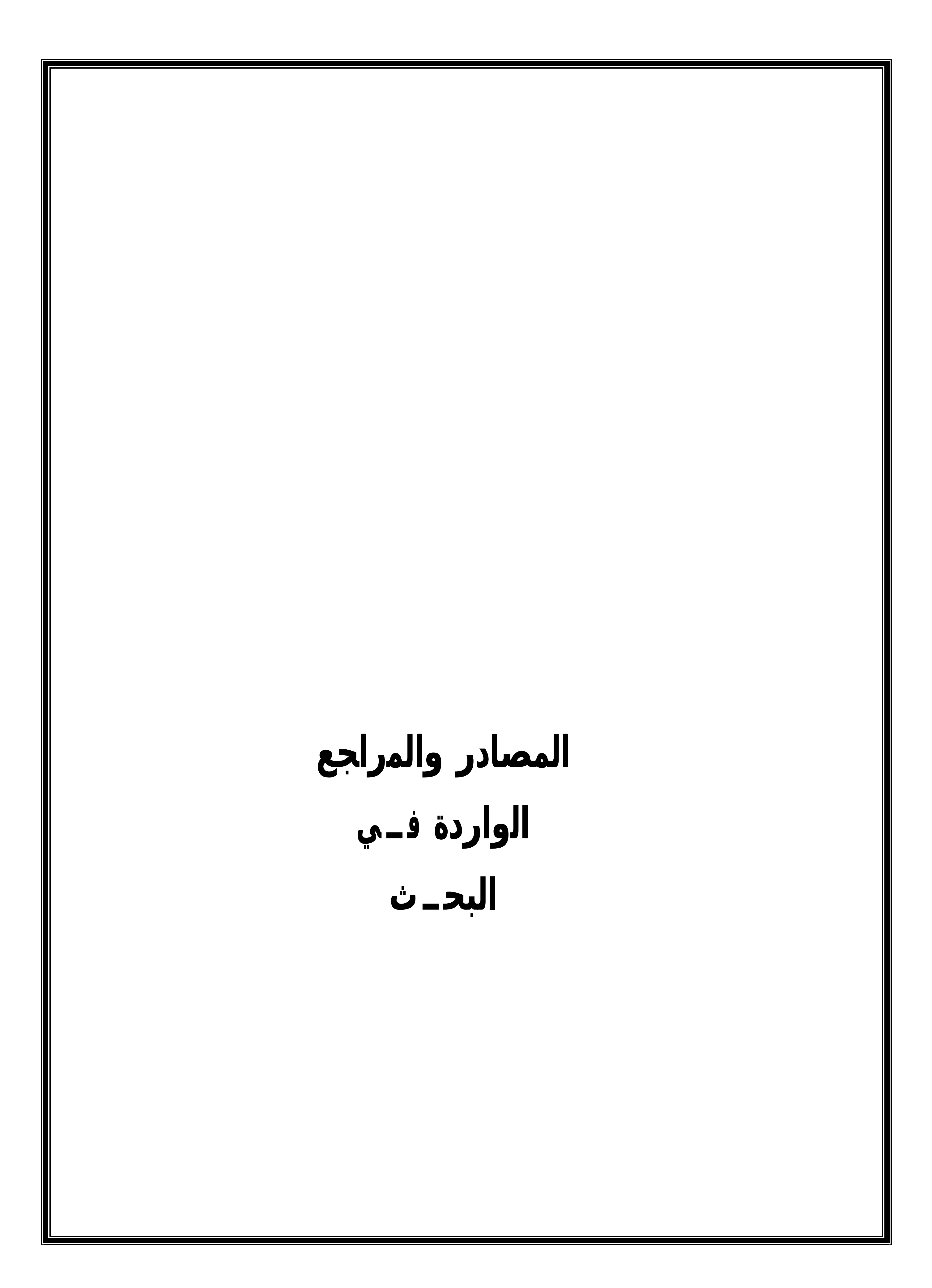
الخاتمـة





المقدمة

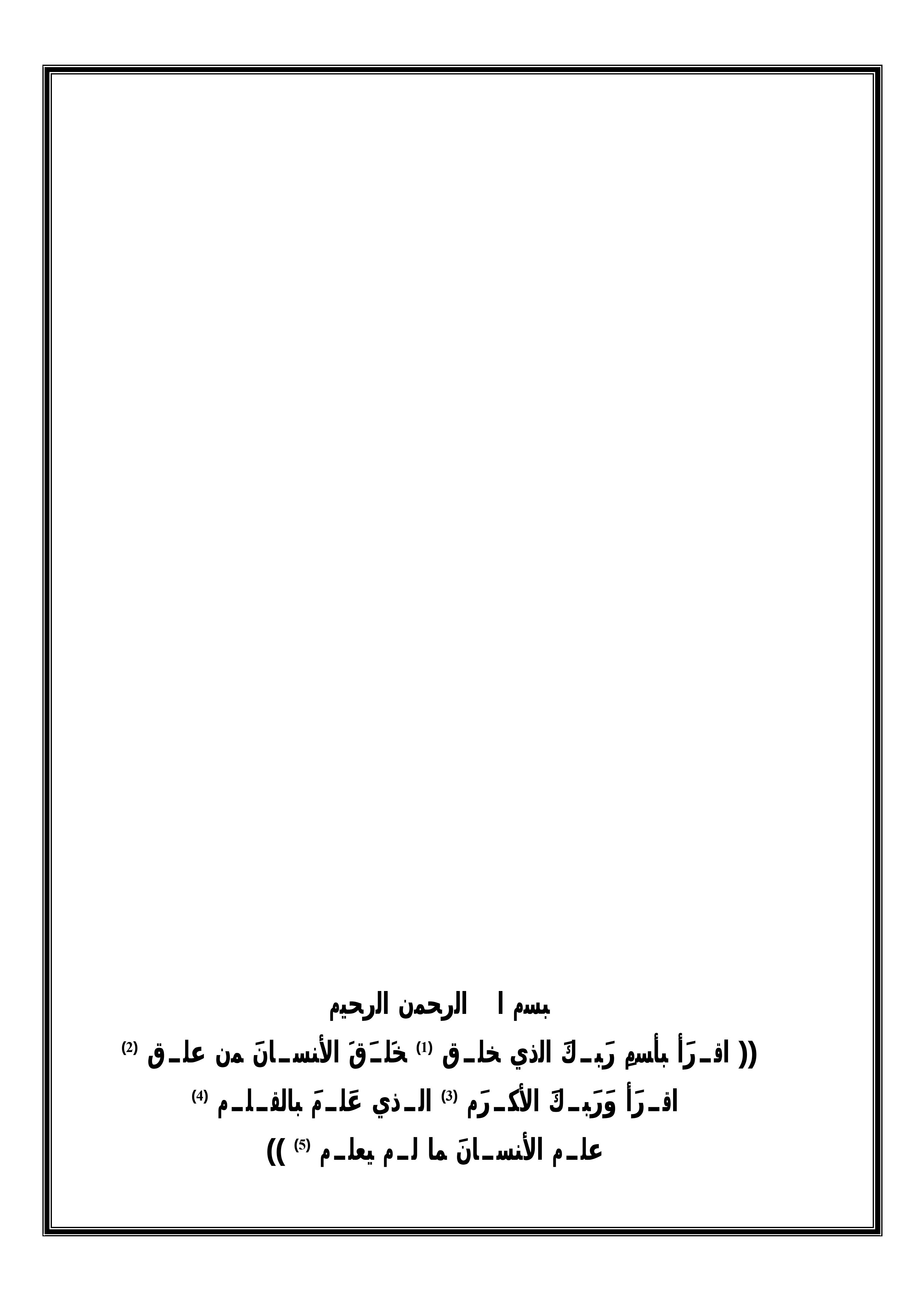
وتحليل المصادر



المصادر والمراجع

الواردة فـي

البحـث

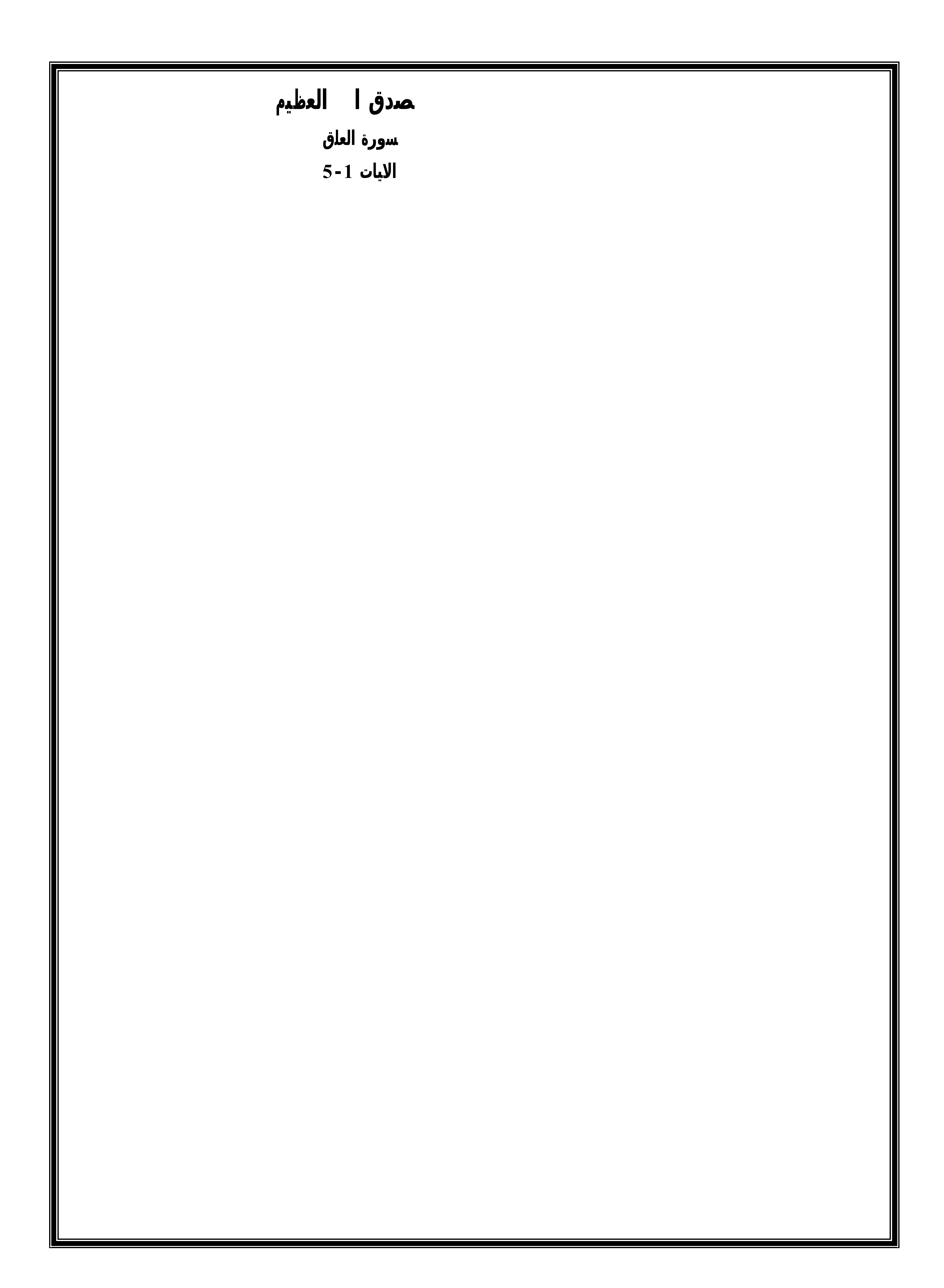


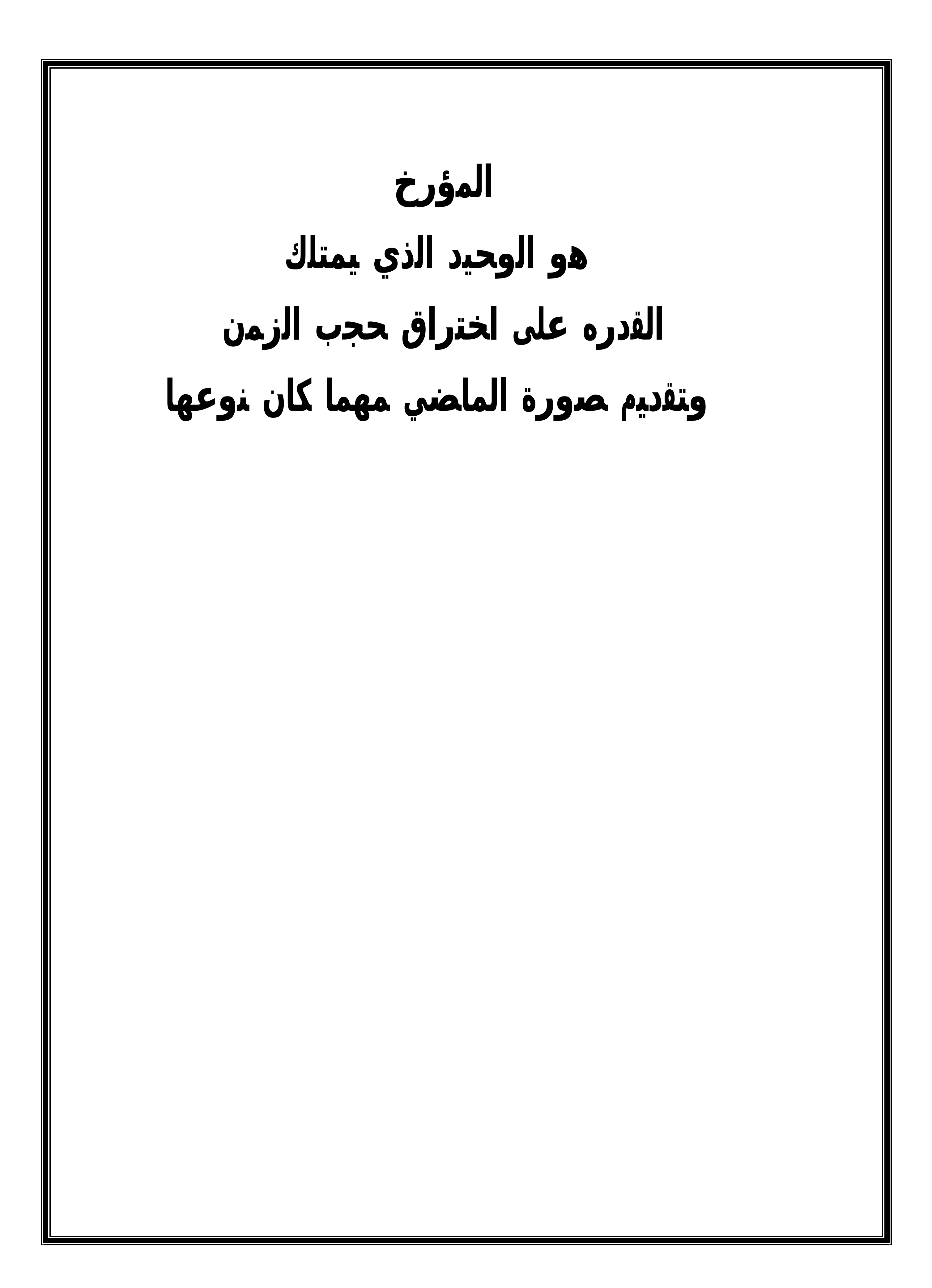
بسم ا   الرحمن الرحيم

((اقـرَأ بأسمِ رَبـكَ الذي خلـق (1) خَلـَقَ الأنسـانَ من علـق (2)

اقـرَأ وَرَبـكَ الأكـرَم (3) الـذي عَلـمَ بالقـلـم (4)

علـم الأنسـانَ ما لـم يعلـم (5)))


صدق ا العظيم
سورة العلق
الايات 1-5



المؤرخ

هو الوحيد الذي يمتلك

القدره على اختراق حجب الزمن

وتقديم صورة الماضي مهما كان نوعها

المختصرات المستعملة في البحث:

د.ك.و = دار الكتب والوثائق

م.و.د = ملفات وزارة الداخلية

م.و.م = ملفات وزارة المعارف

م.و.أ = ملفات وزارة الأعلام

F.O = Foreign Office
USNA = United States National Archive



الاهداء

- للذين ضحوا بأعز ما يملكون ... أرواحهم في سبيل قضايانا المصيرية، الأكرم منا جميعا ، شهداء الامة العربية في الجزائر وفلسطين والعراق.

ـ عائلتي في العراق .... والدتي، إخوتـي، أخواتـي وابناءهـ ـ ـم الاعـزاء .

ـ أستاذي المشرف .... الدكتور غازي الشمري.

اليكم جميعاً أهدي جهدي المتواضع هذا

علي العبيدي

شكر و تقدير

لا يسع الباحث و قد أنـهى بحثه، ألا أن يتقدم لأستاذه الجليل الدكتور غازي الشمري بخالص الشكر وعميق الامتنان لكرم خلقه بتفضله بالموافقة على الإشراف على الدراسة، ولتوجيهاته العلمية البناءة، التي أغنت الدراسة بالشيء الكثير. وكثيرا ما كانت كلماته الرقيقات تهون علي معاناة البحث الذي اخذ الكثير من الجسد.

وأتقدم بالشكر الجزيل للسيد رئيس قسم التاريخ / جامعة الجزائر الدكتور مسعود كواتي والسيد رئيس اللجنة العلمية في قسم التاريخ الدكتور بن خروف على موافقتهم واقرارهم لموضوع البحث، والأساتذة الأفاضل في القسم كافه. وبهذه المناسبة اشكر الجميع لجهودهم المتميزة في تذليل العقبات والمصاعب التي واجهتنا أثناء فترة إعداد هذه الدراسة.وما دام الشي بالشي يذكر فأنني اشكر الآنسه جميلة العاملة في فرع الدراسات العليا في القسم على تعاونها في تسهيل مهمة الباحث في إنجاز كافة الإجراءات الإدارية طوال فترة مكوثي في بلادي الثاني الجزائر.

وكذلك يطيب لي في هذه المناسبة أن أتوجه بالشكر والامتنان إلى السادة رئيس وأعضاء لجنة المناقشة المحترمين لتفضلهم بالموافقة على قبول ذلك. ولملاحظاتهم التي سوف تغني البحث بالشي الكثير لكي تخرج إلى القارى متكاملة الجوانب.

ولابد لنامن تقديم واجب العرفان والامتنان لكل من ساعدنا أو زودنا بالرأي العلمي والأدبي. ونخص بالذكر منهم، الأستاذ الدكتور كمال مظهر احمد ،الأستاذ الدكتور مناف نعمان عبد الغني، الذي زودنا بالترجمات الخاصة باللغة العبرية، والدكتور محمد الرميحي، والأستاذ الدكتور صادق حسن السوداني، والدكتورة هدى شاكر النعيمي مديرة مركز الدراسات الفلسطينية في بغداد، والدكتور كريم طلال، والأستاذ سعيد محسن السوداني، والأستاذ صالح حسن الجبوري، والأستاذ عبد الرضا حسين التميمي، والمهندس عماد عمرو، والسيد اياد عثمان لـهلوب، والسيد عز الدين بن حماده، والسيدة نضيرة جواد حسن. وكذلك أخص بالشكر والامتنان الأستاذ محمد عمرو لتجشمه عناء تقويم الدراسة لغوياً .

ومادمت بصدد شكر من ساعدوني في إنجاز هذه الدراسة ، فان الواجب يدعوني إلى عدم نسيان تلك المشاعر الجياشة التي أحاطني بها أهلي في العراق خلال فترة إعداد هذه الدراسة، والتي كانت تهون علي غربتي، وان كنت في وطني الثاني. وأخص منهم اخوتي باسم العبيدي وقاسم العبيدي، فقد كان كلامهما،عبر الهاتف، وقع البلسم على الجرح، فجزاهم ا مني خيراً.

كما أشكر الجهود المكتبية التي تقدمها المؤسسات الأكاديمية في العراق والجزائر والأردن، وأخص منهم مديرة قسم الإعارة في المكتبة المركزية/جامعة بغداد وموظفاتها حيث أبدين تعاونا قل نضيره. كما أود هنا أن أشيد بالتعاون الملحوظ التي قامت به مديرة الإعارة الأجنبية في المتحف العراق عندما زودتنا بالعديد من المصادر المهمة، والتي أغنت البحث. والمؤسسات البحثية كافة التي ساهمت في مد الباحث بماله علاقة بموضوع الدراسة، مما سهل من عملية إنجاز البحث .

وفي الختام نوجه كل التقدير والامتنان لحكومة الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية لتفضلها بمنحي زمالة دراسية غرض الحصول على شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث. وتمنياتي لشعب الجزائر بالتقدم والازدهار وتجاوز كل المصاعب أن شاء ا .

وا الموفق

الباحث

شكر وتقدير

أولاً: مراحل دخول التعليم الحديث العراق :

عاش العراق بعد سقوط بغداد عام 656 هـ/1258م، على أيدي المغول(**التتر**) بقيادة هولاكو، حقبة مظلمة شهدت تخلفاً علمياً واضحاً، وفقد ذلك البريق الثقافي والعلمي الذي شهده إبان حكم الدولة العربية الإسلامية(**حقبة الحكم العباسي**). واستمرت هذه الصورة المعتمة قروناً طويلة، ساهمت الغزوات التي تعرض لها العراق عقب الغزو المغولي في تسجيل الأمية أعلى معدلاتها- خاصة- بعدما تخلفت المؤسسات التعليمي[1].

لم يغير الاحتلال العثماني للعراق[2]شيئاً من حالة الفوضى والاضطراب في أوضاعه العامة، لكون العثمانيين قد عجزواعن دفع العراق في أخذ دوره في مسيرة التقدم والنهوض. وأصبح العراق رغم ما عرف عن ماضيه العريق في الحضارة والمدنية في حالة يرثى لها من التأخر العلمي والتقهقر الثقافي، وبقي محروماً من التجديد واقتباس الحضارة الى زمن طويل[3].

وان كنا لانُضيف جديداً، حال القول أن النظام التعليمي في العراق خلال العهد العثماني إلى منتصف القـرن التاسع عشر الميلادي كان قد اعتمـد على الموروث الثقافـي

(1) إبراهيم خليل احمد، **تطور التعليم الوطني في العراق 1869 – 1932**، بغداد، 1982، ص 26 – 29.

(2) خضع **العراق** للسيطرة العثمانية مرتين، **الأولى** في عام 1534م عندما دخل السلطان **سليمان القانوني** مدينة بغداد منهياً سيطرة الصفويين عليها. ولكن الأوضاع لم تستقر، إذ امتازت بكثرة الثورات والتمردات التي كانت تغذيها الدولة الصفوية، حتى تمكن الصفويون من استعادة سيطرتهم على بغداد من جديد عام 1622م. ولكن بعد سنوات قليلة تمكن السلطان مراد الرابع من طرد الصفويين، واستعادة سيطرة العثمانيين التي استمرت عليها حتى عام 1918م، وهي المرة **الثانية**. للمزيد من المعلومات ينظر/ علي شاكر علي، **تاريخ العراق في العهد العثماني 1638 – 1750م... دراسة في أحواله السياسية**، بغداد، 1985.

(3) كارل بروكلمان ، **الأتراك العثمانيون وحضارتهم**، ج4، ترجمة:نبيه أمين فارس ومنير بلعبكي، بيروت، 1950، ص 17.

العربي الإسلامي، أين كان التعليم قائما في المدارس الدينية[1] الملحقة بالجوامع والكتاتيب[2]. وكانت هذه المؤسسات تنتشر في كل أرجاء العراق[3]، واتصفت بكونها ذات اتجاه ديني صِرْف[4]. ولما أن جذورهذه المؤسسات التعليمية تعود إلى العصور الوسطى الإسلامية، فقد عجزت عن انتشال العراق من حالة التخلف والأمية التي كان يعيشها لكون عملها يقتصر على التعليم الديني البحت، لقد كانت تخلو من دراسة العلوم التي تعين صاحبها على مواجهة متطلبات الحياة المتغيرة باستمرار[5].

ومما زاد في ضعف التعليم وتخلفه في العراق، عدم اكتراث الدولة العثمانية التي عدته شأناً خاصاً وأمراً يقع على عاتق رعاياها، وان النهوض به أمرٌ ليس من اختصاصها. ولهذا اقتصر إنشاء المؤسسات التعليمية، السالفة الذكر، على الأعمال الخيرية وما يقدم من تبرعات وأوقاف لغرض سد نفقات هذه المؤسسات واستمرارها في نشاطها[6]. وتؤكد هذه

---

(1) عنيت **بغداد** منذ القرن الثاني الهجري بالمدارس الدينية التي أدت دوراً كبيراً في الحفاظ على اللغة العربية والتراث العربي الإسلامي. ومن بغداد انتشرت إلى باقي أرجاء الدولة العربية الإسلامية، وظل قسم منها مستمراً في عمله حتى بعد سقوط بغداد 1258م. ومن هذه المدارس، **مدرسة أبي حنيفة** التي تأسست عام 459هـ/1066م التي أنشأها **أبو سعيد المتوفى** الملقب بشرف الملك. للمزيد من المعلومات ينظر/ وليد الأعظمي ، **مدرسة الأمام أبي حنيفة تاريخها وتراجم شيوخها ومدرسيها**، بغداد، 1983.

(2) المقصود **بالكتاتيب** مؤسسات كانت تقدم نوعاً من التربية الشعبية لاسيما تلك الكتاتيب الملحقة بالجوامع والمساجد والتكايا والزوايا، التي أسست القاعدة للتعليم في الدولة العثمانية. وهذه الكتاتيب شيدها الأفراد والجماعات، وهي مفتوحة أمام عامة الشعب، وتركز على دراسة القرآن الكريم والقراءة والكتابة والحساب. وان غالبية القائمين عليها من المؤسسين لها. وكانت تقدم خدماتها على مدار الأسبوع باستثناء يومي الثلاثاء والجمعة، كما كان الأمر في العصر العباسي. ينظر/ بدر مصطفى عباس، **الحياة التعليمية في ولاية بغداد 1869 – 1909م**، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب/جامعة الموصل، 1997، ص 57.

(3) بلغ عدد الكتاتيب والمدارس الدينية في العراق في العهد العثماني **(300)** كتّاباً و**(149)** مدرسة دينية. ينظر/ صالح فليح حسن، **جغرافية التعليم الابتدائي في العراق، بغداد**، 1979، ص 53.

(4) عبد الرزاق الهلالي، **تاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني 1638 – 1917م**، بغداد، 1959، ص 124 – 125.

(5) إبراهيم خليل احمد، المصدر السابق، ص 29.

(6) عبد العزيز سليمان نوار، **تاريخ الشعوب الإسلامية**، بيروت، 1973، ص 157.

الحقيقة الإشارة التي وردت في وثيقة عثمانية معاصرة، تنص على:" **إن التعليم على الرغم من كونه أحد أسباب رقي الدولة ونهضتها، فقد أهمل في الديار العراقية** "[1].

ومن بداهة القول أن أوضاع التعليم في الدولة العثمانية لم تتغير إلا بعد اعتلاء السلطان **سليم الثالث** العرش العثماني (1789–1807م)، وشعوره بخطورة بوادر الانحطاط التي تعاني منها مؤسسات دولته في مختلف مجالاتها. فسعى في انتشالها مما هي فيه، حيث أمر بضرورة إدخال وسائل التحديث على مؤسسات الدولة، ومن ضمنها كان التعليم.

ففي مجال التعليم، صدرت الأوامر بإنشاء المدارس العسكرية على وفق النمط الأوربي[2]. ومن غير الخفي أن إنشاء هذه المدارس يُعَد أول دخول للأساليب الحديثة في مجال التعليم الرسمي في الدولة العثمانية.

ففي العام1837م، أسست أول هيئة رسمية للإشراف على التعليم في الدولة العثمانية، وذلك حالما صدر قانون تشكيل(**مجلس الأمور النافعة**). وقد حدد ذلكم القانون، أيضاً، مسؤولية الدولة في إنشاء المدارس[3]. ولكن العناية العثمانية في مراحلها الأولى اقتصرت على تأسيس مدارس عسكرية لغرض إعداد العسكريين، وتنظيم الجيش وفق متطلبات العصر الحديث[4].

ازدادت رعاية العثمانيين لتطوير مستوى التعليم وعده مدخلاً لرقي الدولة بأجهزتها المختلفة، وتقدمها، عقب إعلان التنظيمات العثمانية[5](1839– 1856م)[1]، أين وجد

---

(1) **سالنامة ولاية بغداد**، السنة 1310هـ / 1892م، ص 232.

(2) عبد الوهاب عباس القيسي، **حركة الإصلاح في الدولة العثمانية وتأثيرها في العراق 1839– 1877**، مجلة كلية الآداب/جامعة بغداد، العدد 3، السنة 1961، ص 112.

(3) إبراهيم خليل احمد،المصدر السابق، ص31– 32**؛**عبد الرزاق الهلالي،المصدر السابق،ص122– 124.

(4) عبد الوهاب عباس القيسي، المصدر السابق، ص112؛ إبراهيم خليل احمد، **حركة التعليم والتربية**، بحث منشور في كتاب (**حضارة العراق**)، ج 11، بغداد، 1985، ص 296.

(5) تستند هذه التنظيمات إلى مرسومين سلطانيين أساسيين، صدر الأول سنة 1839م، وعرف باسم(**خط كولخانة**). وصدر الثاني سنة 1856م، وعرف باسم(**خط شريف همايون**).ينظر/ ساطع الحصري، **البلاد العربية والدولة العثمانية**، بيروت، 1965، ص 87.

العثمانيون أن لا مفر من إدخال الأساليب الحديثة في تنظيم التعليم، فجرى افتتاح مدارس مختلفة في عاصمة الدولة[2].

بعد قرابة العشرين سنة، وعلى وجه التحديد في العام 1856م، أوقفت أنشطة (**مجلس الأمور النافعة**)، وشكلت وزارة (**نظارة**) المعارف العثمانية[3]، التي أصبحت المسؤولة عن وضع الخطط والأسس اللازمة لغرض إنشاء نظام تعليمي متكامل بمختلف المستويات[4].

غير ان اللافت للانظار، أنه، بالرغم من كل هذه الإجراءات والجهود التي بذلها سلاطين الدولة العثمانية في بناء نظام تعليم عثماني على وفق الأساليب الحديثة. لم نزل نجد تفاوتاً بين الطموحات العثمانية والتطبيق العملي لها. ومرده لما يأتي من الاسباب[5]:

1- بقي التعليم متخلفاً قياساً بما يحدث في أوربا.
2- تركيز سلطات المعارف العثمانية على التعليم الابتدائي متجاهلة تطوير التعليم الثانوي والعالي.
3- انحصار العناية بالمؤسسات التعليمية في العاصمة اسطنبول فقط دون غيرها.

أما فيما يخص ولايات العراق، فإنها نموذج للإهمال العثماني ،لاسيما في مجال التعليم، حيث بقيت الإصلاحات العثمانية ذات تأثير بطيء جداً في العراق. ولم تؤسس أول مدرسة رسمية حديثة في بغداد إلا في العام 1870م. ويعـود الفضل في ذلك إلى الوالـي **مدحت باشـا**(1869- 1872م)[6]. وحتى هذه الخطوة لم تر النور لولا تزايد أهمية الولايات العراقية بالنسبة للمصالح العثمانية بعد افتتاح قناة السويس، ومن دون ذلك تبقي الدولة العثمانية بعيدة عن العناية بهذه الولايات.

---

(1) إبراهيم خليل احمد، **تطور التعليم**، ص 32.

(2) مسارع حسن الراوي، **نحو استراتيجية جديدة للتعليم في العراق**، القاهرة، 1974، ص 11.

(3) **سالنامة نظارة المعارف العمومية**، السنة 1317هـ / 1899م، ص 23 - 25.

(4) إبراهيم خليل احمد، **تطور التعليم**، ص 32 - 33.

(5) **سالنامة نظارة المعارف العمومية**، السنة 1317هـ/ 1899م، ص25؛ عبد الرزاق الهلالي، المصدر السابق، ص 136 - 137.

(6) عبد الرزاق الهلالي، المصدر السابق، ص 137.

لم يكن لأفتتاح مدارس حكومية على وفق النظم الحديثة أثرٌ في إلغاء دور المؤسسات التعليمية التقليدية، إذ عاشت جنباً إلى جنب معها، بل يمكن القول أنها فاقتها أحياناً على أساس أنها لم تتأثر بالظروف السياسية التي عصفت بالدولة العثمانية، فضلاً عن بقاء التعليم الحكومي مقتصراً على أبناء الأسر الغنية وموظفي الدولة الكبار، في حين بقيت أبناء الشعب محرومه من التعليم الحكومي وتعاني من الجهل[1].

لقد ساهم الإهمال العثماني، ومحدودية المدارس الحكومية، وعجزها عن استيعاب كل الراغبين في الالتحاق بها، في ارتفاع معدلات الأمية والجهل في العراق، كما أنها كونت، في الوقت ذاته، حافزاً للإرساليات التبشيرية المسيحية للتغلغل داخل المجتمع العراقي لغرض تحقيق مآربها.

وعلى الرغم من الآثار السيئة التي تركتها الإرساليات التبشيرية في حياة المجتمع العراقي خاصة، والمجتمعات العربية عامة، إلا ما من بد من التأكيد على مساهمتها، بشكل أو بآخر، في إدخال الأساليب الحديثة في مجال التعليم. وكانت قد فتحت شبكة من المدارس الحديثة، قبل أن تفكر الدولة العثمانية في افتتاح أولى مدارسها في العراق. كما أن لا يمكن أن ننكر بأن المبشرين قد تَسَتَروا بالتعليم لتحقيق غايات كانوا قد أرسلوا من أجلها للمنطقة.

فعلى الرغم من تظاهرهم بالرغبة في نشر العلم بين الناس، وتظاهروا بالدين.الا أنهم في الحقيقة، كانوا يريدون، ومن أستخدمهم، الوصول عن طريق هذا النشاط الملغم إلى استعباد شعوب الشرق واستغلالها سياسياً واقتصادياً[2].

لقد تميز وجود الإرساليات التبشيرية في العراق ما بين أوائل القرن السابع عشر وحتى أوائل القرن العشرين[3]. وبانقسامها إلى مجموعتين. **الأولى؛** الإرساليات الكاثوليكية

---

[1] بدر مصطفى عباس، المصدر السابق، ص 61.

[2] مصطفى الخالدي وعمر فروخ، **التبشير والاستعمار في البلاد العربية**، بيروت، 1970، ط 4، ص 77.

[3] غانم سعيد العبيدي، **التعليم الأهلي في العراق بمرحلتيه الابتدائية والثانوية... تطوره ومشكلاته**، بغداد، 1970، ص 46.

التي يرجع وجودها في العراق إلى أوائل القرن السابع عشر[1]. حيث كانت تعمل تحت رعاية الكنيسة الكاثوليكية في روما وإشرافها. **والثانية؛** الإرساليات التبشيرية البروتستانتية التي جاءت أولى بعثاتها في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي. وقد عملت تحت رعاية التجمع التبشيري الديني البروتستانتي الإنكليزي وإشرافه[2]. تمكنت هذه الإرساليات من الحصول على موافقة الدولة العثمانية في السماح لها بتأسيس دير وكنيسة لممارسة طقوسها وشعائرها الدينية بكل حرية في الأماكن التي يقيمون فيها[3]، ومن خلال هذه المؤسسات بدأت الإرساليات التبشيرية أنشطتها بهدف نشر المذهب الذي تبشرله بين صفوف الطوائف المسيحية الموجودة في العراق من الأرمن والنساطرة والسريان والكلدان وغيرهم[4].

وكانت قد اتبعت هذه الإرساليات وسائل عدة للوصول إلى أغراضها، أذ استطاعت كسب بعض من ثقة الأهالي وتأييدهم من خلال فتح مستشفى أودور للأيتام والعجزة والمتشردين، وإتباع وسائل إعلامية مثل بيع الكتب وتوزيع المطبوعات الدينية والثقافية، هذا فضلاً عن إتباعها الوسيلة التي تعد أكثر خطورة من غيرها، ألا وهي التعليم[5]، حيث تمكنت طوال مدة عملها، لا سيما منذ منتصف القرن التاسع عشر، من اعتماد هذه الوسيلة بعد أن أعلنت الدولة العثمانية، وبشكل مبكر، بأن التعليم جزء من الأمور المرتبطة بالأديان والمذاهب غير المسلمة. وأعطت الحرية الكاملة لفتح المدارس الخاصة وإدارتها بالشكل الذي يرونه مناسباً من دون تدخل السلطات الحكومية في شؤونها مطلقاً. وعلى هذا الأساس طورت الإرساليات التبشيرية المدارس التقليدية الملحقة بالكنائس وحولتها إلى مدارس حديثة

---

[1] عماد عبد السلام رؤوف، **الحياة الاجتماعية في العراق إبان عهد المماليك 1749–1831**، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب/جامعة القاهرة، 1976، ص 722 – 723.

[2] سليمان الصائغ، **تاريخ الموصل**، ج3، بيروت، 1928، ص 50 ؛ الكسندر أداموف، **ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها**، ترجمة: هاشم صالح التكريتي، ج1، البصرة، 1982، ص 266.

[3] فرنسيس صائغيان، **تاريخ الأرمن الكاثوليك**، بيروت، 1964، ص 8.

[4] حنا خياط ، **الأقليات الدينية في العراق**، ج1، بغداد، 1929، ص 13.

[5] غانم سعيد العبيدي، المصدر السابق، ص 46 – 47.

ولغرض الإطلاع على الوسائل التي استخدمتها الإرساليات التبشيرية فـي العـراق، يمكن الرجوع إلـى /عبد الباسط عبد الصمد احمد الشاوي، **الغزو الأوربي للفكر العربي الإسلامي**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الشريعة/جامعة بغداد، 1987، ص 41 – 48.

ذات نظم ومناهج تعليمية حديثة مقتبسة من النمط الأوربي[1]. وقد تميزت مدارس الإرساليات التبشيرية بخصائص تربوية منها[2]:

1- أنها مدارس نظامية فيها سجلات مدرسية وصفوف وبرامج دراسية وامتحانات على وفق النمط الأوربي.
2- أدخلت في صلب تعليمها تدريس اللغات الأجنبية.
3- أدخلت في مناهجها الدراسية عدداً من فنون المعرفة الرياضية والطبيعية والاجتماعية.
4- الاهتمام بالنشاطات اللاصَفيةَ في مناهجها الدراسية، كالألعاب والمبادرات الرياضية ونظام الاجتماعات الخطابية.

ولانضيف جديدا ، اذا ما قلنا: لولا دعم الدول الأوربية لأنشطة الإرساليات التبشيرية لما تمكنت من تثبيت أقدامها واستمرارها في عملها، لأن هذه الدول وجدت فيها أداة من أدوات تدعيم نفوذها في العراق. فقد عدت فرنسا نفسها حامية للمذهب الكاثوليكي[3]،مما حَمَلَ الدولة العثمانية على إصدار المراسيم والإصلاحات الواحدة تلو الأخرى خلال القرن التاسع عشر لصالح الأقليات الأجنبية والطوائف المسيحية، التي أكدت جميعها ضمان حقوق الطوائف غير المسلمة وحريتها في المجالات الدينية والثقافية وغيرها من الأمور[4].

في المُحَصلة، كان لضعف الدولة العثمانية وتذبذب مواقفها من أنشطة الإرساليات التبشيرية سبباً مهماً في اتساع أنشطتها من دون معوقات[5]. ويبدو أن انشغالها بمشاكل أكثر أهمية من هذه المسألة[1]، هي التي جعلها تغض الطرف عنها[2].

---

(1) زكي صالح، **مقدمة في دراسة العراق المعاصر**، بغداد، 1953، ص 98 – 99.

(2) غانم سعيد العبيدي، المصدر السابق، ص 48 ؛ إبراهيم خليل احمد، **تطور التعليم**، ص 25.

(3) بيير دي فوصيل، **الحياة في العراق منذ قرن 1814 – 1914م**، ترجمـة: أكرم فاضل، بغداد، 1968، ص 146.

(4) عبد الكريم العلاف، **بغداد القديمة**، بغداد، 1960، ص 26 و 31.

(5) عماد عبد السلام رؤوف، المصدر السابق، ص 263.

واذا ما سأل المرء المصادر التاريخية لوجد أن أول ظهور للمدارس الحديثة في بغداد خاصة، والعراق على وجه العموم، يرجع إلى الربع الأول من القرن الثامن عشر،ذلك عندما أسست أول مدرسة تبشيرية وفق نمط التعليم الأوربي في عام 1721م، وهي مدرسة الآباء الكرمليين في بغداد. وقام بتأسيسها أحد الآباء الكراملة المدعو **عمانوئيل بايه**، اثناء تعيينه قنصلاً لفرنسا في بغداد[3]. درست فيها العلوم الصرفة والدروس الدينية إلى جانب اللغتين الفرنسية والعربية[4]. وكان معظم معلميها من الآباء الفرنسيين وبعض رجال الدين المسيحيين من الأهالي[5].

ولم تشهد بغداد افتتاح عدد كبير من المدارس التبشيرية إلا منتصف القرن التاسع عشر[6]،حال وجدت الجمعيات التبشيرية في هذا الميدان ما يحقق أهدافها أسرع من بقية الميادين الأخرى التي تحتاج إلى جهد مكثف. وأكثر من هذا، كانت بعض السبل لا تحقق الغرض المرجو من ورائه بالرغم من الوقت والجهد المستهلك فيها.

لقد ساهمت هذه المدارس التبشيرية بشكل أو بآخر في تنبيه وتزايد اهتمام اليهود في العراق للعمل من أجل افتتاح مدارس حديثة على غرار هذه المدارس، بما يعزز مكانة الطائفة اليهودية، لأنها هي الأخرى استفادت مما حوته مراسيم الإصلاح العثمانية من حقوق للطوائف غير المسلمة في الدولة العثمانية.

---

(1) انشغلت الدولة العثمانية بأزمتها الاقتصادية والظروف السياسية غير المستقرة التي كانت تمر بها، فضلاًعن تزايد التهديدات الخارجية، لاسيما وأن الدول الأوربية كانت تتسابق من أجل تحقيق أكبر كسب سياسي قبل احتمالات انهيارها.

(2) إبراهيم خليل احمد، **تطور التعليم**، ص 43.

(3) جميل موسى النجار، **التعليم الحديث في العراق 1869– 1918م... دراسة في أحوال النشأة وأبعاد الانتشار**، أطروحة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب/ جامعة القاهرة، 1986، ص 188.

(4) فيصل محمد الأرحيم، **تطور العراق تحت حكم الاتحاديين 1908– 1914م**، الموصل، 1975، ص 125 – 126.

(5) عبد الرزاق الهلالي، المصدر السابق، ص 202– 203.

(6) **أنظر جـدول رقـم (1).**

جدول رقم (1)

مدارس الطوائف المسيحية في بغداد[1]

اسم المدرسة	تاريخ التأسيس	الجهة المؤسسة	نوعها	جنسها
مدرسة اللاتين (القديس يوسف)	1721	الإرسالية الكرملية	ابتدائية	ذكور
مدرسة الأرمن الأرثذوكس	1790	طائفة الأرمن الأرثذوكس	ابتدائية	ذكور
مدرسة السريان الكاثوليك	1842	طائفة السريان الكاثوليك	ابتدائية	ذكور
مدرسة الكلدان الكاثوليك	1843	طائفة الكلدان الكاثوليك	ابتدائية ثم أصبحت رشدية عام 1875	ذكور

[1] جميل موسى النجار، المصدر السابق، ص 184– 190.

مدرسة اللاتين الأولى	1868	الإرسالية الكرملية	ابتدائية	ذكور
مدرسة اللاتين للأطفال	1875	الإرسالية الكرملية	روضة	مختلطة
مدرسة اللاتين الثانية	1877	الإرسالية الكرملية	ابتدائية	بنات
مدرسة الاتفاق الكاثوليكي الشرقي	1878	الطائفة الكاثوليكية	رشدية	ذكور
مدرسة اللاتين للبنات اليتيمات	1891	الإرسالية الكرملية	ابتدائية	بنات
مدرسة البروتستانت	1896	الكنيسة التبشيرية الإنكليزية	رشدية	ذكور
مدرسة البروتستانت	1898	الكنيسة التبشيرية الإنكليزية	ابتدائية	بنات

ثانياً: التعليم اليهودي في العراق حتى العام 1864م :

كانت لدى يهود العراق مدارس ذات بعد ديني، وحازت على شهرة واسعة بين أوساط يهود العالم عموماً. وشهدت ازدهاراً في نشاطاتها خلال عهد الدولة العربية الإسلامية كمحصلة للتفاعل الإنساني الذي يقره الدين الإسلامي مع أهل الذمة. ومن أشهر المدارس الدينية هذه، تبرز مدرسة نهردعه ومدرسة سورا ومدرسة بمباديه[1]. وحققت ازدهاراً تحت الحكم العباسي فغدت القبلةَ التي يقصدها اليهود من طالبي العلم من جميع أنحاء العالم. وكان الرئيس الأعلى لهذه المدارس يدعى (**الفون**)، ويعتبر المصدر الأعلى للفتاوى اليهودية لعموم العالم اليهودي، فضلاً عن كونه المسؤول عن تعيين القضاة اليهود في عموم العالم الإسلامي[2].

---

[1] يوسف رزق ا غنيمة، **نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق**، لندن، 1997، ط2، ص 109– 111.

[2] احمد سوسه، **العرب واليهود في التاريخ**، بيروت، 1975، ط2، 363.

بالاضافة الى عمله على ازدهار نشاطهن ساهم تسامح الدين الإسلامي مع الديانات السماوية الأخرى في إرساء أسس العلاقة بين اليهود والسلطة الحاكمة[1]، الأمر الذي فسح مجالاً واسعاً أمامهم، أي: اليهود، للمساهمة في حركة النهضة العلمية والفكرية التي شهدتها بغداد في عهد العباسيين، لاسيما في زمن خلافتي **هارون الرشيد والمأمون**. فقد عالج اليهود موضوعات مختلفة في مجالات العلوم الصرفة[2]. وساهم ذلك في ازدهار أحوالهم وتمكنوا من ارتقاء مراكز ذات تأثير في الدولة العربية الإسلامية[3].

لقد أحدث سقوط بغداد على أيدي **المغول** سنة 1258م انتكاسة وتراجعاً حضارياً شمل نواحي الحياة كافة. وترك بصماته على سكان العراق بما فيهم اليهود، حيث مر العراق بحقبة مظلمة وقلقة كانت تسودها الصراعات والتنافسات، الأمر الذي لم يترك أي فرصة للاستقرار فيه، مما ساهم في تراجع مستوى التعليم. وباءت أماني العراقيين بالفشل بعدما استبشروا خيراً بالعثمانيين واحتمالات عودتهم إلى سابق عهدهم[4].

أما يهود العراق، فقد أحدث الفتح العثماني تغييراً في أحوالهم وشكل بداية جديدة في حياتهم[5]، فقد تمتعوا بحرية ممارسة طقوسهم وتقاليدهم الدينية من دون خوف أو تدخل من جانب السلطات العثمانية، وحاول بعض حاخاماتهم إعادة إحياء مؤسساتهم الثقافية التي أفلت من قبل واستعادت نفوذهم على بقية الطوائف اليهودية في الشرق. وعلى هذا الأساس انبرى العديد منهم لنشر التعليم الديني بين أوساط الطائفة اليهودية في العراق. مما شكل بداية ظهور مؤسسات تعليمية، إن صح التعبير، تمتاز ببساطتها وقلة الخبرة التدريسية للقائمين عليها، عرفت باسم **الحيـدر**[6]، إلا أنها لم تتجاوز حدود التعليم الديني التقليدي المرتبط بدور العبادة[1].

---

[1] علي إبراهيم عبده وخيرية قاسمية، **يهود البلاد العربية**، بيروت، 1971، ص 45.

[2] يوسف رزق ا غنيمة، المصدر السابق، ص 45.

[3] احمد سوسه، المصدر السابق، ص 364.

[4] علي إبراهيم عبده وخيرية قاسمية، المصدر السابق، ص 45.

[5] خلدون ناجي معروف، **الأقلية اليهودية في العراق بين سنة 1921و1952م**، ج1، بغداد، 1975، ص 53 – 54.

[6] **الحيدر (Heder)**، كلمة عبرية تعني (**الحجرة**)، وهي مؤسسة لتعليم الأطفال أسس الديانة اليهودية وتعاليمها. وكانت تعد من أهم معالم التعليم اليهودي في شرق أوربا وآسيا. ويستخدم هذا المصطلح

ونظرا للأثر الذي تركه التعليم الديني اليهودي في تراجع مستوى حياة يهود العراق أذ اقتصر على جانب أحادي من التعليم ، كان لابد من إلقاء نظرة سريعة على أوضاع هذا التعليم ومراحل تطوره ، كي نتمكن من رسم صورة للتغييرات التي شهدها التعليم اليهودي فيما بعد .

1 – الحيـدر:

لم تظهر في العراق مدارس دينية يهودية ذات تأثير فعّال حتى بداية الثلث الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي. وقبل هذا التاريخ عجزت الحيدر عن القيام بدورها الفعّال في إحياء التراث الثقافي الديني لليهود في العراق. وتعود أسباب العجز هذا لافتقارها لقواعد عمل ثابتة في مجال التعليم. فإذا ما أخذنا بعين الاعتبار الهدف الأساس من نشوءها المتمثل في العمل على تعليم الأطفال اليهود قراءة وحفظ مقاطع من التوراة وكتب الصلاة والأدعية، وإذا ما توفرت الأجواء الملائمة للتعليم، وهي نادرة الحدوث، فإنه يجري ترجمة بعض الفقرات من التوراة إلى اللغة العبرية، علماً بأن يهود العراق كانوا يكتبون العبرية بحروف عربية[2]. أضف إلى ذلك، مشكلتي الفوضى والاكتظاظ اللتين كانتا صفتين متلازمتين للحيدر مما كان يربك سير التدريس فيه، فضلا عن غياب سياسة واضحة تحدد أعمار الطلبة الملتحقين به وقابلياتهم العقلية. وتتراوح أعمار الطلبة الذين يُقبلون ما بين 3–13 سنة. وهذا بطبيعة الحال، يشكل نقطة ضعف في إطار عمل الحيدر لأنه كثيراً ما كان يشغل القائم عليه بأمور بعيدة عن واجباته[3].

الآن للإشارة للمدارس الملحقة بالمعابد اليهودية.ينظر/عبد الوهاب المسيري وسوسن حسين، **موسوعة المصطلحات والمفاهيم الصهيونية (رؤية نقدية)**، القاهرة، 1974، ص 171.

[1] أنور شاؤول، **قصة حياتي في وادي الرافدين**، القدس، 1981، ص 50.

[2] David Solomon Sassoon, **A History of The Jews In Baghdad**, Latch Worth, 1949, P. 171.

[3] Monaf N. Abdul Ghani, **Iraqi School of Modern Hebrew Writers in Israel**,A thesis master of Arts, University of Manchester, 1982, P. 16.

ففي أغلب الأحيان، كان بيت الأستاذ[1] نفسه هو مقر الحيدر، علماً أن مساحته لاتَكْبُرُ مساحة الغرفة الأعتيادية، فضلا عن أنه يفتقر إلى أدنى الشروط الواجب توفرها في نجاح عملية التدريس. فالأطفال يجلسون على الحصر والمحظوظ منهم يجاس على مصاطب خشبية بلا مساند[2]. وفي أشهر الصيف الحاره كان يتم استخدام الفناء الداخلي للبيت كقاعة درس، كما أن الدراسة تتواصل طيلة السنة بلا انقطاع، ويبقى الأطفال في الحيدر، وأغلبهم من الذكور، سنوات عدة قد تصل إلى خمس سنوات[3].

يمتاز التعليم في الحيدر بكونه يجري شفاهاً. أي:أن الأطفال يرددون ما يقوله الأستاذ، ومن النادر جداً أن تجد سبورة لغرض توضيح الدروس عليها. وفي بعض الأحيان يقوم الأستاذ بكتابة حروف أو كلمات وأحياناً جملاً قصيرة في اللوح الذي يحمله الأطفال ليقوموا بعد ذلك بكتابتها عدة مرات، ومن ثم يقوم الأستاذ بتدقيقها. ونظراً لكثرة أعداد الأطفال، الذي يصل إلى أكثر من 50 طفلاً، لا يستطيع الأستاذ متابعة قدرات الأطفال المعرفية بشكل متساوٍ يسهم في تطوير هذه القدرات[4].

على الرغم من افتقار الحيدر للفائدة التي تصب في إطار إحياء التعليم الديني اليهودي في العراق، فقد كانت تشهد إقبالاً منقطع النظير من جانب الأسر اليهودية. ويمكن أن نعزو ذلك إلى أسباب دينية، وأخرى تتعلق برغبة اليهود في تعليم أطفالهم حتى لو كان تعليماً

---

[1] يطلق البعض على مسؤول الحيدر اسم (**الأستاذ**)، وأحياناً أخرى يطلق اسم (**الأسنة**)، والأخيرة كانت تطلق أحياناً على الحيدر نفسه. فيما يشير الباحث صالح محمد حاتم إلى أنه (**الأسنة**) هي المكان التي تتعلم فيها الفتيات فضلاً عن القراءة والكتابة وبعض أعمال الخياطة. للمقارنة ينظر/ داود سمره، **مذكرات داود سمره**، بغداد، 1953، ص 8 ؛ صالح محمد حاتم عبد ا ، **تطور التعليم في العراق 1945 – 1958م**، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب /جامعة بغداد، 1994، ص 170 .

[2] Sara Manasseh, **The Midrash Ben Ishhai**, In Internet:

www.Midrash.org/babyloniain/news letters/archive 09/page 2. Html.

[3] Nissim Rejwan, **The Jews of Iraq 3000 Years of History and Culture**, London, 1985, P. 189.

[4] Nissim Rejwan,op.cit,p. 89.

بسيطاً. وحتى بعد انتشار المدارس الحديثة عكف اليهود على إرسال أولادهم للحيدر أملاً في تعميق ثقافتهم الدينية، والتعود على أجواء الدراسة لحين بلوغهم السن القانوني الذي يؤهلهم للالتحاق بالمدارس هذه[1]. فضلاً عن ذلك، ساعد أغنياء الطائفة اليهودية في اتساع شبكة هذا التعليم البسيط عبر تقديمهم التبرعات المالية اللازمة لديمومة العمل فيها، بينما عكف البعض منهم على فتحها في بيوتهم ليتكفلوا بتوفير كافة المستلزمات التي تساعد أطفال العوائل الفقيرة على الانخراط بها والاستفادة منها، و بذلك أصبحت علامة فارقة في الأحياء التي يتواجد فيها اليهود في بغداد[2]. ولم يقتصر وجود الحيدر على بغداد فحسب، وإنما كانت منتشرة في كل التجمعات اليهودية كالبصرة والموصل وكركوك وغيرها من المدن، لم تكن هي– ايضاً- بأحسن حالاً مما كان موجوداً في بغداد، إن لم نقل أسوأ منها[3].

وفي إطار الحديث عن التعليم في الحيدر، لا بد من الإشارة هنا إلى التشابه الكبير بين هذا النوع من التعليم والكتاتيب الإسلامية من حيث الأهداف والغايات[4].ومن أوجه الشبه بين الاثنين، على سبيل المثال لا الحصر، العقوبة التي يتلقاها الأطفال المقصرون في واجباتهم أو المشاغبون منهم، حيث تعد (**الفلقة**) مصير كل طفل يخالف أنظمة الحيدر أو الكتاتيب الإسلامية، والفلقة هي عبارة عن ضرب بعصا الخيزران على ظهر أصابع اليد أو باطن القدم[5].

ختاماً يمكن وصف التعليم في الحيدر، بأنه تعليم بدون نظام ولا حافز يمكن الأطفال اليهود من الاستفادة منه، فهو غير ذي فائدة، وعاجز عن تطوير قابلياتهم بما يخدمهم مستقبلاً في حياتهم العملية. لذا لم يكن هناك ما يميز بين الأطفال الذين يدرسون في الحيدر والذين لم يدرسوا من حيث انعكاسه على قابلياتهم الذهنية. وأن كل ما يمكن ملاحظته مقدرتهم على حفظ ما تعلموه أثناء أداء الطقوس الدينية اليهودية ليس أكثر.

---

(1) حاييم كوهين، **النشاط الصهيوني في العراق**، ترجمة:مركز الدراسات الفلسطينية، بغداد، 1973، ص11.

(2) أفاريم نيمارق، **رحلـة إلى بلاد الشرق**، طبعة مزيدة ومنقحة بقلم إبراهام يعـ ري، القدس، 1947، ص 53. (**باللغة العبرية**).

(3) الكسندر أداموف، المصدر السابق، ص 236.

(4) إبراهيم خليل احمد، **تطور التعليم**، ص 26 – 27.

(5) Nissim Rejwan, op. cit., P. 194.

2 – مـدراش تلمـود تـوراه[*]:

شهد التعليم الديني خلال العقد الرابع من القرن التاسع عشر، وعلى وجه التحديد في العام 1832م [1]، قفزة نوعية عندما أسس أهرون حاخام موشي لاوي مدرسة كبيرة في بغداد عرفت باسم (**مدراش تلمود توراه**)[2] بقصد تطوير مستوى التعليم الديني في العراق[3]. ويمكن عد هذا المدراش نموذجاً مرتباً وموسعاً بشكل أفضل من الحيدر، حيث كان يتم تصنيف الطلبة حسب أعمارهم وقدراتهم الذهنية مع تخصيص معلم (**حاخام**) لكل صف دراسي[4].

ويعد المدراش أقدم مؤسسة ثقافية لليهود في بغداد، فضلاً عن كونه أكبر مؤسسة تعليمية دينية لليهود في العراق. ففي منتصف القرن التاسع عشر شهد المدراش تطوراً عمرانياً عندما تبرع اليهودي صالح منشي بالأموال اللازمة لهدم المبنى القديم وشراء دور

(*) تعني باللغة العربية (**مدرسة تعليم التوراة**).

(1) يخطأ الدكتور فاضل البراك في الإشارة إلى تاريخ افتتاح المدراش، حيث يذكر أنه في عام 1865م. الأمر الذي أوقع الكثير من الباحثين من بعد في ذات الخطأ. ينظر/ فاضل البراك، **المدارس اليهودية والإيرانيـة... دراسة مقارنـة**، بغداد، 1985، ط2، ص 27.

(2) **مدراش Midrash** مأخوذة من الكلمة العبرية (**درش**) أي استطلع أو بحث أو فحص أو محص. وتستخدم للإشارة إلى منهج في تفسير العهد القديم يحاول التعرف في معنى نصوصه لغرض الوصول إلى معانيه الخفية. أما **تلمود Talmud** كلمة مشتقة من كلمة (**لوميد**) العبرية التي تعني (**دراسة**) والتلمود هو أحد كنيس اليهود الدينية وهو عبارة عن موسوعة تتضمن الدين والشريعة والتأملات والتاريخ وغيرها. و **توراه Torah** كلمة مشتقة من (**تارا**) بمعنى الشريعة، وهي عبارة عن الأسفار الخمسة. للمزيد من المعلومـات ينظر/ عبد الوهاب المسيري وسوسن حسين، المصدر السابق، ص 141 و 143 – 144 و 360.

(3) David Solomon Sassoon, op. cit., P. 171;

خلدون ناجي معروف، **لمحات عن يهود العراق في العهد العثماني**،مجلة مركز الدراسات الفلسطينية، العدد 4 لسنة 1973، بغداد، ص 83.

(4) Nissim Rejwan, op. cit., P. 190.

مجاورة له في محلة التوراة لغرض إنشاء مبنى جديداً[1]، واحتوى على قاعات دراسية بلغت ثمانية عشر صفاً، بالاضافة إلى غرفة لإدارة المدراش وقاعة جلوس المعلمين ومخازن وبعضاً من الملحقات الضرورية إلى جانب كنيس كبير[2]. ومنذ ذلك التاريخ أخذ المدراش تلمود توراه يعرف باسم (**المدراش الكبير**) لضخامة المبنى الذي يشغله في بغداد[3]. وكثير ما كان يتم استخدام كنيس المدراش في المناسبات الدينية من جانب يهود المدينة[4].

اختلاف المدراش تلمود توراه عن الحيدر في كونه ما كان ملكاً شخصياً لأحد، أو يخضع لإدارة القائمين بالتعليم فيه. كما كان يقوم على أساس منضبط من حيث الإدارة ووحدة المناهج التعليمية عبر إدارة مركزية تفرغت للقيام بهذه المهمة. يساعدها في ذلك لجنة أشراف من جانب المؤسسة الدينية[5]، وهي مسؤولة عن توفير كافة المستلزمات التي تمكن المدراش من الاستمرار في عمله بلا أدنى معوقات[6]. وكانت هذه اللجنة تضم في عضويتها، خلال سنوات عملها، كبار الشخصيات الدينية اليهودية المعروفة، أمثال الحاخام **يوسف حاييم** والحاخام **إبراهيم عوبديا** والحاخام **شمعون أجسي** والحاخام **عبد ا سوميخ**[7]. ويعد اليهودي **إبراهيم الوكيل** أول مدير للمدراش[8]، واسندت الية مسؤولية تعيين المعلمين وطبيعة الدروس التي يدرسونها وتوزيع الطلبة على الصفوف وغيرها من الأعمال الإدارية الأخرى[9].

---

(1) Yitzhak Avishur, **Jews of Iraq in Recent Generations…Synagogues in Babylon**, In Internet: www.bsz.org/iraqijewis.htm.

(2) المجلس الجسماني الإسرائيلي(**لجنة المدارس**)، **تقرير عن المدارس الأهلية الإسرائيلية سنة 1950م**، بغـداد، 1950، ص 19– 20. سنشير إليه فيما بعد بـ(**تقرير عن المدارس الإسرائيلية**).

(3) **مجلة المصباح** (بغداد) العدد 32 في 1924/11/17.

(4) **دليل العراق الرسمي لسنة 1936**، بغداد، 1936، ص 732.

(5) Sara Manasseh, in Internet: www.midrash.org/babyloniain/newsletters/archive 09/page 3.html.

(6) إبراهام بن يعقوب، **موجز تاريخ يهود بابل من بدايتهم وحتى اليوم**، القدس، 1971، ص 105. (**باللغة العبرية**).

(7) Nissim Rejwan, op. cit., P. 190.

(8) **أنظر جدول رقم (2)**.

(9) Nissim Rejwan, op. cit., P. 196.

أما فيما يخص عملية تمويل المدراش تلمود توراه، فقد قامت على التبرعات والأوقاف التي تسجل لصالحه من قبل أبناء الطائفة اليهودية، حيث سجل الكثير من الأغنياء اليهود أوقافاً كانت كفيلة بتغطية نفقاته[1]. فعلى سبيل المثال أوقفت عائلة شلومو داود الكثير من الدكاكين والدور في بغداد كي تسد جزءا كبيرا من مصروفات المدراش[2]. ولقد تزايد حجم التبرعات والأوقاف بمرور الوقت هو الذي مكن المدراش من استيعاب الأعداد المتزايدة التي كان يشهدها طوال النصف الثاني من القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين نظراً لانتهاج إدارته سياسة تقوم على أساس مجانية التعليم وهو ما جعله يشهد إقبالاً وزحاماً من جانب العوائل اليهودية رغبة منها في أن ينال أولادهن نصيبهم من التعليم الذي يقدمه المدراش[3].

اقتصر التعليم في المدراش تلمود توراه على الطلبة من الأولاد فقط، حيث لم يكن مسموحاً للفتيات الالتحاق به، كما كان يحدث في الحيدر أحياناً[4]. أضف إلى ذلك، لم تكن عملية قبول الطلبة تجري بصورة عشوائية مثلما هو الحال في الحيدر، وإنما كان يجري تحديد أعمار الطلبة واختبار قدراتهم الذهنية، ليجري توزيعهم وفقاً لذلك كلاً حسب ما يناسبه[5]. وفيما يخص مدة الدراسة فيه، نجد أن القدرة الأستيعابية للطالب هي التي تحدد فترة مكوثه، إلا أن الحد الأقصى الذي يسمح للطالب من البقاء في المدراش لا تتجاوز التسع سنوات فقط[6]. وكثيراً ما كان يواجه المدراش ضغطاً من حيث أعداد الطلبة المتزايد بما يتجاوز قدرته الاستيعابية، خاصة لما غدا مركزاً ثقافياً دينياً له سمعته في أوساط أبناء الطائفة اليهودية في العراق، أي أن نشاطه لم يكن مقتصراً على يهود بغداد، بناءاً كان يشهد إقبالاً

---

(1) تقرير عن المدارس الإسرائيلية، ص 19.

(2) إبراهام بن يعقوب، المصدر السابق، ص 105.

(3) Nissim Rejwan, op. cit., P. 196.

(4) Sara Manasseh, In Internet: www.midrash.org/babyloniain/newsletters/archive 09/ page 3.html.

(5) Manaf N. Abdul Ghani, op. cit., P. 16 – 17.

(6) Nissim Rejwan, op. cit., P. 190.

متزايداً من جانب العوائل اليهودية التي تقيم خارج بغداد لغرض إلحاق أولادها للدراسة فيه أملاً في أن ينالوا قسطاً من المعرفة على محدوديتها(1)، وكانت إدارة المدراش تؤمن السكن لهؤلاء الطلبة فترة دراستهم فضلاً عن المأكل والملبس(2).

جدول رقم (2)

أسماء مديري المدراش تلمود توراه 1832 – 1951 (3)

الأسماء	فترة الإدارة
إبراهيم الوكيل	1832 – 1850
الحاخام حسقيل أهرون موشي	1850 – 1860
عزرا صيون حاخام حسقيل	1862 – 1890
موشي حاخام حسقيل	1890 – 1906
الحاخام يوسف دوري	1906 – 1927
داود حاي عبودي	1927 – 1939
يوسف إسحاق	1939 **حتىتوقف نشاطه**

فيما يخص سير العملية الدراسية داخل المدراش تلمود توراه، كان يتوجب على الطلبة الالتحاق من الصباح الباكر، حيث يلتحق كل طالب حسب معلمه الذي سبق وان سلم إليه، ويقضي الطلبة أغلب ساعات النهار في الدراسة داخل المدراش. وفيما يخص الدروس التي يتلقاها الطلبة فنجدها تختلف كلياً عما كان يدور في الحيدر، عندما كان الأستاذ يكتفي بتحفيظ الطلبة لمقاطع من التوراة والأدعية وغيرها من الأنشطة التي لا تثقل كاهلهم، حيث توجب على معلمو المدراش تدريس **(التوراة)** بالتفصيل وتعليمهم كيفية أداء الشعائر الدينية

(1) Manaf N. Abdul Ghani, op. cit., P. 16 – 17.

(2) إبراهام بن يعقوب، المصدر السابق، ص 106.

(3) تقرير عن المدارس الإسرائيلية، ص 19 ؛ إبراهام بن يعقوب، المصدر السابق، ص 105.

والوعظ، فضلاً عن دراسة شخصيات دينية يهودية مختارة وردت أسماءها في التوراة[1]، إلى جانب دراسة اللغة العبرية القديمة من حيث ضبطها قواعدياً وكتابة بما يمكنهم من قراءة التوراة بالشكل الصحيح إلى جانب إقامة الشعائر الدينية جماعياً في الكنيس الملحق بالمدراش[2]. ويكون من حق طلبة المدراش ممن اجتازوا دراستهم بنجاح ممارسة مهنة التعليم على مستوى الحيدر أو العمل في الكنيس كواعظ وغيرها من الأعمال التي تتعلق بالجانب الديني البحت[3]. من هنا، عد تأسيس المدراش منعطفاً في مسيرة التعليم الديني اليهودي، نظراً لكونه جاء مختلفاً من حيث الأسلوب والأهداف عما كان يجري في الحيدر. وهذا التميز في العمل هو الذي جعله يحظى بدعم ورعاية المؤسسة الدينية اليهودية في بغداد، فهي لم تتوان عن تقديم أي نوع من أنواع الدعم بما يمكنه من الاستمرار في العمل[4]. ويقف في مقدمتهم الحاخام عبد ا إبراهيم سوميخ، الذي عرف باهتمامه في تطوير التعليم اليهودي، حيث خصص الكثير من وقته وأمواله لدعم أنشطته في بداية انطلاقته[5].

على أية حال، لا نستطيع القول بان تأسيس المدراش تلمود توراه يعني قفزة نوعية في إطار تغيير البنية الثقافية والفكرية للطائفة اليهودية في العراق لكونه جاء مقتصراً على التعليم الديني البحت الذي لا يساعد على تطوير القدرات الذاتية للطلبة بما يساعدهم على تطوير قابلياتهم الذهنية مستقبلاً ليصب فيما بعد في تطوير إمكانيات الطائفة ككل[6]. ويحدد هذا الخلل بوضوح الرحالة اليهودي أفرايم نيمارق، حيث كتب يقول: " **إننا لا نستطيع القول أن المدراش قد وصل إلى تحقيق غاية الكمال في حياة الطائفة** "[7].

---

[1] أنور شاؤول، المصدر السابق، ص 51؛ Manaf N. Abdul Ghani, op. Cit., P. 16 .

[2] **مجلة المصباح**، العدد 24 في 1924/9/4.

[3] Sara Manasseh, In Internet : www.midrash.org/babyloniain/newsletters/archive 09/ page 2.html.

[4] Nissim Rejwan, op. cit., P. 179.

[5] يوسف رزق ا غنيمة، المصدر السابق، ص 196.

[6] Abdul Wahab Abbas Al-Qaysi, **The Impact of Modernization on Iraq Society during the Ottoman Era: A study of intellectual development in Iraq 1869-1917**, Michigan university, Ph. D. thesis, 1958, P. 78.

[7] أفاريم نيمارق، المصدر السابق، ص 68.

إلا أن ذلك لا يعني أن المدراش تلمود توراه لم يأت بجديد على مستوى التعليم الديني اليهودي ليحوز على الشهرة الواسعة في هذا المجال. ويتضح ذلك في تعليق الرحالة اليهودي جوزيف بنيامين الثاني عند حديثه عن التعليم الديني في بغداد، بقوله: "**إن التعليم الديني كان راقياً لدى يهود العراق**"[1].

من خلال ما سبق، يتضح بأن المدراش تلمود توراه أقيم من أجل الارتقاء بمستوى التعليم الديني فحسب. وهذا ينفي الآراء التي ذهب إليها بعض الباحثين من كون مناهج المدراش كانت تضم دروساً في العلوم الصرفة وبعض اللغات الأجنبية كما يشير لذلك الدكتور إبراهيم خليل احمد[2]. ويؤكد ذلك رفض الحاخامات اليهود لأي تحديث لمناهجه عبر إدخال دروس لا علاقة لها بالأمور الدينية بقصد تهيئة الطلبة لمواجهة المتغيرات التي كانت تحدث خارج جدرانه. وعلى الرغم من هذا الرفض إلا أن المدراش بقي يستقطب إعداداً كبيرة من الطلبة[3]. ولم يطرأ تغييرٌ جوهري على موقف حاخامات اليهود بخصوص تطوير مستوى التعليم في المدراش إلا بعد قرابة سبعين عاماً من تأسيسه، عندما تنبه المشرفون عليه خطورة الإصرار على مواقفهم السابقة، ووجدوا ضرورة مجاراة ما يحدث من تغييرات في أحوال الطائفة اليهودية عبر إدخال بعض الدروس العلمانية بما يؤهل طلبته الراغبين بإكمال دراستهم للانضمام إلى المدارس العلمانية مستقبلاً[4]. إن الخلط في الإشارة إلى ما حدث من تطورات في رؤية المشرفين على المدراش والأهداف التي حددوها يرجع إلى عمر المدراش الذي امتد لفترة قاربت 120 سنة. إلا أننا نجزم هنا، بأن المدراش لم تشهد أي تغيير في سياستها التعليمية طوال القرن التاسع عشر تحديداً[5].

---

[1] **نقلاً عن**: علي إبراهيم عبده وخيرية قاسمية، المصدر السابق، ص 58.

[2] إبراهيم خليل احمد، المصدر السابق، ص 27.

[3] Nissim Rejwan, op. cit., P. 190.

[4] تقرير عن المدارس الإسرائيلية، المصدر السابق، ص 208.

[5] من الأمور التي تشير إلى اختلاط الأوراق عند بعض الباحثين يتجلى بالإشارة إلى عدد مؤسسات المدراش التي كانت تعمل في بغداد، حيث بالغوا في ذكر أعداد خيالية ، فالأستاذ عبد الرزاق الهلالي جعلها 30 مد راشا، بينما جعلها الدكتور جميل موسى النجار 50مدراشاً.وعلى ما يبدو انهما خلطا مابين المدراش والحيدر حيث تصورا انهما حالة واحدة لا اختلاف بينهما في إطار الاشاره لمفاصل التعليم الديني اليهودي. للمقارنه ينظر/عبد الرزاق الهلالي، المصدر السابق، ص280؛ جميل موسى النجار ، المصدر السابق، ص234.

وأخيراً، لم يكن للمدراش تلمود توراه القدرة إزاء الأعداد الهائلة التي كانت تستقبلها في رفد المؤسسة الدينية اليهودية بما يدعمها من حاخامات قادرين على القيام بمهامهم على أحسن وجه. وهذا الوضع هو الذي دفع المؤسسة الدينية على التفكير جدياً في إنشاء مؤسسة تعليمية تأخذ على عاتقها هذا الأمر، فكان تأسيس (**اليشيفا**) هو الخيار كما سنلاحظ.

3 – مؤسسـة اليـشيـفا[1]:

مع تقدم الوقت، أخذت أهمية يهود العراق، لاسيما يهود بغداد، بالازدياد بين صفوف الطوائف اليهودية في الشرق، وكانت تعد المرجع الديني لهم. وكثيراً ما يستعان بهم في شرح الكثير من الأمور الدينية، فضلاً عن سفر الحاخامات من يهود العراق إلى حيث التجمعات اليهودية في الشرق لنشر الوعي والثقافة الدينية بينهم[2].لقد أحدث تصاعد درجة أهمية المؤسسة الدينية اليهودية في بغداد، وتزايد مطالب الطوائف اليهودية في الشرق لإرسال من يساعدهم في الأمور الدينية نقصاً واضحاً في إعداد الحاخامات اليهود المؤهلين في بغداد، أضف إلى ذلك عدم قدرة خريجي المدراش تلمود توراه على القيام بمثل هذه المهام نظراً لقلة خبرتهم. ساهمت جل هذه الظروف في اتفاق آراء كبار حاخامات اليهود في بغداد على ضرورة العمل الجاد لإيجاد حل لهذه المعضلة. فتم الأتفاق على إنشاء مؤسسة تعليمية دينية تأخذ على عاتقها إعداد حاخامات مؤهلين وقادرين على القيام بمهامهم على أحسن وجه. وأخذ الحاخام **عبد ا إبراهيم سوميخ**(1813–1889م) على عاتقه تهيئة الأجواء والظروف لكي ترى هذه المؤسسة النور. وبالفعل، شهدت بغداد في عام 1840م ظهور(**اليشيفا**)، وعال

---

(1) **اليشيفا** كلمة عبرية تعني (**المدرسة التلمودية**)، وهي بمثابة معهد للدراسات الحاخامية أي دراسة التراث الديني اليهودي. وأول مدرسة تلمودية أسسها **يوخان بن زاكاي** سنة70م. ينظر/ عبد الوهاب المسيري وسوسن حسين، المصدر السابق، ص 360.

(2) Sara Manasseh**, Aspect of Babylonian Jewish Life in Iraq and India during the 19th centuries**, In Internet: www.midrash.org/Babylonian/newsletters/archive 09/ page 2.html.

سوميخ سبب إنشاء هذا المعهد الديني إلى ضرورة الصرامة في تعليم الديانة اليهودية، وإيجاد نواة لحاخامات مؤهلين لأداء واجباتهم على أحسن وجه[1].

بذلت المؤسسة الدينية اليهودية في بغداد جهوداً استثنائية لكي تعمل اليشيفا من دون أي عقبات قد تعيقها عن آداء واجبها. من هنا جاء الاتفاق على ضرورة توفير كل مستلزمات النجاح، فانصبت الخطوة التي قام بها اليهودي **حسقيل روبين مناشي** بالتبرع بمبلغ مالي كبير لغرض شراء بناية كبيرة لتكون مقر لها في هذا الاتجاه[2]، فيما أعلن الحاخام عبد ا سوميخ عن تكفله بإعالة الطلبة الملتحقين بها على نفقته الخاصة مع عوائلهم، وتزويدهم بكل ما يحتاجونه بما يجنبهم الانشغال بأمور أخرى غير التي تتعلق بدراستهم[3].

ونظراً لانشغال الطلبة أغلب الأوقات في الدراسة داخل اليشيفا، فقد عكفت إدارتها على توفير وجبات الطعام لطلبتها والزوار أيضاً، حيث تم تخصيص ميزانية لهذا الغرض إلى جانب تحديد مكان لهذا الغرض داخل المبنى. واختلفت طبيعة الطعام المقدم حسب الموسم. ففي الصيف كان يقدم البطيخ مع الخبز، فيما كانت وجبات الشتاء تشمل الحلاوة مع الخبز[4]. وكان هذا المطعم، إن صح التعبير، مفتوحاً طوال اليوم، لا سيما أن الدراسة في اليشيفا كانت تمتد في بعض الأحيان إلى ساعات متأخرة من الليل[5]. وهذه الخطوة تدل على

---

[1] Hayyim Cohen, **The Jews of Middle East 1860-1972**, Jerusalem, 1972, P.112;

Manaf N. Abdul-Ghani, op. cit., P. 17.

[2] Sara Manasseh, **Aspect of Babylonian Jewish Life in Iraq and India during the 19th centuries**, In Internet:

www.midrash.org/Babylonian/newsletters/archive 09/ page 2.html.

[3] إبراهام بن يعقوب، المصدر السابق، ص 97.

[4] Sara Manasseh , In Internet: www.midrash.org/Babylonian/newsletters/archive 09/ page 2.html.

[5] Violet Gabby, **Hawham Shiemon Agassi zt1**, In Internet:

www.dagoor.com/73058.htlm.

الاهتمام الكبير الذي كانت تحظى به اليشيفا من جانب المؤسسة الدينية اليهودية في بغداد بما يحقق الهدف المنشود من وراء إقامتها عبر تفريغ طلبتها لدراستهم بما يحقق تفوقهم[1].

فيما يخص اختيار الطلبة الملتحقين باليشيفا، فقد تقرر أن يتم اختيار الطلبة المتفوقين في دراستهم في المدراش تلمود توراه. وبناءاً على هذا الاتفاق اختار عبد ا سوميخ عشرة طلاب ممن تفوقوا في دراستهم بالمدراش ليكونوا نواة هذه المؤسسة. وتولى بنفسه عملية تدريسهم، وشملت الدروس كل ما له علاقة بالتراث الديني اليهودي، فضلاً عن تدريبهم على إقامة الشعائر الدينية أيضاً[2]. وكانت طريقة الدراسة فيه تقوم على أساس الحوار والمناقشة في كل القضايا الدينية بهدف تمكين الطالب من الإلمام بكل ما يتعلق بالديانة اليهودية بما يؤهله إلى أن يكون حاخاماً[3]، فضلاً عن كونه يصبح مؤهلاً لإدارة مؤسسة تعليمية دينية بمستوى اليشيفا[4]. وكانت تدعم قدراتهم المعرفية مكتبة دينية فخمة حرصت إدارة اليشيفا على توفيرها بما يرفع من مستوى الطلبة، علماً أن بقاء الطالب في اليشيفا لا يحدده وقت وإنما قدرته على استيعاب ما يتلقاه من أساتذته[5].

ومن خلال قراءة مركزة للدروس التي يتلقاها طلبة اليشيفا نلاحظ أنهم يقضون جل وقتهم في الدراسة. فالطالب لا يشغل باله إلا بما هو يهودي ولا يعرف إلا (**تاريخ اليهود**) والدين اليهودي. ويشير الدكتورعبد الوهاب المسيري إلى كون طلبة اليشيفا شكلوا أيديولوجية الانفصال بين اليهود. وأشار أيضاً إلى دعوة زعماء اليهودية الإصلاحية وحركة الاستنارة اليهودية إلى المطالبة بالقضاء على اليشيفا قضاءاً تاماً [6]. وتظهر صحة قول الدكتور المسيري في الإشارة التي وردت لدى حاييم كوهين في كتابه (**النشاط الصهيوني في العراق**)

---

[1] إبراهام بن يعقوب، المصدر السابق، ص 97.

[2] المصدر نفسه،ص98 ؛ Hayyim Cohen, op.cit., P. 112 .

[3] **The New Jewish Encyclopedia**, Jerusalem, 1977, P. 294 -295.

[4] إبراهام بن يعقوب، المصدر السابق، ص 98.

[5] The New Jewish Encyclopedia, op. cit., P. 295.

[6] عبد الوهاب المسيري وسوسن حسين، المصدر السابق، ص 360.

عندما قال: "**في عام 1854م هاجرت من العراق مجموعة من تلاميذ اليشيفا وعائلاتهم لإيمانهم بأن الاستيطان في فلسطين يدني ساعة الخلاص** " [(1)].

ولا بد من الإشارة هنا، إلى كون (**بيت زلخا**)[(2)]، كما كان يحلو لليهود تسمية اليشيفا، لم يقتصر نشاطه على الجانب التعليمي لغرض إعداد حاخامات مؤهلين لإدارة شؤون الطوائف اليهودية شرعياً، وإنما كانت تشهد عقد اجتماعات دورية لهيئة القضاة اليهود العليا لإجراء المداولات بخصوص الأحكام والإجراءات الواجب اتخاذها فيما يستعصي من أمور دينية تتعلق بحياة اليهود اليومية. وكانت هذه الاجتماعات فرصة ليتعلموا منها ويكتسبوا الخبرة اللازمة[(3)].

على الرغم من الخصوصية التي حظيت بها اليشيفا من حيث مستوى الدراسة واختيار الطلبة، إلا أنها شهدت توسعاً في أعداد الطلبة الملتحقين بها. فبعدما كانوا عشرة طلاب عام 1840م، عام افتتاحها، شهد الرقم ارتفاعاً ملموساً في عام 1848م، أي: بعد ثمانية أعوام فقط، اذ وصل عددهم إلى ستين طالباً[(4)]. وهذا الارتفاع يعكس حجم الإقبال الذي كانت تلاقيه اليشيفا من جانب الطلبة اليهود. وإزاء هذا الارتفاع المتزايد في أعداد الطلبة لم يعد بمقدور الحاخام عبد ا سوميخ القيام بمهمة التدريس بمفرده، الأمر الذي دفعه للاستعانة بحاخامات آخرين في هذه المهمة وبإشراف مباشر منه. وتشير الإحصائيات إلى أن عدد المدرسين في اليشيفا بلغ خمسة عشر حاخاماً [(5)].

[(1)] حاييم كوهين، المصدر السابق، ص 18.

[(2)] اشتهرت اليشيفا بين يهود العراق باسم (**بيت زلخا**)، وهذه التسمية استمدت من اسم المبنى الذي كانت تشغله. والذي تعود ملكيته، قبل شرائه من قبل حسقيل روبين مناشي، إلى اليهودي (**زلخا أهرون**). وقد شهد هذا المبنى توسعات كبيرة في عام 1850م عندما قام مناشي حسقيل روبين بالتبرع بالأموال اللازمة لهذه الخطوة. ينـظر/

Sara Manasseh, **Aspect of Babylonian Jewish Life in Iraq and India during the 19th centuries**,

In Internet: www.midrash.org/Babylonian/newsletters/archive 09/ page 2.html.

[(3)] أفاريم نيمارق، المصدر السابق، ص 6.

[(4)] Hayyim Cohen, op. cit., P. 112.

[(5)] أفاريم نيمارق، المصدر السابق، ص 60.

على الرغم من السمعة والاهتمام الذين كانت تحظى بهما اليشيفا والإقبال المتزايد من جانب أبناء الطائفة اليهودية في العراق وصل عدد الملتحقين بها قرابة مائة طالب في عام 1863م، غير أنها شهدت بمرور الوقت تراجعاً ملحوظاً في أنشطتها وانعكس ذلك على أعداد الطلبة الملتحقين بها، بدليل تراجعهم عام 1879م إلى 20 طالباً. وارتبط هذا التراجع في الأداء والمستوى بعدة أسباب يتصدرها الإهمال الذي أخذت تعانيه بسبب كبر سن المشرف عليها الحاخام عبد ا سوميخ، فضلاً عن الانشقاقات التي شهدتها المؤسسة الدينية اليهودية في بغداد لاختلاف الآراء حول بعض القضايا التي تخص الطائفة ومنها زعامة الطائفة. وكان سوميخ يقود أحد الأطراف المتصارعة على زعامة الطائفة مما جعل أنصار الأطراف الأخرى يحجمون عن الالتحاق بها. أضف إلى ذلك، الاهتمام المتنامي بالوظائف العلمانية من ناحية، والاختلاف المتزايد بالمدارس الحديثة بما يؤمن لهم ذلك من ناحية أخرى، وكلها ساهمت في تراجع مستوى هذه المؤسسة[1].

جاءت وفاة الحاخام سوميخ عام 1889م لتضع حداً لنشاط اليشيفا، حيث توقفت نهائياً عن العمل لعدم وجود شخص يدعمها كما كان يفعل سوميخ الذي أخذ على عاتقه توفير كافة احتياجاتها واحتياجات طلبتها[2].

وأخيراً، لا بد من الإشارة هنا إلى كون اليشيفا قدمت قدراً كبيراً من المعرفة الدينية لطلبتها التي أهلتهم لشغل مختلف المهام ذات العلاقة بالديانة اليهودية كقيادات دينية وقضاة ووعاظ وممارسة التعليم الديني وغيرها. وأمتد نشاط خريجي اليشيفا إلى خارج حدود الطائفة اليهودية في العراق ليصل إلى حيث التجمعات اليهودية في أواسط وجنوب شرق آسيا. وأصبحوا همزة وصل تربط هؤلاء بالطائفة اليهودية في العراق ومؤسستها الدينية التي غدت مرجعاً دينياً مهماً لهم[3]. أضف إلى ذلك،ذيوع صيت العديد من خريجيها صيتهم

---

(1) Nissim Rejwan, op. cit., P. 191; David Solomon Sassoon, op. cit., P. 173.

(2) David Solomon Sassoon, op. cit., P. 173.

(3) Sara Manasseh, in Internet: www.midrash.org/Babylonian/newsletters/archive 09/ page 2.html.

ككتاب لهم مكانتهم ووجدت كتاباتهم رواجاً داخل العراق وخارجه، لأنهم قاموا بإحياء الثقافة الدينية اليهودية وإغنائها[1].

على أي حال، فان الجهود التي قامت بها اليشيفا لم يكن بمقدورها الارتقاء بمستوى التعليم اليهودي وكذا المستوى الثقافي والفكري لأبناء الطائفة اليهودية في العراق، لأنها كانت ذات مستوى محدود،بالاضافة الى اقتصارها على الدراسات الدينية فقط[2].

جدول رقم (3)

أشهر الطلبة الذين درسوا في اليشيفا وعرفوا بكتاباتهم الدينية[3]

ت	الأسماء	مكان وتاريخ الولادة والوفاة	أهم الأعمال
1	الحاخام ساسون يسرائيل	بغداد 1820 – 1911	كتاب (أشعار ساسون)
2	الحاخام جبرائيل يعقوب بن اليشع جبرائيل	بغداد 1818 – 1876	كتاب (تعليم البيت)
3	الحاخام عزرا بن ساسون عزرا	بغداد 1830 – 1890	كتب تراتيل وأغاني دينية
4	الحاخام موشي بن عزرا	بغداد 1820 – 1878	كتب تراتيل وأغاني دينية
5	الحاخام شلومو بيخور حصين	بغداد 1843 – 1892	كتب تراتيل
6	الحاخام شمعون بت أهرون أجي	بغداد 1851 – 1914	كتابا (ابنا اهرون) (أحوال شمعون)

ختاماً، نستطيع القول أن التعليم اليهودي في العراق حتى عام 1864م كان يقوم على أساس ديني بحت، فانعكس على المستوى الثقافي والفكري لأبناء الطائفة اليهودية في العراق،

(1) **أنظر جدول رقم (3)**

(2) ميخال أفيطبول، شالوم براشير، يعقوب برناي، يوسف طوبي، **اليهود في البلدان الإسلامية 1850–1950**، تحرير:صموئيل أتينجر، ترجمة:جمال الرفاعي، الكويت، 1995، ص 76–77. وسيتم الإشارة إليه اختصاراً (ميخال أفيطبول).

(3) إبراهام بن يعقوب، المصدر السابق، ص 102 – 104.

لكونهم كانوا يفتقرون لأي نوع من أنواع الثقافة القائمة على أساس علماني. وبناءاً، طغت الصبغة الدينية على نتاجهم الفكري. ولم يتخلص الكتاب اليهود من ذلك إلا في مطلع القرن العشرين عندما أخذت متطلبات المرحلة الجديدة التي عاشتها الطائفة اليهودية تستدعي هذا التغيير، كما سنلاحظ فيما بعد[1]. وارتبط هذا المنحى الديني في الكتابات اليهودية بالبناء المعرفي للشخصية اليهودية الذي أقتصر على الثقافة الدينية فقط[2]. من هنا جاء وصف **الكسندر أداموف** ليهود العراق بالتخلف العلمي، حيث كتب يقول:" **يتميز أحفاد أسرى بابل بالتأخر الشديد في المجال الفكري ذلك أن مدارسهم الدينية أولت جل اهتمامها للتعليم الديني**"[3].

---

(1) Walid Khaduri, **The Jews of Iraq in the Nineteenth Century**, A case study of social harmony, In: Zion's imperialism and racism, London, 1979, P. 205.

(2) عباس العزاوي، **تاريخ العراق بين احتلالين، العهد العثماني الثالث 1831– 1872م**، ج7، بغداد، 1953، ص 290.

(3) الكسندر أداموف، المصدر السابق، ص 234.

المحتويات:

فهرست الجداول

المقدمـة وتحليل المصادر :

لا يزال موضوعُ (**التعليم في العراق**)، بغض النظرعن مستواه ومداه، يحظى بمكانة متميزة في الدراسات الأكاديمية[1]. أذ قطاع التعليم يؤلف دوماً مؤشراً مهماً في قياس واقع المجتمعات ومدى تطورها بشكل عام، وتحديد توجهاتها وقدراتها على استيعاب المتغيرات التي تشهدها بشقيها الإيجابي والسلبي. وينبغي النظر من هذه الزاوية إلى أهمية دراسة موضوع (**مدارس الأليانس[2] الإسرائيلي العالمـي وأثرهـا على الطائفة اليهودية فـي العـراق**)، لأنه موطن من مواطن تقويم التطور التاريخي للطائفة اليهودية ودورها في المجتمع المحلي بدءاً من منتصف القرن التاسع عشر الميلادي الى منتصف القرن المنصرم.

كما أن للموضوع بعداً إضافياً آخر، نابعاً من كون تأسيس أولى مدارس الأليانس في بغداد جاء بصورة أو بأخرى امتداداً للخطوات الحثيثة، إن صح التعبير، التي بدأت الطائفة اليهودية في العراق تخطوها نحو التطور والرقي القائم على أساس إحداث تغيير شامل في شتى النواحي التي بدأت تسعى إليها كرد فعل للحقوق والامتيازات التي أفرزتها سياسة الإصلاح التي كانت تنتهجها الدولة العثمانية منذ أواسط القرن التاسع عشر. من هنا، وافق نشاط الأليانس في العراق مع مرحلةً دقيقةً حافلةً بالأحداث والتطورات كانت تمر بها هذه الطائفة، خاصة، التهديدات التبشيرية المسيحية التي كانت تمثل واحدة من أخطر التحديات التي واجهتها هذه الطائفة. وبناء، نرى أن موضوع البحث مهماً، ولايزال يحتاج إلى سبر لأغواره إعتماداً على ما توفر من كتابات معاصرة ووثائق ضبطت بهذا الخصوص لإبراز جوانبه المهمة قدر الإمكان. أضف إلى ذلك، إن الكتابات التي تناولت موضوع التعليم في العراق

---

[1] قدمت الكثير من الدراسات الأكاديمية تناولت جوانب من التعليم في العراق، نذكر منها، رسالة الماجستير للباحث جميل موسى النجار الموسومة (**التعليم الحديث في العراق 1869– 1918**) التي نوقشت في جامعة القاهرة عام 1986. ورسالة الماجستير للباحث باسم حمزة عباس الموسومة (**تاريخ التربية والتعليم في البصرة 1921– 1958**) التي نوقشت في جامعة البصرة عام 1992. وأطروحة دكتوراه للباحث صالح محمد عبد ا تحت عنوان (**تطور التعليم في العراق 1945– 1958**) التي نوقشت في جامعة بغداد عام 1994. وأطروحة الدكتوراه بقلم الباحث بدر مصطفى عباس الموسومة (**الحياة التعليمية في بغـداد 1969– 1909**) التي نوقشت في جامعة الموصل عام 1997.

[2] كلمة فرنسية (**L'Alliance**) تعني باللغة العربية(**التحالف**) . ونظرا لكون المدارس كانت معروفة بهذه التسمية في العراق، لذا حافظنا على الاشارة اليها بهذه التسمية ، منعاً لأي التباس في الاشارة عبرصفحات البحث.

بالدراسة والتحليل، لم تتطرق، بالتفصيل، لموضوع التعليم اليهودي بشكله العام، ومدارس الأليانس تخصيصاً.وهذا يعني أن الموضوع لم يعالج معالجة موضوعية تتواءم ومستوى أهميته، بل لم يدرك اغلب الذين تصدوا لدراسته بصورة مباشرة حقيقة أبعاده، وذكر أحداثه بالشكل الذي يجب أن يكون. لقد أطلق البعض منهم لنفسه العنان في سرد أحداث ووقائع ليس لها علاقة لا من قريب ولا من بعيد بالواقع، إنما كان لها علاقة بما كان يراه هو في ذاته. وما ورد في هذه الدراسة من حقائق لدليل واضح، في تصورنا، على عدم صواب هذا الرأي أو ذاك، فلم يستطع البعض منهم، على سبيل المثال، أن يفهم الدوافع التي كانت وراء الفشل السريع الذي أصاب الأليانس في أولى خطواتها في بغداد بعد أشهر معدودات[1]، وكيف أستطاعت أن توظف هذا التحدي في صالحها بما يضمن نجاح عملها مستقبلاً دون عقبات.فبعدما كانت وسيلة من وسائل الصراع بين التيار المستنير الراغب في تغيير أوجه حياة الطائفة اليهودية والتيار التقليدي الديني الراغب في المحافظة على السلوك المتوارث الذي درجت عليه، أصبحت الرافد الذي يمد التيار المستنير بالعناصر التي تعزز قدراته فضلا عن أنها مهدت لانتصاره وأخذ زمام المبادرة على حساب منافسيهم فيما بعد. مع الأخذ بالحسبان ما جرى من تمحيص لكثير من المعلومات والتواريخ غير الدقيقة التي وردت في بعض المصادر والمراجع، التي بلغت حد الجهل إن كانت مدرسة الأليانس للبنين هي نفسها مدرسة ألبير ساسون، كما كان يحلو للبعض تسميتها[2]على سبيل المثال. ومثل هذه الهفوات الصارخة قوت عزيمتنا لدراسة الموضوع.

ولامناص من البوح بأن موضوع الدراسة في غاية الصعوبة بحكم تزاحم أحداثه وتشابك وقائعه وكثرة متغيراته. والأمر الذي يتطلب الحذر لتفادي الأنزلاق، وتجنب التناقض، وعدم تجاوز الحقائق إلى الحد الأقصى الممكن في هذه الحالات التي تتعقد ظواهرها أكثر، لأن من الصعب جداً أن تجد من يقول لك كل ما ينبغي أن يقال من وجهة نظرك باحثاً عن

---

[1] لم يستطع بعض الباحثين أن يتصور الخطر الذي أحاط نشاط الأليانس في بغداد خلال سنته الأولى، وارتباطه الوثيق بالاستقرار والنجاح الذي حققته فيما بعد، لدرجة أن البعض منهم لم يكن يتصور أن هذه الجمعية أغلقت أولى مدارسها بعد ستة أشهر من افتتاحها لأول مرة.

[2] للمزيد، ينظرالباحث جاسم محمد هادي القيسي (**أحوال العراق الاقتصادية والاجتماعية1831–1869**)، بحث لنيل درجة الماجستير من جامعة بغداد/كلية الآداب، 1985، ص 202. وكذلك اخطأ الباحث غانم سعيد العبيدي في الإشارة إلى كون مدارس الأليانس استمرت حتى عام 1912. أنظر/ غانم سعيد العبيدي، **التعليم الأهلي في العراق بمرحلتيه الابتدائي والثانوي ... تطوره ومشكلاته، بغداد، 1970**، ص 54.

الحقيقة الناصعة، ولا عتب على أحد في ذلك، فإن للحياة نواميسها وللبشر طباعهم التي من المحال تجاوزها.

وأخيراً ينبغي أن نشير إلى أن موضوع الدراسة يمثل وجهاً آخر لموضوع رسالتنا لنيل درجة الماجستير، وما أنجزناه من بحوث فيما بعد، وامتداداً لها. أن التواصل في اختيار الموضوعات التاريخية المتقاربة أمر له مسوغاته العلمية المرغوبة، فدراسة هذا الموضوع تساعد، بلا شك، على تكوين وبلورة رؤية واضحة للدور المتميز الذي لعبه يهود العراق في المجتمع المحلي، وذلك، انطلاقا من أن الأليانس قد هيأت الطاقات اللازمة التي عملت بجدٍ على تغيير أوجه المجتمع وتطوير قدراته.

وفضلاً عما سبق، هناك أسباب أخرى تضافرت مع ما ذكر لتندرج ضمن الدوافع التي وقفت وراء اختيار الموضوع، منها:

1. عدم قيام دراسة شاملة عن مراحل تطور التعليم اليهودي في العراق بشكل عام خلال القرن الأخير من وجود اليهود في العراق [1]، أذ مثل هذه الدراسة قد تبين الأثر الكبير الذي تركته مدارس الأليانس في إحداث ثغرات كبيرة في هياكل التعليم اليهودي.
2. إن دراسة الموضوع تبين لنا طبيعة المتغيرات التي شهدتها أحوال الطائفة اليهودية في العراق في شتى المجالات كالجانب الاجتماعي ،الثقافي ،الاقتصادي والسياسي وحتى الديني أيضاً.
3. محاولة إبراز وحصر حالة التفاعل التي كانت عليها الطائفة اليهودية داخل مؤسسات المجتمع المدني على مدى سنوات عملها.
4. فضلا عن ذلك، يمكن ملاحظة المكانة التي أخذت الطائفة اليهودية تشغلها في العراق، وجعلها تتخلص من القيود والحواجز النفسية التي كانت تحيط بها نفسها للابتعاد عن بقية المجتمع.

أما إطار الموضوع الزمني فهو يغطي الفترة الزمنية التي عملت فيها الأليانس في العراق، بدءا بتأسيس أولى مدارسها في بغداد عام 1864م، وانتهاءاً بعام 1951م، أين قررت

(1) لم تتمكن دراسة الدكتور فاضل البراك من تقديم صورة متكاملة عن طبيعة التعليم اليهودي، لكونها تفتقـر إلى الكثير من المرتكزات التي تجعلها دراسة أكاديمية تفي بالغرض.

سلطات المعارف العراقية إغلاق مدارس الأليانس كافه، كبقية المدارس اليهودية الأخرى، لانتفاء الحاجة إليها بعد هجرة غالبية يهود العراق بموجب قانـون إسقاط الجنسيـة لعام1951م. أن اتساع الأطار الزمني للموضوع فرضه عدم أمكانية تقسيمهأو الاقتصار على دراسة جوانب دون الجوانب الاخرى. فكان لابد من تغطية فترة الدراسة كاملة، الأمر الذي ادى الى أتساع حجم الاطروحة بشكله الحالي.

من المعروف أن طبيعة الموضوع هي التي تحدد المنهج والادوات المستعمله في البحث، وعليه فأن طبيعة موضوع الدراسة ، فرضت علينا أستعمال المنهج الوصفي التحليلي الذي يعتمد اساساًعلى جمع المصادر التاريخية، المعاصر منها والحديث،كما تطلب موضوع البحث، نظراً لأهميته، تحليلاً دقيقـاً ودراسة متأنية، حتى يتسنى لنا الكشف عن خباياه؛ فقد تطلب الأمر فحص محتوى كل ماورد من أشارات وتحليلات في الدراسات والبحوث السابقة[1]، وملء فراغاتها بالاستنتاجات المنطقية المجردة من النظرة السطحية، حتى نصل إلى تفسيرات موضوعية لطبيعة التغيير الذي احدثته الأليانس في حياة الطائفة اليهودية في العراق من الناحية الثقافية، الاجتماعية، الاقتصادية والسياسية.

أما من حيث طبيعة الدراسة فقد اقتضت تقسيم البحث إلى تمهيد وثلاثة فصول فضلاً عن مقدمة، تضمنت الأسباب التي دفعتنا لاختيار الموضوع وبيان أهميته، إلى جانب تحليل لبعض المصادر التي استخدمت في متن الدراسة.

ولكون التمهيد ضرورياً باعتباره مدخلاً لصلب الموضوع، قَصَرْنا الفصل التمهيدي في شي من التركيزعلى تبيان الأوضاع التعليمية في العراق حتى منتصف القرن التاسع عشرالميلادي.عبر ذراعين،**اولهما**، مراحل دخول التعليم الحديث للعراق ودور الإرساليات التبشيرية في هذا الأمر، مع تبيان موقف الدولة العثمانية من هذه القضية. فيما خصص **ثانيهما،** لدراسة التعليم اليهودي في الحقبة التي سبقت تأسيس أول مدرسة للأليانس في بغداد عام 1864م، ويمكن المتتبع التعرف على طبيعة التعليم اليهودي القائم أيامئذ،مع التنبه الى أنه ما عاد يتلائم ومتطلبات المرحلةِ الجديدةِ التي بات يعيشها اليهود في العراق.

---

(1) بالنسبة للدراسات السابقة ، لم أعثر خلال فترة البحث الببلوغرافي على دراسة تتناول موضوع بحثنا بشكل واضح وجلي، مما شكل بطبيعة الحال أحد العراقيل اعاقت العمل نوعاً ما .

وفيما بعد التمهيد، أي: في الفصل الاول من الدراسة، تناولنا – نظراً للأهمية- بقدر من التفصيل، كُلّ الظروف التي رافقت عملية تأسيس الأليانس في فرنسا، والمغزى من وراء ذلك قصد معرفة طبيعة السياسة التي نهجتها الجمعية في تحديد أوجه نشاطها خارج حدود نطاقها المحلي.

كما جرى في ذات المقام التركيز على دراسة العلاقة التي كانت تربط الأليانس بالحركة الصهيونية، مع تتبع المتغيرات التي شهدتها هذه العلاقة عبر سنوات طويلة. فيما ركز المبحث الثاني من هذا الفصل، على دراسة الدوافع التي حَدَتْ بالأليانس لكي تبدي اهتماماً بيهود العراق دون غيرهم من يهود الشرق. ولهذا الأمر أهمية كبيرة تقف وراءها أسباب متداخلة جعلت الأليانس تضع يهود العراق في مقدمة أولوياتها.

وعالج الفصل، أيضاً، مراحل دخول الأليانس وعملها بين صفوف يهود العراق، والمصاعب التي واجهتها في أول الأمر، وكيف ذللتها فيما بعد، بحيث جعلت عملها يجري وفق الوتيرة التي تراها مناسبة، كما تم تتبع مسعى الأليانس في غرس أسس التعليم الحديث بين الفتيات اليهوديات، أذ جرى تناول الظروف التي كانت تمر بها المرأة العراقية، ومنها اليهودية، أواخر القرن التاسع عشر الميلادي. وانعكاسات الحالة المتردية التي كانت عليها في تأجيل الاليانس أفتتاح أولى مدارسها حتى العقد الاخير من العقد المذكور. ولم يتحقق ذلك الا عبر عمل مكثف ومضن جداً .

في حين، أفردنا الفصل الثاني لمعالجة سياسة الاليانس التعليمية في العراق ،أذ جرى تتبع ثمرة النجاح الذي حققته الأليانس في اقامة نظام تعليمي حديث ، والريادة التي حازت عليها من جراء ذلك، وانعكاساته في اتساع قاعدة عملها أفقياً وعمودياً. كما جرى استعراض رؤيتها بخصوص التركيز على الجانب العلمي في مناهجها من دون الانشغال بالجانب الروحي الذي لم يجدي اليهود نفعاً. وبناءاً عليه تم الاستعانة بالمناهج الاوربية ـ والفرنسية تحديداً ـ فشملت مناهجها تدريس العلوم الصرفة، التي لم يعتد عليها الطلبة اليهود من قبل، إلى جانب دراسة اللغات الأجنبية التي فتحت أمامهم آفاقاً لم تكن في الحسبان من ذي قبل. كما تضمن الفصل، تتبع السبل التي انتهجتها الجمعية تمويل وتوفير المستلزمات الدراسية ، الى جانب الاسس التي اتبعتها في عملية قبول الطلبة، فضلاً عن موقف سلطات المعارف في العراق، العثمانية منها والعراقية فيما بعد، من نشاط الأليانس في البلاد.

فيما صببنا الجهد، في الفصل الثالث والأخير على دراسة الأثر الذي تركته هذه المدارس على أحوال يهود العراق، وكيف ساهمت في انتقال يهود العراق من التهميش والانزواء إلى قوة مؤثرة وفعالة في حياة المجتمع العراقي. وسنكتشف من خلال هذا الفصل، كيف تركت عملية الارتقاء بقدراتهم الثقافية والأجتماعية اثارها الايجابية في تغيير أنماط الحياة التقليدية التي اعتاد عليها اليهود من قبل. وبحكم ذلك، شهد التعليم اليهودي تطوراً ملحوظاًعبر خطوات سريعة فاقت ما كان يحدث من نمو بطيء في المنظومة التربوية الحكومية انذاك.وتجلت اثار ذلك على هيمنتهم الاقتصادية والإدارية، مما انعكس إيجاباً على معدل اندماجهم في ثنايا المجتمع المدني.

وأما اذا ما جاء الحديث عن الخاتمة فقد حَرِصْنا تقديم أبرز ما توصلت إليه الدراسة من نتائج ومدركات علمية جلتْها محتويات الدراسة .

وعلى أي فقد حاولنا، قدر المستطاع، تكريس كل ما هو متوفر من مصادر ومراجع عن الموضوع لإنجاح الأهداف الأساسية للدراسة[1]. وعلى هذا الأساس، اعتمدنا على مجموعة لا بأس بها من المصادر والمراجع بمختلف اللغات، وعلى سبيل التقويم والتحليل. سنكتفي بالإشارة إلى بعض مما شكل العمود الفقري لهذه الدراسة.

من المُسْتَدْرَك أن المصادر الوثائقية تحتلُ دائماً،من نَحْوٍ، المقامَ الأَوَلَ في الدراسات التاريخية الحديثة والمعاصرة. خاصة اذا ما عُلِمَ أن من كتبها أناس معاصرون للحدث. وتعطي للباحث صورة مباشرة، وان كان بعضها يجانب الحقيقة من نحو آخر. وفي كل الاحوال، لقد تمكنا من الحصول على عدد من الوثائق غير المنشورة والمنشورة من مثل الوثائق العراقية المحفوظة في دار الكتب والوثائق في بغداد، وملفات وزارتي المعارف والداخلية. وهذه الوثائق أمدتنا بمعلومات متفاوتة الأهمية. بالإضافة إلى ذلك، تم استخدام بعض ما توفر من الوثائق البريطانية التي تخص وزارة الخارجية البريطانية(**Foreign Office**)، التي احتوت على معلومات تخص الدراسة، وتعكس رأي البريطانيين بشأنها. فيما احتوت وثائق الأرشيف الوطني للولايات المتحدة (**United State National Archive)**

---

[1] تمكنا عبر الشبكة العالمية للمعلومات(**الأنترنيت**)من الوصول الى موقع ارشيف ومكتبة الجمعية، وحاولنا عبثاً الحصول على أي شيء يخدم البحث ، ولكن دون جدوى.الا أنهم لوحوا لي بالضوء في نهاية النفق بموافقتهم على السفر الى مدينة باريس حيث مقر الجمعية . الا أن الأمال خابت عندما رفضت السفارة الفرنسية منحنا التأشيرة اللازمة .

على معلومات تخص جوانب من حياة الطائفة اليهودية في العراق. في حين قدمت المطبوعات الحكومية(**العثمانيـة منها والعراقيـة**) معلومات ذات فائدة في كشف غموض بعض جوانب موضوع الدراسة.

ولا بد من الإشارة ، أيضا، إلى أن **السالنامات العثمانية**، لاسيما سالنامات ولاية بغداد،قد قدمت معلومات قيمة عن المدارس اليهودية في الولاية. وقيمتها، في نظرنا، تبرز في تزويد الباحثين بمعلومات إحصائية عن شؤون الإدارة والخدمات ومتابعة شؤون التعليم، فضلاً عن، الإحصائيات السكانية الخاصة بالولاية. ومن المطبوعات العراقية الرسمية استَعَنا بالتقارير السنوية التي دأبت وزارة المعارف العراقية على إصدارها. هذا إلى جانب القوانين والأنظمة التي صدرت خلال النصف الأول من القرن العشرين.

فيما أحتوت وثائق الشبكة العالمية للمعلومات **(Internet)** على معلومات اولية تعكس جوانب من التعليم اليهودي في العراق وبعض من انشطة الأليانس المحلية منها والعالمية ايضاً، أذ ساهمت هذه الوثائق بمجموعها في توضيح بعض الجوانب المهمة في البحثواغنائه بالمعلومات الضرورية التي كانت تفتقر اليها العديد من الدراسات التي تناولت موضوع التعليم اليهودي بالدراسة. ومنها نذكر كتابات الباحثة **سارا منيشيه (SaraManasseh)** الواردة تحت عنوان: **Aspect of Babylonian Jewish Life in Iraq and India Durlng 19th Centures** والأخر بعنوان: **The Midrash Ben Ishhai**، وغيرهما من البحوث التي لاتقل أهمية عنهمـا.

كما أسهمت المصادر العربية والمعربة في مد الدراسة بمعلومات على جانب من الأهمية لاسيما التي تناولت التعليم كمحور أساس لها، تتصدرها دراسة الدكتور إبراهيم خليل احمد الموسومة:(**تطور التعليم الوطني في العراق 1869–1932م**)، بوصفها أول دراسة أكاديمية عن التعليم في العراق. وأهمية هذا الكتاب تأتي من كون اعتماد مؤلفه على كم لا بأس به من المعلومات الوثائقية الأجنبية منها والعراقية مكنته من الخروج بتحليلات واستنتاجات دقيقة وواضحة. أما دراسة الباحث غانم سعيد العبيدي الموسومة:(**التعليم الأهلي في العراق بمرحلتيه الابتدائية والثانوية ... تطوره ومشكلاته**)، فتعد من الدراسات المهمة لما احتوته من معلومات دقيقة ومفصلة في المحاور التي ناقشتها. وقراءة هذا الدراسة ساعدتنا في استيضاح جوانب كثيرة من التطورات والمتغيرات التي مر بها التعليم الأهلي في العراق كانت من قبل في مداركنا غامضة .

أما كتاب (**اليهود في البلدان الإسلامية 1850–1950**)، الذي حرره صموئيل أتينجر، وشارك في تأليفه مجموعة من الكتاب اليهود وهم (ميخال أفيطبول، شالوم بر- أشير، يعقوب برناي و يوسف طوبي)، الذي ترجمه الدكتور جمال الرفاعي، فيعد من الكتب المهمة التي تناولت تاريخ اليهود في البلدان الإسلامية خلال الفترة الممتدة من منتصف القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين. ويقدم الكتاب تحليلاً شاملاً للتاريخ الاجتماعي والاقتصادي والفكري ليهود آسيا والدولة العثمانية ودول شمال أفريقيا ومصر، والتحولات الجذرية التي شهدتها حياة اليهود التقليدية منذ منتصف القرن التاسع عشر حتى نهاية الفترة المحددة في موضوع الدراسة. كما يركز الكتاب على الاختلاف الشديد بين تاريخ يهود الشرق ويهود أوربا. ففي الوقت الذي نعم يهود البلدان الإسلامية بالتسامح، الأمر الذي أتاح لهم فرصة الاندماج في مجتمعاتهم، بلغت حملات اضطهادهم في أوربا، لاسيما الشرقية، ذروتها.

واعتمدت الدراسة على كتاب يعقوب يوسف كوريه المعنون بـ:(**يهود العراق ... تاريخهم، أموالهم، هجرتهم**). وكتاب يوسف رزق ا غنيمة، الموسوم:(**نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق**) بطبعته الثانية[1]، حيث أضاف الكاتب مير بصري ملحقاً عن تاريخ يهود بغداد خلال النصف الثاني من القرن العشرين، والكتاب بطبعته الثانية تلافى الكثير من الهفوات والأخطاء المطبعية مما ظهر في الطبعة الأولى.

ومن المؤلفات التي كانت تحت عناوين أكبر من محتوياتها من حيث القيمة العلمية والدقة، يأتي كتاب الدكتور فاضل البراك تحت عنوان:(**المدارس اليهودية والإيرانية في العراق ... دراسة مقارنة**)، أذ وقع المؤلف في أخطاء كثيرة كان من غير الممكن أن تمر دون الوقوف عندها مطولاً، وقد انعكس ذلك على الذين اعتمدوا عليه، حيث أنهم وقعوا في نفس الأخطاء التي وقع فيها، لذا لم نتفق معه في الكثير من الأمور، وهذا لايعني أنه يفتقر الى بعض الاشارات الدقيقة. ونفس القول ينطبق على كتابي الباحث عبد الرزاق الهلالي، الأول: (**تاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني 1638–1917م**)، الثاني:(**تاريخ التعليم في العراق في عهد الاحتلال البريطاني 1914–1921م**)، اللذان أتخذا التعليم كمحور أساس لهما، إلا أن في الكثير من المجالات مر بها مرور الكرام فضلا عن افتقارها الى الدقة العلمية، لاسيما فيما يخص التعليم اليهودي.

---

[1] صدرت الطبعة الأولى من الكتاب عام 1924 والثانية في عام 1999 في لندن.

وقد استفـادت دراستنـا من بعض الكتب المؤلفـه باللغات الأجنبيـة كالإنكليزيـة والفرنسية والتركيـة والعبريـة في تغطية بعض جوانبهـا، نذكر كتـاب نرسيس ليفن، الموسـ ـوم: (**Cinquante Ans D'histoire: L'Alliance Israélite Universelle**) بجزئيه الأول والثاني، وأهمية هذا الكتاب تأتي من كون مؤلفه هو أحـد مؤسسي الأليانـس عام 1860م، كمـا أنـه يحتـوي على الكثير مـن المعلومات والحقائـق التي عززت فهمنـا للكيفيـة التـي قامـت عليهـا الجمعيـة. أمـا كتـاب نسيـم رجـوان الموسـوم: (**The Jews of Iraq: 3000 Years of History and Culture**) فقد تناول حياة اليهود في العراق مذ قدومهم لأول مرة وحتى رحيلهم. وقـد جرى التركيز على الفصول التي تناولت حياة اليهود منذ منتصف القرن التاسع عشر حتى أواسط القرن العشرين، لاسيما التي تناولت الحيـاة الثقافية والاجتماعية، فضـلاًعـن كتـاب ديفيـد سلومـون ساسـون الموسـ ـوم: (**A History of the Jews in Baghdad**) الذي يدرس تاريخ يهود بغداد بالتفصيل منذ أقدم العصور حتى رحيلهم.

ومن الدراسات العبرية،استعانت الدراسة بكتاب إبراهام بن يعقوب، الموسوم: (**موجز تاريخ يهود بابل منذ بدايتهم وحتى اليوم**)، لكونه احتوى معلومات عن المراحل الأولى من أنشطة الأليانس في بغداد خلال القرن التاسع عشر الميلادي. وكذلك يبرز كتاب أفاريم نيمارق، الموسوم:(**رحلة إلى بلاد الشرق**)، الذي يُعَد من كتب الرحلات[1]،وكتب انطباعاته عن أحوال اليهود في بغداد تحديداً والعراق عموما، وكان قد أشار إلى وجود مدرسة الأليانس في المدينة وتأثيرها على يهودها.

كما اعتمدت الدراسة رسائل جامعية حوت معلومات ذات فائدة وقيمة تُغَذي الدراسة، ومنها نذكر أطروحة الباحث بدر مصطفى عباس لنيل درجة الدكتوراه تحت عنوان :(**الحياة التعليمية في ولاية بغداد 1869–1909م**)،لتناوله التطورات التي شهدها التعليم الحكومي في العهد العثماني إلى جانب دراسته المدارس التي كانت قد أنشأتها الأقليات والطوائف في الولاية. بالاضافه الىالاطروحة السابقة، رسالة الباحث جميل موسى النجار لنيل درجة الماجستير بعنوان:(**التعليم الحديث في العراق 1869–1918م**)، لاحتوائها على معلومات متنوعة نتيجة اعتماده الكثير من المصادر التي عاصرت أحداث موضوع رسالته. ولا بد من

---

[1] كانت مدينة بغداد إحدى المدن التي زارها المؤلف واستقر فيها فترة غير قصيرة قاربت العشر سنوات .

الإشارة هنا، إلى رسالة الماجستير التي تقدم بها الباحث مناف نعمان عبد الغني إلى جامعة مانجستر الإنكليزية :**(Iraqi School of Modern Hebrew Writers in Israel)** لتضمنها على معلومات عن الشخصيات التي درست في مدارس الأليانس من صَوْبٍ، ومعلومات عن تطور التعليم اليهودي في العصر الحديث بالنسبة العراق من صوبٍ آخر.

علاوة عما سبق اعتمدت الدراسة على عدد من البحوث والدراسات التي نشرت في الدوريات العراقية والعربية والأجنبية، منها، نبرز بحث الدكتور خلدون ناجي معروف الوارد تحت عنوان:(**لمحات عن حياة يهود العراق في العهد العثماني**)، وبحثه الآخر: (**جوانب من التعليم اليهودي ببغداد**)، وعلى الرغم من أهمية كتابات الدكتور خلدون ناجي معروف، إلا أن الملاحظ افتقارها للتحليل والاستنتاج، مع أخذها دائماً الطابع السردي.

ومن البحوث الأجنبية التي اعتمدتها في الدراسة، نجد بحث سيلفيـا حاييـم الموسوم: **(Aspect of Jewish Life in Baghdad Under the Monarchy)**. وبحث الدكتور إيلي خضوري الموسوم:(**The Jews of Baghdad in 1910)**، إلى جانب عدد آخر من البحوث والمقالات التي رقمناها في قائمة المصادر والمراجع.

ومن جانب آخر، لاتقل المجلات والصحف أهمية عن بقية المصادر الأخرى. وتأتي في مقدمتها **مجلة المصباح** التي صدرت لأول مرة العـام 1924م، واستمرت حتى العـام 1929م، مع أنها توقفت خلالها عدة مرات. فقد أحتوت معلومات كثيرة عن أنشطة مدارس الأليانس وتأثيرها في يهود العراق وتغطيتها لأنشطة الأليانس بشكل دائم. هذا دون الانقاص من قيمة الصحف والمجلات الأخرى التي سدت بعض الثغرات التي كانت تعاني منها الدراسة[1].

ولا يفوتني هنا، الإشارة إلى الأهمية التي احتلتها الموسوعات الأجنبية والعربية التي رفدت الدراسة بالكثير من المعلومات التي لا تقل أهميتها عما هو موجود في بقية المصادر والمراجع التي استقت الدراسة منها معلوماتها، ومنها نذكر **Encyclopaedia Judaica**، **The Jewish Encyclopedia** وغيرها من الموسوعات.

[1] ينظر قائمة المصادر والمراجع .

كما اعتمدت الدراسة علىعدد من اللقاءات أجريناها مع مجموعة من الشخصيات اليهودية وغير اليهودية،ممن عاصرت عمل الأليانس في العراق. ولا بد من الإشارة هنا، إلى أن الكثير من هذه المقابلات لم يتم استخدامها في هذه الدراسة لعدم قناعتنا بما ورد فيها. وتأتي سلسلة اللقاءات التي أجريناها مع اليهودي السيد توفيق شاؤول سوفير، أحد الطلبة الذين درسوا في مدرسة الأليانس في بغداد، في مقدمة هذه اللقاءات، لأننا وجدنا في إجاباته ردا على الكثير من الأسئلة التي كانت تدور في خلدنا. علماً أن الكثير من الحقائق التي ذكرها وجدناها مطابقة لما ورد في مصادر أخرى.

وأخيراً يبقى موضوع الدراسة في جملته من صنعنا وتقديرنا الشخصي، فان جاءت محققة لبعض الذي وددنا تحقيقه فذلك مبلغ أملنا ورجائنا، وإن بدا فيه نقص أو تقصير فهو ما نتحمل مسؤوليته. وهذا لايعني اننا لا نرحب بكل نقد أو توجيه من قبل لجنة المناقشة الموقرة، مادام الهدف الذي يجمعنا هو الحقيقة التاريخية ليس غير مهما كان اختلافنا أوتوافقنا.

كما أرجو أن تكون هذه الدراسة قد أسهمت في أعطاء صورة واضحة عن الموضوع،إلى جنب كونها محاولة متواضعه لسد النقص الذي تعاني منه المكتبة العربية، وأختم قولي بالأية الكريمة((**ربنا لاتؤاخذنا أن نسينا أو أخطأنا**)) .

وا من وراء القصد.

أولاً: لمحة تاريخية عن (الأليانس الإسرائيلي العالمي):

1- أوضاع يهود فرنسا:

لقد كان القرن السابع عشر الميلادي بداية لمرحلة جديدة في حياة اليهود في أوربا، إذ شهدت تحولات جذرية أسست قدراً من التحول من النظام الإقطاعي إلى الرأسمالية. ويمكن فهم تاريخ اليهود خلال هذا القرن وما أعقبه في ضوء تطور الرأسمالية وظهور الأمم الحديثة، ونمو الفكر العلمي والعلماني. فقد تركت تلك التطورات أثراً فعّالاً في حياة اليهود، إذ أدى تسارع نمو الرأسمالية إلى تحسن وضعهم في أوربا الغربية، وتدني مستوى حياتهم في أوربا الشرقية[1]، علماً أن قسماً منهم لم يستطع في البداية مسايرة المجتمعات الرأسمالية الناهضــة، وفضلوا الانتقال إلى أوربا الشرقية، حيث كانت التحولات إلى الرأسمالية بطيئة[2].

بينما كانت هذه التحولات: زيادة قوة المدن واستقلالها والصراع بين الملكية والنبلاء والكنيسة، ونمو قوة الطبقة البرجوازية من التجار والمرابين المسيحيين، وحركات الإصلاح الديني، تسير متسارعة في أوربا الغربية، في حين كان اليهود ما يزالون يعيشون في أحيائهم المغلقة (**الجيتو**)[3] من دون الاختلاط مع بقية سكان بلدانهم[4].

تكلل الصراع في أوربا بين النظام شبه الإقطاعي القديم والتطورات الجذرية التي كان يشهدها المجتمع الأوربي بقيام الثورة الفرنسية العام 1789م، وبدورها أثرت كثيــراً

---

(1) **Encyclopedia International**, vol. 10, Canada, 1968, P.27..

(2) Ibid., P28

(3) **الجيتــو (Ghetto)**، مصطلح شائع الاستعمال والمقصود به، مجتمع محلي صغير منعــزل، ويكون في العادة متجانساً عنصرياً وثقافياً على الرغم من أنــه يوجد داخل مجتمع كبير. وقد تكون عزلة هذا المجتمع مفروضة سياسياً أو اقتصادياً أو طوعياً. للتفاصيل ينظــر/عاطف غيث، **قاموس علم الاجتماع**، القاهرة، 1979، ص 208.

(4) عبد الوهاب المسيري ، **أيديولوجيــة الصهيونية ... دراسة حالــة في علم اجتماع المعرفــة**، القسم الأول، الكويت، 1982،ص 55-58.

في فرنسا خاصة[1]، وأوربا عامة. فجاء إعلان حقوق الإنسان والمواطنة عام اليهـود 1789م ليتحول إلى مثال يحتذي به اليهود[2].

كانت فرنسا أول دولة أوربية تمنح يهودها الحقوق المدنية، سنة 1791م، أسوة بباقي المواطنين الفرنسيين. وذلك بعد أن ألغت نظام الإقطاع، ومنعت التمييز بين المواطنين بسبب عقيدتهم الدينية[3]. وأظهر معظم اليهود ولاءهم للثورة وتطوع بعضهم في الحرس الوطني معبرين عن تأييدهم للجمهورية الجديدة.إلا أن عهد الإرهاب(1794–1796م)،على الرغم من قصره، أثر في حياتهم وقيد شعائرهم الدينية نتيجة الاضطرابات والفوضى التي عمت فرنسا. ودفع الكثير من اليهود حياتهم ثمناً لذلك. إلا أن صدور دستور حكومة الإدارة عام 1795م، عاد وأقر المساواة بين اليهود وبقية المواطنين الفرنسيين من جديد[4].

بعد اعتلاء نابليون بونابرت الحكم في فرنسا، حاول إنهاء عزلة اليهود، ودعا إلى تأسيس مجلس من اليهود أطلق عليه اسم **السنهدرين**[5]خلال الحقبة(1806–1807م)

---

(1) بلغ تعداد يهود فرنسا عشية الثورة الفرنسية زهاء خمسين ألف نسمة، يعيش 80% منهم في مقاطعة الألزاس واللورين في ظروف متدنية من المعيشة، إلى جانب وجودهم في باريس وبوردو. ينظر/

The Encyclopedia Americana, vol. 16, Washington, 1962, P83.

(2) شمعون دوفنوف، **تاريـخ اليهـود**، تل أبيب، 1969، ص 538-540. (**باللغة العبرية**).

(3) المصدر نفسه ،ص540 ؛ محمد عبد الرؤوف سليم، **تاريـخ الحركـة الصهيونيـة الحديثـة**، القسم الأول، القاهرة، 197، ص 47.

(4) **The Encyclopedia Americana**, vol. 16, Washington, P.83.

(5) **السنهدرين (Sanhedrin)**، كلمة يونانية تعني (**مجلس**) كانت تطلق على الهيئة العليا المختصة بالنظر في القضايا السياسية والجنائية والدينية المهمة في فلسطين. وهي نوع من المحاكم تمارس تطبيق العدالة وإصدار الأحكام طبقاً للقوانين اليهودية في ذلك الوقت،وتأسس في عام 200 ق.م، ويتألف المجلس من 71 عضواً ومقره القدس ويجتمع في الهيكل ووظيفته تشريعية، وله صلاحية العمل كمحكمة وتتخذ قراراتها بموافقة الأغلبية. ينظر/ عبد الوهـاب المسيري وسوسن حسـين، المصـدر السابق، ص217.



لمناقشة المسألة اليهودية وتحديث وضع اليهود جذرياً[1]. فصدرت مجموعة من التنظيمات اعترفت باليهودية ديانة سماوية وباليهود أقلية، وحصلوا على حقوقهم، وأصبح الحاخامات اليهود مسؤولين عن سلوكهم أمام الدولة. إلا أن بعض اليهود رفضوا هذه الإصلاحات وأطلقوا عليها تسمية (**القرار الشائن**) لأنها سببت، حسب رأيهم، الكثير من المشقة لليهود، وميزت بينهم وبين بقية المواطنين. وعلى الرغم من كل الاحتجاجات أدى القانون إلى تناقص اشتغال اليهود بالربا وتجارة التجزئة وبيع الملابس القديمة وغيرها من المهن المتواضعة. وبحلول عام1811م كانت أعداد كبيرة من اليهود تعمل بتجارة الجملة والحرف اليدوية والأعمال الميكانيكية والمهن المربحة الأخرى[2].

وفي عام1830م منحت للديانة اليهودية المركز نفسه الذي احتلته الديانة المسيحية[3]، بعد أن أُقرت المساواة بين الأديان. لكن فرنسا لم تكتف بهذا الدور، الذي أدته بالنسبة ليهودها، وإنما عملت على نقله إلى الدول الأوربية الأخرى التي خضعت لسيطرتها[4] على اثر الحروب النابليونية[5]. فقد أجبر حكام هولندا وإيطاليا وبروسيا وسويسرا وإسبانيا والبرتغال على منح رعاياهم من اليهود الحقوق نفسها التي منحتهم إياها فرنسا، حيث وافق **نابليون بونابرت** على تشكيل مجالس لليهود في المناطق التي يزيد عدد اليهود فيها عن ألفين نسمة[6]. وفي شبه الجزيرة الإيبيرية، ألغى محكمة التفتيش في إسبانيا عام 1808م، على الرغم من انه لم يكن هناك طائفة يهودية في ذلك الوقت[7].

---

(1) Narcess Leven , Cinquante Ans d’Histoire L’Alliance Israélite Universelle 1860–1910, Paris , 1911, P.47.

(2) عبد الوهاب المسيري، المصدر السابق، ص 61-63 ؛ أمين عبد ا محمود، **مشاريع الاستيطان اليهودي منذ قيام الثورة الفرنسية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى**، الكويت، 1984، ص 17.

(3) شموئيل أطينغر، **تاريخ اليهود في العصر الحديث**، تل أبيب، 1969، ص 86 .(**بالعبرية**).

(4) بفضل نفوذ بونابرت صدر قانون يمنح حقوق المواطنة والمساواة في هولندا سنة 1796م، وفي وستفاليا ومدن الهانسا سنة 1811م، وفي فرانكفورت سنة 1812م، كما صدرت قوانين حررت اليهود في إنكلترا سنة 1858م، وفي إيطاليا 1859م، وفي النمسا 1867م، وفي ألمانيا 1869م. وأعلن يهود وسط أوربا ولائهم للدول التي يعيشون فيـها. ينظر/محمد عبد الرؤوف سليم، المصدر السابق، ص 47 ؛ Narcess Leven, op. Cit. , Pp. 48-50.

(5) شمعون دوفنوف، المصدر السابق، ص 543–546.

(6) المصدر نفسه، ص547.

(7) The Encyclopedia Americana, Vol. 16, P. 83.

وهكذا كان عهد نابليون بونابرت مرحلة ازدهار اقتصادي لليهود ليس في فرنسا فحسب، بل في كل بقعة وصلت إليها القوات الفرنسية المحتلة.

بعد اندحار بونابرت وجلاء القوات الفرنسية من الدول التي كانت تسيطر عليها، أصيب يهود هذه المناطق بانتكاسة كبيرة على العكس من يهود فرنسا الذين بقوا يتمتعون بحقوقهم التي حازوا عليها[1]. ولكن الأمور سرعان ما عادت لصالحهم، لأن عجلة الإصلاحات، التي حركتها الثورة الفرنسية، لم تتوقف عن السير في مختلف دول أوربا الغربية، وذلك على الرغم من الردة الرجعية التي سادت أوربا، بعد احتواء الثورة. فحالة الغليان والمطالبة بالإصلاحات استمرت في أوربا، على الرغم من القيود والإجراءات التي أقرها مؤتمر فينا عام1815م لمجابهتها، لتصل إلى قمتها، مع ثورات عام 1848م في عدة مناطق أوربية، ولتعود الدول الأوربية إلى منح حقوق أوسع لمواطنيها، بما فيهم اليهود[2].

أثرت التغييرات السياسية التي شهدتها فرنسا في يهودها اجتماعياً وثقافياً واقتصاديا، ومن ثم على مواقفهم السياسية. مِمّا شجع على دعوة بعضهم بضرورة الاندماج كأفراد في المجتمع الفرنسي، بعد ما تفككت تدريجياً الروابط الدينية– الطائفية التي كانت تشد بعضهم لبعض[3]. وحلت محلها القيم الجديدة التي سادت عصرهم[4].

حقق هذا الاندماج من جانب يهود فرنسا في المجتمع المحلي بروز الكثير منهم في مجالات عدة، سواء كانت العلمية منها أو الثقافية وحتى السياسية. وأخذت تطرأ تغييرات كثيرة على حياتهم الاجتماعية بعد انتقالهم من الريف إلى المدينة. وصاحب ذلك تغيير في طبيعة أعمالهم، حيث اتجه الكثير منهم للعمل في الأنشطة التجارية[5]. وقد ساهم تحريم الكنيسة المسيحية التعامل بالمال والربا منذ مطلع القرن التاسع عشر في تعزيز هيمنة

---

[1] شمعون دوفنوف، المصدر السابق، ص 534.

[2] Abraham Leon Sachar, A history of the Jewish, New York, 1939, Pp. 292–293.

[3] يحييل هلبرين، **الثورة اليهودية**، تل أبيب، 1961، ص 160 –161 (**باللغة العبرية**)؛ إسحاق دويتشر، **اليهودي اللايهودي**، ترجـمة: ماهر الكيالي، بيروت، 1971، ص 42.

[4] شموئيل اطنيغر، المصدر السابق، ص 115.

[5] يحييل هلبرين، المصدر السابق، ص 147 – 151.

اليهود على أسواق المال، الأمر الذي قوى من نفوذهم في الدول الأوربية الغربية، لاسيما في فرنسا. وبرزت طبقة الرأسماليين اليهود، الذين أصبحوا بمرور الوقت زعماء الطوائف اليهودية، وأخذوا يتقربون من حكام بلدانهم ومثقفيها. وعُدّوا فيما بعد قدوة لباقي أبناء جلدتهم للسير في أثرهم، والانصهار في بوتقة المجتمع وترك جانب العزلة[1].

لقد ساهمت التطورات الاقتصادية والاجتماعية التي كانت تعيشها أوربا الغربية في أن يجد اليهود دوراً لهم ليحتلوا مراكز حيوية مهمة ومهيمنة في الميادين المالية والاقتصادية في البلدان التي سبق وان طردوا منها. وفي آثر ذلك، بدأت الدول الأوربية الغربية، الواحدة تلو الأخرى، تفتح أبوابها مجدداً أمام اليهود للعودة من جديد من دون القيود التي كانت مفروضه عليهم من قبل [2].

ساهمت الظروف الإيجابية التي أصبحت تسود أحوال يهود فرنسا في معارضتهم لفكرة الانفصال. وصدرت دعوات من اجل الاندماج في المجتمع الفرنسي، وقد أتاح لهم ذلك شغل مناصب حكومية كبيره مهمة حتى صار البعض منهم يشغل منصب وزير[3]،ومن أشهرهم **أدولف كريميو Adolphe Crémeux** [4]، كما لم يقتصر نشاط يهود فرنسا في العمل على الاندماج فحسب، وإنما ظهرت معارضة للفكرة الصهيونية. ورفضوا فكرة أن اليهود في أوربا يعيشون في المنفى[5].

---

[1] شموئيل اطينغر، المصدر السابق، ص 116.

[2] بديعة أمين، **المشكلة اليهودية والحركة الصهيونية**، بيروت، 1974، ط1، ص 105.

[2] Michael R. Marrus, **The Politic of Assimilation … a study of the French Jewish Community at the of the Dreyfus Affaire**, Oxford, 1971, P. 16.

[4] **إسحاق موشي كريميو**(1796–1880)، لقب بـ(**أد واف كريميو**) من مواليد نيم الفرنسية، وهو يهودي فرنسي الجنسية. ساهم في الحياة السياسية، لا سيما بعد حصوله على شهادة المحاماة، أصبح وزيراً للعدلية في عهد الحكومة المؤقتة عام 1848، كان عضواً في الجمعية الفرنسية خلال الحقبة1851–1869م، تسلم وزارة العدلية من جديد عام1871م. وكان له الدور الرئيسي في صدور قانون يمنح يهود الجزائر حق المواطنة الفرنسية. عُين عضواً في مجلس الاعيان حتى وفاته. كما تولى رئاسة (**الأليانس الإسرائيلي العالمي**) قرابة 15 سنة. مات في باريس في 15 أيلول/ستمبر 1880م. انظر/ **مجلة المصباح**، العدد 75 في 1925/11/7.

[5] بديعة أمين، المصدر السابق، ص 109 ؛ محمد عبد الرؤوف، المصدر السابق، ص 48.

لم يكتف مؤيدو الاندماج من يهود فرنسا في معارضة الفكرة الصهيونية ودعوتهم الى الإصلاح الديني. وإنما وجدوا أهمية العمل في حماية أحوال اليهود، وتحسينها بصوره عامة ،بما يعزز من فرص اندماجهم في المجتمعات القائمين فيها. ووجدوا في يهود أوربا الشرقية نموذجاً للظروف السيئة التي يعيشونها، لاسيما أن هذه المنطقة كانت لا تزال تتنفس من خلال رئة إقطاعية لم تبدأ بالضمور إلا في أواخر القرن التاسع عشر[1].

هذا الشعور، بالارتقاء بأحوال يهود أوربا الشرقية، من جانب يهود فرنسا، ساهم بشكل فعال في تبلور الأفكار لغرض إنشاء جمعية يهودية تأخذ على عاتقها العمل من اجل الارتقاء بالمستوى الثقافي والاجتماعي بما يسهل من عملية اندماجهم في مجتمعاتهم.

2 – الظروف الممهدة لتأسيس الأليانس

دأب يهود فرنسا، بعد حصولهم على حقوقهم المدنية ووصولهم إلى مرحلة متقدمة من الاندماج في ثنايا المجتمع الفرنسي، على العمل من اجل مساعدة اليهود خارج نطاق الأراضي الفرنسية[2]، لاسيما وان الأخبار السيئة عن أحوالهم كانت تصل تباعاً بفضل تطور الاتصالات وانتشار الصحف على نطاق واسع[3]، فيما شكل شيوع تدخل الدول الأوربية، خلال القرن التاسع عشر، لحماية الطوائف المسيحية في المشرق الإسلامي حافزاً للعمل الجاد لحماية أبناء جلدتهم والدفاع عنهم تجاه الاضطهاد والحرمان الذين يعانونهما في مجتمعاتهم[4].

على الرغم من كون يهود الشرق، لاسيما يهود الدولة العثمانية، عاشوا حياة هادئة قياساً بأحوال اليهود في أوربا الشرقية، أذ كانوا يزاولون أنشطتهم الاقتصادية بحرية تامة على العكس من أقرانهم في روسيا القيصرية أو بولندا على سبيل المثال، الذين كان يحظر

---

[1] بديعة أمين، المصدر السابق، ص 104.

[2] ميخال افيطبول، المصدر السابق، ص 73.

[3] Bernard Lewis, **The Jews of Islam**, New Jersey, 1984, P. 141

[4] ميخال افيطبول، المصدر السابق، ص73.

عليهم تعاطي الكثير من الحرف وحصر سكانهم في مناطق معينة دون غيرها[1]. ولكن، على الرغم من ذلك كأن يهود الدولة العثمانية وبلاد فارس[2] يواجهون بعض المشاكل في حياتهم،لا بسبب حالة الكراهية، كما الحال في أوربا، وإنما كانوا يشكلون الجانب الأضعف في البناء الاجتماعي وأداة إغراء في حالة حدوث أي تمرد في المدن العثمانية[3] ،لكن سرعان ما كانت هذه الأحداث تنتهي حال تدخل السلطات المحلية العثمانية لحمايتهم[4].

لقد أعطت صعوبة الظروف التي كانت تحيط بحياة اليهود في مناطق شتى من العالم تصوراً ليهود فرنسا على وجه التحديد، ويهود أوربا الغربية عموماً، بأهمية العمل الجاد لوضع أسس عمل منتظمة لغرض الدفاع عن حقوق أبناء جلدتهم بما يعزز من طبيعة دورهم في مجتمعاتهم عبر خلق وسائل تعجل بالاندماج وتنهي عوامل العزلة التي كانت سبباً هاماً في تعرضهم للكراهية من جانب بقية أبناء المجتمعات التي يعيشون فيها[5]. والملاحظ أن هذه الدعوات استمرت مجرد كلام يقال في المناسبات وتصريحات تصدر عن كبار الشخصيات اليهودية في أوربا آنذاك. وقد استمر هذا الحال طوال النصف الأول من القرن التاسع عشر. ولم تأخذ هذه الدعوات الطابع العلمي إلا بعد وقوع عدة اعتداءات شملت اليهود في مناطق مختلفة، تركت انطباعات لدى يهود فرنسا بأهمية الإسراع في تجميع جهودهم وتنظيمها في إطار موحد خدمةً ليهود العالم. وبذلك انتقل العمل من إطاره النظري إلى الجانب العملي التطبيقي الفاعل.

ونظراً لأهمية هذه الأحداث كان لابد من الإشارة إليها لمعرفة اثر كل واحدة منها في ظهور الأليانس كجمعية تعمل لصالح تطوير قدرات يهود العالم بما يؤمن اندماجاً كلياً

---

[1] يوسف رزق ا غنيمة، المصدر السابق، 185.

[2] للمزيد المعلومات عن ظروف معيشة يهود بلاد فارس وعلاقتهم ببقية أفراد المجتمع، يمكن الرجوع الى: Bernard Lewis, op. cit., P. 167 – 168 .

[3] يوسف رزق ا غنيمة، المصدر السابق، 185.

[4] انظر على سبيل المثال ما حدث من تمرد في بغداد عام 1870م بسبب إعلان نظام التجنيد الإجباري في عهد الوالي مدحت باشا ومارافق ذلك من اعتداءات على يهود المدينة. والإجراءات التي اتخذها مدحت باشا في حمايتهم. ينظر/ **سالنامة ولاية بغداد**، السنة1388هـ/1871م،ص177.

[5] The Jewish Encyclopædia, vol. I, P. 413.

في مجتمعاتهم. فالآثار التي تركتها أحداث دمشق تجاه اليهود عام 1840م سجلت تدخلاً قوياً من جانب يهود أوربا للدفاع عنهم لدى السلطات الحكومية آنذاك.

بدأت تفاعلات أحداث ما يعرف بأحداث دمشق في الخامس من شباط/فبراير عام 1840م، عندما اختفى أحد أطباء البعثات التبشيرية، وهو الطبيب الراهب(**توماس توما الكبوشي**) مع خادمه، بعد دخوله الحي اليهودي في مدينة دمشق[1]. واكتشف ذلك بعد تغيبه عن حضور دعوة **الطبيب مساري**، طبيب حاكم دمشق **شريف باشا**، لرهبان الأديرة في بلاد الشام لتناول طعام الغذاء في اليوم التالي من اختفائه. فقد حضر جميع الرهبان الدعوة باستثناء الأب توماس، وقد شعر الرهبان بالقلق إزاء غيابه. وهذا الشعور دفعهم للذهاب مباشرة، بعد انتهاء وجبة الغذاء، إلى مقر القنصل الفرنسي العـام في بـلاد الشام الكونت **راتي منتون** **Ratti Menton** [2]، وأبلغوه بغياب الأب توماس، وقد وعدهم بمتابعة الأمر بالحال[3].

بعد تحقيقات أولية قام بها منتون ألقى بمحصلتها الاتهام على اليهود بضلوعهم في اختفاء الأب توماس، لا سيما أن بعض الشهود شاهدوه وهو يدخل الحي اليهودي عصر يوم اختفائه[4]. وترجع ماريون ولفسون إصرار منتون على اتهام اليهود بالرغم من توفر أدلة أخرى، حسب رأيها، إلى الكراهية التي يحملها تجاه اليهود هو وبعض الرهبان المتعصبين، بقولها:" **وبسبب ما طرحه البعض بسذاجة بأنهم قد رأوا الراهب توماس في الحي اليهودي فقد ركز منتون تحرياته على اليهود ورفض التحقيق في أماكن أخرى على الرغم من توفر الدليل على براءتهم من ذلك "[5].**

---

(1) كانت مدينة دمشق تخضع خلال هذه الفترة لحكم محمد علي باشا بعد سيطرة قواته عليها.

(2) تشير **ماريون ولفسون** إلى كون منتون عرف عنه بانحداره الخلقي والانتهازية فضلاً عن كرهـه لليهود مما جعله يصعد من الموقف لغرض الانتقام منهم. ينظر/

Marion Woolfson, Prophets in Babylon … Jaws in the Arab World, Boston, 1980, P. 94.

(3) Ibid.

(4) مأمون كيوان، **اليهود في الشرق الأوسط... الخروج الأخـير من الجيتو الجديد**، عمان، 1996، ط1، ص42 ؛

Encyclopaedia Judaica, vol. 4, Jerusalem, 1971, P. 1249.

(5) Marion Woolfson , op. cit., P. 95.

في ضوء التحقيقات التي اجراها منتون، طلب من حاكم دمشق إجراء تحقيق فوري. فاصدر الأخير أوامره بذلك وإجراء البحث للكشف عن مصير الأب توماس وخادمه. وكلفت الشرطة في تفتيش الأماكن المشبوهة في الحي اليهودي وبعض المنازل فيه، واعتقل اليهود من ذوي السوابق للتحقيق معهم[1]. وخلال التحقيق واعتراف احدهم، ويدعي **سليمان سلوم**، بأن الحاخام **بيخار يهودا سلانيكي** والحاخام **موسى أبو العافية وداود هرا ري** واخوته **إسحاق وهارون ويوسف هرأري ويوسف لينيادو** و**إسحاق بيجوتو** قد قاموا بقتل الأب توماس[2]، وجرى اعتقال هؤلاء، حيث نفوا علاقتهم بما حدث. ولكن بعد تحقيقات طويلة، وتحت ضغط القنصل الفرنسي، اعترف المتهمون بالجريمة. وقد أشيع بان الغرض من ارتكاب الجريمة الحصول على الدم[3] الذي يستخدم في صنع فطيرة يوم الغفران[4].

أحيل المتهمون البالغ عددهم ستة عشر شخص إلى المحكمة، وقد صدرت الأحكام بحقهم وكان إعدام عشرة منهم لثبوت التهمه عليهم[5]. وعلى اثر ذلك، شهدت مدينة دمشق اضطرابات دامية وأعمال نهب وسلب لممتلكات يهودها بحجة الانتقام لفعلتهم[6]. ولابد من الإشارة هنا، إلى كون هذه الأحداث جرت بتحريض خارجي، فالكراهية التي أثارت المسيحيين في المدينة، وليس المسلمين، جاءت بفعل الدور الذي قام به القنصل الفرنسي منتون والجمعيات التبشيرية المسيحية، حيث استغل هؤلاء الحصانة التي يتمتعون بها من جانب دولهم في تحريض العامة ضد اليهود. ويظهر أن الغرض من وراء أثارت هذه الفتنه ضد اليهود السعي للحصول على امتيازات اكثر من جانب السلطات المحلية بغية توسيع نشاط الجمعيات التبشيرية[7].

---

(1) The Jewish Encyclopidea , vol. 2, P. 420.

(2) مأمون كيوان، المصدر السابق، ص42.

(3) يشاع أن اليهود يحلو لهم أكل فطيرة **يوم الغفران**،وهي ذكرى جلائهم عن مصر، ممزوجة بالدم المسيحي حسب تقاليد متوارثة.

(4) مأمون كيوان، المصدر السابق، ص 44.

(5) Encyclopaedia Judaica , vol. 4, P. 1250.

(6) مأمون كيوان، المصدر السابق، ص46.

(7) Narcess Leven, op. cit, P. 63.

أثارت الأحكام التي صدرت بحق اليهود المتهمين وما أعقبها من أحداث ردود فعل كبيرة في أوساط يهود أوربا بعد وصول الأخبار إليهم عبر الصحف الأوربية. وتدخلت الشخصيات اليهودية من سياسيين وكتاب ورأسماليين وأعلنت عن رفضها لما حدث، وطالبوا حكوماتهم بالعمل على حماية أبناء جلدتهم. ولم يكتف بهذا الحد، و إنما أعلن الوزير الفرنسي أدولف كريميو عن رفضه لما حدث لليهود في دمشق. وأعلن عن تشكيل وفد يمثل يهود أوربا يتوجه إلى مصر لمقابلة محمد علي باشا. وبالفعل سافر الوفد المؤلف من **أدولف كريميو وموسس مونتيفلور Mosses Monte Flore** والكاتب اليهودي **سلمون مونك Solomon Munk** الى القاهرة [1]. وقد تمكنوا من الحصول على عفو عن المتهمين من قبل **محمد علي باشا**،كما طالب الوفد ضرورة تحرك السلطات الحكومية لغرض وضع حد للظروف المتردية التي يعيشها اليهود وتوفير الحماية لهم[2].

لم تنتهِ الأمور عندها الحد، وإنما أخذت حالة الكراهية من جانب الطوائف المسيحية تتصاعد ضد اليهود ، فبعد شهور قليلة من حادثة دمشق أي في أواخر عام 1840م، وقعت أعمال عنف ضدهم بعد مقتل طفل مسيحي قي العاشرة من عمره في جزيرة رودس، الخاضعة للحكم العثماني، فاتهم المسيحيون اليهود بقتله. وبالمحصلة كرست هذه الحادثة الكراهية لليهود على نطاق واسع، فتعرض يهود بيروت للاعتداءات من جانب الطوائف المسيحية لم تنته إلا بعد تدخل القنصليين الروسي والهولندي. كما شهدت مصر حالات مماثلة من التهم لليهود، لكونهم مسؤولين عن حوادث قتل المسلمين. ألا انهم كانوا محظوظين حيث لم تتولد نتائج خطيرة كما هو الحال في دمشق[3]. إزاء هذه الظروف التي كانت تحيط باليهود في مناطق عدة من العالم، اخذ الكتاب اليهود يطلقون دعاويهم عبر الصحافة الفرنسية بالعمل الجاد من اجل تأسيس جمعية تأخذ على عاتقها الاهتمام بشؤون اليهود في العالم وتعمل على اندماجهم في مجتمعاتهم المحلية بعد تطوير إمكانياتهم الثقافية والعلمية[4].

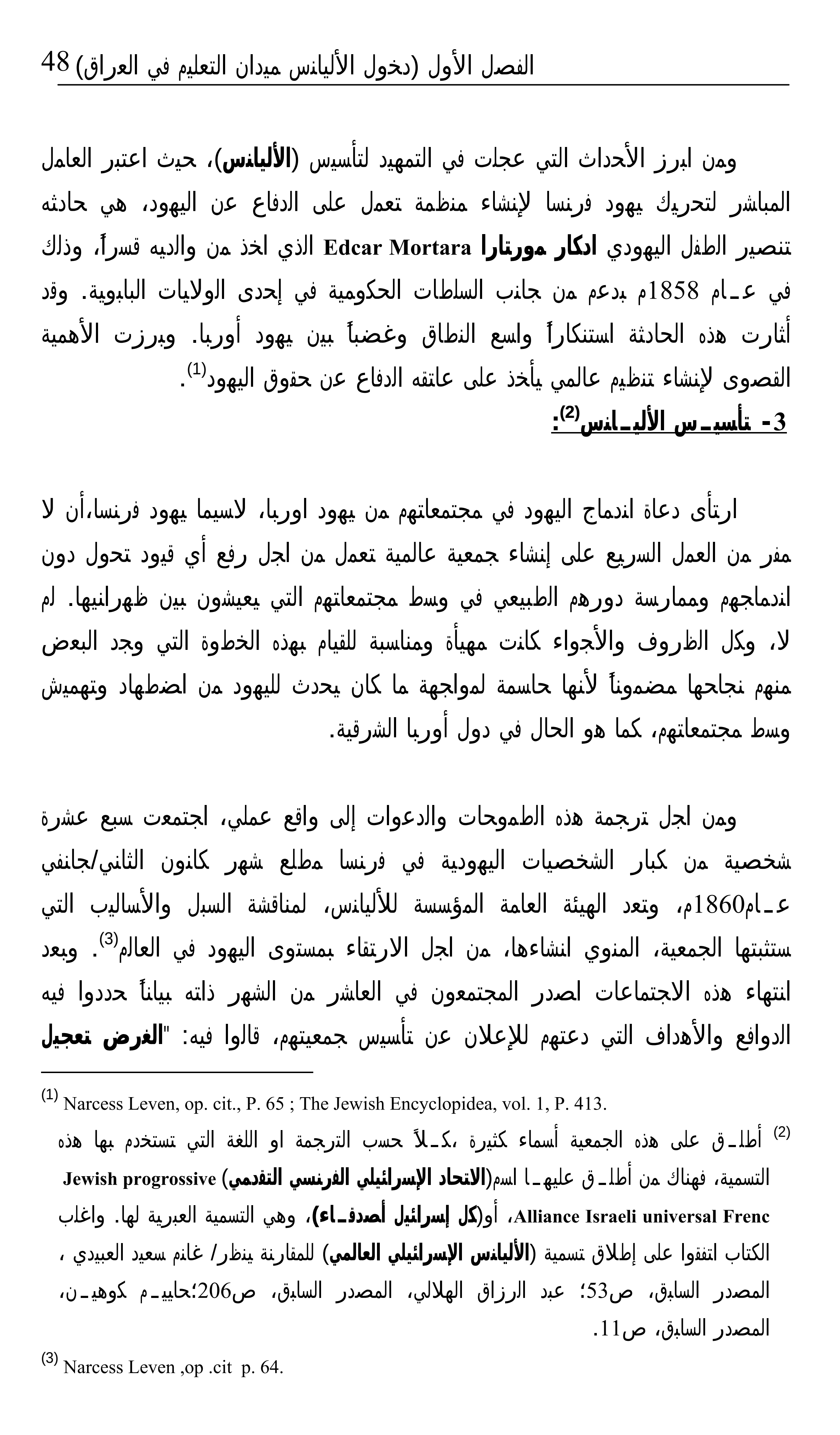
---

(1) Narcess Leven, op. cit, P. 65 ; The Jewish Encyclopidea, vol. 1, P. 413 ; Encyclopaedia Judaica, vol. 4, P. 1250.

(2) Narcess Leven, op. cit, P. 65.

(3) Marion Woolfson, op. cit., P. 95.

(4) The Jewish Encyclopidea, vol. 1, P. 413.



ومن ابرز الأحداث التي عجلت في التمهيد لتأسيس (**الأليانس**)، حيث اعتبر العامل المباشر لتحريك يهود فرنسا لإنشاء منظمة تعمل على الدفاع عن اليهود، هي حادثه تنصير الطفل اليهودي **ادكار مورتارا Edcar Mortara** الذي اخذ من والديه قسراً، وذلك في عـام 1858م بدعم من جانب السلطات الحكومية في إحدى الولايات البابوية. وقد أثارت هذه الحادثة استنكاراً واسع النطاق وغضباً بين يهود أوربا. وبرزت الأهمية القصوى لإنشاء تنظيم عالمي يأخذ على عاتقه الدفاع عن حقوق اليهود[1].

3- تأسيـس الأليـانس[2]:

ارتأى دعاة اندماج اليهود في مجتمعاتهم من يهود اوربا، لاسيما يهود فرنسا،أن لا مفر من العمل السريع على إنشاء جمعية عالمية تعمل من اجل رفع أي قيود تحول دون اندماجهم وممارسة دورهم الطبيعي في وسط مجتمعاتهم التي يعيشون بين ظهرانيها. لم لا، وكل الظروف والأجواء كانت مهيأة ومناسبة للقيام بهذه الخطوة التي وجد البعض منهم نجاحها مضموناً لأنها حاسمة لمواجهة ما كان يحدث لليهود من اضطهاد وتهميش وسط مجتمعاتهم، كما هو الحال في دول أوربا الشرقية.

ومن اجل ترجمة هذه الطموحات والدعوات إلى واقع عملي، اجتمعت سبع عشرة شخصية من كبار الشخصيات اليهودية في فرنسا مطلع شهر كانون الثاني/جانفي عـام1860م، وتعد الهيئة العامة المؤسسة للأليانس، لمناقشة السبل والأساليب التي ستتبنها الجمعية، المنوي انشاءها، من اجل الارتقاء بمستوى اليهود في العالم[3]. وبعد انتهاء هذه الاجتماعات اصدر المجتمعون في العاشر من الشهر ذاته بياناً حددوا فيه الدوافع والأهداف التي دعتهم للإعلان عن تأسيس جمعيتهم، قالوا فيه: "**الغرض تعجيل**

---

(1) Narcess Leven, op. cit., P. 65 ; The Jewish Encyclopidea, vol. 1, P. 413.

(2) أطلـق على هذه الجمعية أسماء كثيرة ،كـلاً حسب الترجمة او اللغة التي تستخدم بها هذه التسمية، فهناك من أطلـق عليهـا اسم(**الاتحاد الإسرائيلي الفرنسي التقدمي**) **Jewish progrossive Alliance Israeli universal Frenc**، أو(**كل إسرائيل أصدقـاء**)، وهي التسمية العبرية لها. واغلب الكتاب اتفقوا على إطلاق تسمية (**الأليانس الإسرائيلي العالمي**) للمقارنة ينظر/ غانم سعيد العبيدي ، المصدر السابق، ص53؛ عبد الرزاق الهلالي، المصدر السابق، ص206؛حاييـم كوهيـن، المصدر السابق، ص11.

(3) Narcess Leven ,op .cit p. 64.

التحرير الكامل وترسيخه بالتجديد الأخلاقي والفكري لإخواننا فان ذلك من المهام الرئيسة التي يضطلع بها الأليانس الإسرائيلي العالمي والتي يكرس لها نفسه"[1].

ويشير الكاتب يعقوب فسزبر في إطار حديثه عن دوافع تأسيس الأليانس إلى الظروف التي أحاطت اليهود في مناطق عدة من العالم، لاسيما حادثتي دمشق والصبي ادكار مورتارا، حيث اعتبرهما من الأسباب المهمة في تأسيس الأليانس الإسرائيلي العالمي، لأنهما تركتا انشغالات كبيرة في الأوساط اليهودية الفرنسية لما يجرى لليهود خارج بلادهم [2]. فيما يشير ميشيل موريس إلى كون: "**الظروف الصعبة التي يعيش فيها اليهود، حيث كانت معدلات الوفيات بينهم عاليه لانخفاض مستوى الاهتمام الصحي، وكذلك معدلات أعمارهم بسبب تخلف وسائل الحياة التي يعيشونها**"[3]. ومهما اختلفت الآراء والأسباب في تحريك يهود فرنسا لإنشاء الأليانس، فان الواضح من الأمر أنهم أرادوا بخطوتهم هذه نشر التوعية الثقافية والفكرية بين يهود العالم بما يعزز من مكانتهم الاجتماعية التي تأثرت كثيراً بسبب السلوك المادي الذي عرف عنه اليهود عبر التاريخ.

أعطت السلطات الفرنسية موافقتها لممارسة الأليانس نشاطها شرط أن يقتصر هذا النشاط داخل الأراضي الفرنسية على تواجد المركز الرئيسي للجمعية وتسير شؤون الفروع والمؤسسات التي سوف تقوم بافتتاحها في الخارج، إلى جانب تشجيع السلطات الفرنسية لها،أي الجمعية، على نشر الثقافة الفرنسية في مناطق عملها، واعتبارها أحد الأهداف التي تعمل على تحقيقها[4]. بعد إجازة الأليانس جرت في الأول من شهر مايس/ماي عـام 1860م عملية انتخابات أول هيئة إدارية لتسير شؤونها مؤقتاً لحين انعقاد الهيئة المركزية وانتخابات الهيئة الإدارية بشكله القانوني[5]. وكانت تتألف من[6] :

---

(1) The Jewish Encyclopedia, vol. 1, p.43.

(2) يعقوب فسزبر،**الأليانـس**،في: **الموسوعة اليهودية** ،ج1، القدس ،1970،ص202 (**باللغة العبرية**).

(3) Michel R. Marrus, op. cit. p.17.

(4) Elie kedourie, **The Alliance Israélite Universelle 1860-1960**, Jewish Journel of Sociology No.9, 1967 p.94.

(5) Narcess Leven, op. cit, P. 68.

(6) Ibid p.67.

1– ارستيد اشروك Arrested Astruc

2– اسيدرو كاهن Isidore Cohen

3– جولس كارفالو Jule Carvallo

4– نارسيس ليفين[1] Narcess Leven

5– ايجين مانويك Eugene Manuel

6– جارلس نيتر Cherles Netter

إن حصول الأليانس على موافقة السلطات الفرنسية جنبها مبدأ العمل السري، فضلاً عن أنها كانت تعمل بنفس هذه الروح في كافة فروعها التي غطت ثلاث قارات،هي آسيا وأفريقيا وأوربا، فبذلك لم يقتصر عملها على مناطق محدودة كالمغرب والبلقان كما يشير **Walter Laqueur**[2]. وباتساع نشاطها عدت من اكبر الجمعيات الخيرية التي أنشئت في أواسط القرن التاسع وركزت اهتمامها المباشر على الارتقاء بالمستوى الثقافي والفكري لليهود في العالم، من دون التدخل في القضايا السياسية التي اعتبرت من جانب

تشير بعض المصادر إلى كون **ادولف كريميو** هو مؤسس الأليانس في باريس، وهذا الكلام غير دقيق، لكن كريميو بطبيعة الحال كان له دور فعال في ظهور هذه الجمعية للوجود، لاسيما وانه أحد أعضاء الهيئة المؤسسة. ولكن نظراً لإنشغالات كريميو السياسية آنذاك جعلته بعيداً عن قيادة الأليانس خلال سنواتها الثلاث الأولى وبعد تفرغه لشؤون الأليانس تولى قيادتها لسنوات طويلة. للمقارنة ينظر/ شريف يوسف، **مدارس الاتحاد الإسرائيلي الأليانس في العراق...وعلاقتـها بالحركة الصهيونية العالميـة**، مجلة آفاق عربيـة، العـدد 5، 1981، بغداد ،ص51؛

.Narcess Leven, op.cit, p.67

[1] يعتبر **نارسيس ليفن** من اكثر العناصر التي كانت على تماس بنشاطات الأليانس،حيث شغل منصب سكرتير عام خلال الفترة المحصورة ما بين عام 1863– 1883م، ونائباً لرئيس خلال الفترة المحصورة ما بين عام 1883-1898م، ثم رئيساً للأليانس خلال الفترة المحصورة ما بين عام1898-1919م. وفترة عمله الطويلة هذه مكنته من الاطلاع على كل ما يتعلق بالأليانس، وكانت محصلتها تأليف كتاب عن تاريخ الأليانس خلال الستين عام الأولى من عملها. **انظر جدول رقم (4).**

[2] Walter Laqueur ,**A history of Zionism**, London, 1972, p.27.

قيادتها أمور غير مختصين بها[1]. والأهداف التي سطرت من جانب قيادة الأليانس كفيلة في إيضاح ذلك، وهي كالآتي[2]:

1– العمل في كل مكان على تحرير اليهود وتطورهم المعنوي.
2– توفير المساعدة الفاعلة لاؤلئك الذين يعانون بسبب كونهم يهوداً.
3– تشجيع نشر الإصدارات التي تساهم في خدمة هذه الأهداف.
4– الارتقاء بمستوى اليهود الروحي والفكري.

لقد أدركت قيادة الأليانس بان الأهداف التي تطرحها تقوم على أساس الجانب الإنساني. وكمنهاج عمل تطرحه الأليانس فانه حتماً يجمع خليطاً غير متجانس من ناحية ميولهم السياسية والفكرية، بل وحتى الدينية، ألا أنها متوافقة من ناحية العمل على تحقيق الأهداف التي تطرحها الجمعية. من هنا، وجدت قيادة الأليانس أهمية إلزام أعضائها بعدم الإفصاح عن ميولهم تلك، والتركيز على الأهداف التي سطرت أثناء قيامهم بأي مهمة توكل إليهم من قبل الجمعية. وعد أي إخلال بهذا المبدأ محاولة لخلق حاله من الخلاف والانقسام، وهو ما يعرقلها، أي الأليانس، عن تحقيق أهدافها وعرقلة لمسعاها الحقيقي[3].

ووفق هذه القراءة الدقيقة لطبيعة المهام التي تريد القيام بها الأليانس، ورغبتها في تجنب أية معوقات تحول دون العمل بأسرع ما يمكن لتحقيق مبتغاها ، فإنها كثيراً ما كانت تنبه أعضائها،عبر نشرات داخلية، إلى ضرورة التخلي عن أي ميول تتعارض مع أهدافها والتفرغ الكلي من اجل خدمة يهود العالم[4].

هذه الرؤية الدقيقة والقراءة الصحيحة من جانب قيادة الأليانس اختصرت عليها الزمن والمسافات للوصول إلى ما تريد، وتحقيقها لنجاحات كبيرة في إطار العمل من اجل الارتقاء بمستوى اليهود في العالم، فضلاً عن تجنيب أعضائها الكثير من المواقف التي قد

(1) Michael R.Marrus , op. cit.,p. 17.

(2) Narcess Leven, op. cit., P.69; Elie Kedourie, op. cit. p94.

(3) Elie Kedourie , op.cit , p.97.

(4) The Jewish Encyelopidea,vol.1, p.414.

لا يحمد عقباها[1]. وقد انعكست نتائج ذلك على نشاطاتها إيجابياً،ومكنها من مد شبكتها إلى ابعد مدى، عبر فروعها التي كانت تعمل في اكثر من 70 دولة[2].

إن الرؤية الجديدة التي طرحتها الأليانس في حل المشاكل التي تواجه اليهود في مجتمعاتهم خلقت معارضة شديدة من جانب بعض الأوساط اليهودية من داخل وخارج فرنسا. وتباينت أسباب معارضة هذه الأوساط، فمنهم من كان يكره العمل بهذا الاتجاه لأنه يحتاج إلى وقت طويل حتى تظهر نتائجه. وآخرون يعتقدون أن الشر يمكن أن يعالج بتجاهله. فيما كانت معارضة الحاخامات اليهود قائمة على أساس أن اندماج اليهود في مجتمعاتهم التي يعيشون فيها يعني التخلي عن ديانتهم القائمة على أساس العزلة والنظرة الفوقية للأخريين. وقد بذل هؤلاء جهود مكثفة من اجل قتل الأليانس قبل ولادتها، لان نجاحها يعني فقدان هيمنتهم التي فرضوها على اليهود عبر سلسلة من العبادات. وقد نجحت هذه الأوساط المعارضة في إدارة حملة صحفية عنيفة عبر العديد من الصحف الأوربية، لاسيما الصحف الفرنسية منها. وقد اعتبرت تأسيس الجمعية خطوة لا تصب في مصلحة اليهود[3]. ولكن إزاء العمل الدؤوب، أي مؤسسو الاليانس، وإصرارهم على تذليل كافة العقبات التي تعترض عملهم، مكنتهم بمرور الوقت من امتصاص تأثير التيار المعارض لها، نظراً للخدمات التي كانت تقدمها الأليانس مما جعلها تكسب المزيد من المؤيدين لها، وعلى مختلف المستويات[4].

لم تتمكن الأليانس بعد نجاحها من إسكات الأصوات المعارضة لها في مواصلة نجاحها الذي أخذت مؤشراته ترتفع تدريجيا من دون مصاعب جديدة. فقد واجهها تحدياً لم يكن في الحسبان، وكاد يشتتها ويؤدي بها الى الزوال. وجاء هذا التحدي عندما أعلنت عدة فروع تابعة لها انفصالها عن المركز الرئيسي[5]. ويرجع برنارد لويس سبب هذه الانشقاقات التي عانت منها الأليانس إلى تضارب المصالح المادية والثقافية المتنافسة بين القوى الأوروبية، والتي وجد أصحابها بأنها مجال فعال لعمل دعاية تخدم مصالح دولهم

---

(1) Narcess Leven , op. cit., P.71.

(2) Encyclopedia of Zionism and Israel, vol. I, P. 23.

(3) The Jewish Encyelopidea.vol.1, P. 414.

(4) Narcess Leven, op. cit., p.85.

(5) The Jewish Encyclopidea, Vol. 1, p.414.

التي ينتمون أليها، وهي بطبيعة الحال ستنعكس عليهم بالإيجاب[1]. ومن خلال هذا نلاحظ أن المصالح الإقليمية طغت على الجانب الإنساني الذي حركهم أول الأمر.

ومن أولى الفروع التي أعلنت انفصالها عن المركز الرئيسي للأليانس في باريس، هو فرع لندن. عندما أعلن في عام 1870م انفصاله وقطع علاقته بالمركز الرئيسي نهائياً. واعتبر نفسه جمعية قائمة بحد ذاتها حملت اسم **الاتحاد الإنكلو يهودي** **Anglo Jewish Association**[2]. وتشير الدلائل إلى أن سبب الانفصال يدخل في إطار الصراع والتنافس بين فرنسا وبريطانيا على مناطق النفوذ حيث أرادت كل واحدة منها فرض هيمنتها على اليهود في الشرق على وجه التحديد[3]. لاسيما وان الجمعية الأنكلو يهودية كانت تعمل ضمن المناطق التي تخضع للنفوذ البريطاني فقط[4].

أما في عام 1872م، فقد أعلن فرع الأليانس في برلين انفصاله.وقد حظيت هذه الخطوات بدعم مباشر من جانب أبناء الطائفة اليهودية في ألمانيا[5].وعلى ما يبدو أن الذي حرك اليهود الألمان لاتخاذ هذه الخطوة، هو تطابق مصالح الرأسماليين مع توجهات حكومتهم الباحثة عن مناطق نفوذ توازي أهميتها في أوربا بعد توحدها عام 1870م. وهذا التوافق هو الذي جعل الحكومة الألمانية تدعم هذه الخطوة، لأنها حتماً ستكون إحدى الوسائل التي ترسخ نفوذها في مناطق جديدة. وفي عام 1873م، أعلن فرع فينا انفصاله عن المقر الرئيس،وأسست جمعية باسم (**الأليانس الإسرائيلي في فينا**) **Dielsrelitsche Allianz zuwien**. ومن أهم ما يميز عمل هذه الجمعية كونها حصرت نشاطها على يهود النمسا بهدف رفع مستواهم الثقافي والاجتماعي من دون الاهتمام بيهود المناطق الأخرى كما هو حال الأليانس في باريس[6].

---

(1) Bernard Lewis, op. Cit, p. 162.

(2) صالح زهر الدين، **اليهودي في تركيا 500 عام**، حلب، 1996، ص58؛ ميخال أفيطبول، المصدر السابق، ص74.

(3) المصدر نفسه، ص59؛ Narcess Leven, op .cit , p. 73.

(4) ميخال افيطبول، المصدر السابق، ص74.

(5) The Jewish Encyclopidea ; vol. 1, p. 415.

(6) Elie Kedourie, op. cit., p. 96.

على الرغم من الانشقاقات التي تعرضت لها الأليانس، إلا أن ذلك لم يعرقل جهودها في تحقيق الأهداف التي حددتها. وبمرور الوقت، نجد أن الأوساط المعارضة لها والتحديات التي كانت تواجهها تضمحل بالتدريج. وحالة الرسوخ هذه ساعدتها في توسيع أنشطتها ونجاحها بالوصول إلى مناطق جديدة في إطار بناء شبكتها التي امتدت إلى مساحات واسعة من قارات آسيا وأفريقيا وأوربا. والأكثر من هذا، نجد أن نجاح الأليانس في عملها جعل أغلب الفروع التي أعلنت انفصالها عن مركزها الرئيس في باريس تبدي رغبتها في التعاون معها. وخير مثال على ذلك التعاون المشترك الذي جمع الأليانس مع الجمعية الأنكلو يهودية، وهي أحد فروعها سابقاً، في منطقة الشرق الأوسط[1].

ومن الأمور التي ساهمت في نجاح الأليانس في عملها هو التنظيم المحكم وتوزيع المهام بين مؤسساتها. فقد اقر النظام الداخلي لها أن يكون على رأس الهرم التنظيمي هيئتان مسؤولتان عن تقرير وإدارة شؤون الجمعية، وهي اللجنة المركزية والهيئة الإدارية. فالأولى، اللجنة المركزية، هي الهيئة التشريعية المسؤولة عن رسم صورة السياسة التي تتبعها الأليانس[2]. وتضم في عضويتها 62 عضواً، 23 منهم يمثلون يهود فرنسا و39 عضواً من خارج فرنسا يمثلون الفروع الإقليمية للأليانس. ويتم انتخاب هؤلاء بواسطة الاقتراع على أساس الأغلبية من قبل الهيئة العامة التي تجتمع لهذا الغرض[3]. والثانية، الهيئة الإدارية، فهي المسؤول عن تنفيذ القرارات والتوصيات التي تقر من جانب اللجنة المركزية[4]. ويتم انتخاب أعضاء الهيئة من بين أعضاء اللجنة المركزية[5]. وبهذا التنظيم المحكم تمكنت قيادة الأليانس من أداء عملها على احسن وجه.

جدول رقم(4)

رؤساء جمعية الأليانس حتى نهاية الحرب العالمية الأولى

---

(1) Narcess Leven, op. cit., P. 75.

(2) The Jewish encyclopaedia , vol.1, p.41.

(3) Elie Kedourie, op. cit., p. 97.

(4) The Jewish Encyclopaedic ,vol. 1, p.414.

(5) Narcess Leven, op. cit., p. 80.

ت	الأسماء	فترة الرئاسة
1	جي. كوكنز وارتر	1863-1860
2	أدولف كريميو	1867-1863
3	سلمون مونك	1867 (مات في نفس العام)
4	أدولف كريميو	1880-1868
5	أيس. هـ. ولدشمدت	1898-1882
6	نرسيس ليفن	1919-1898

وضعت قيادة الأليانس نصب عينيها اتباع اقصر الطرق لتحقيق الأهداف التي سطرتها. حيث وجدت في حقل التعليم اقصر الطرق للوصول لما تريد. ففي رأيها، قيادة الأليانس، إن التطور المادي والمعنوي لليهود يتطلب العمل من اجل تطوير حياة الطوائف اليهودية جذرياً وهدا يتحقق عبر إقامة مؤسسات تعليم حديث تستند إلى الدراسات التقنية والعلمية واللغوية، وان ذلك من شانه أن ينقذ الطوائف اليهودية من حالة عدم الاطمئنان. ولكي تتمكن من تحقيق هدفها هذا، وتتجاوز أي عقبات قد تعترض عملها، لاسيما أن ساحة عملها ستشغل آلاف الكيلومترات المربعة، قررت أن تكون هناك إدارة مركزية في العمل،عبر ربط مؤسساتها التعليمية كافة بالمقر الرئيسي في باريس. وألزمت كل مؤسساتها بالخضوع لقراراتها وتعليماتها واطلاعها على أنشطتها كافة عبر تقارير سنوية وفصيلة وأحيانا شهرية[1]. ومما يدل على مركزية الإشراف والتوجيه، تقرر أن يتم تعيين مديرو المؤسسات التعليمية وهيئاته من قبل المقر الرئيسي في باريس، مع بعض الاستثناءات اليسيرة التي لا تؤثر في مركزية القرار[2].

---

[1] Poul Du Mont, **Jewish Communities In Turkey During The Last Decades Of The Nineteenth Century InThe Light Of The Archives Of The Alliance Israelite Universelle**, In: Christians And Jewish The Ottoman Empire, Edited by/ Benjamin Braude and Bernard Lewes, vol.1, New York, 1984, p. 209.

[2] ميخال افيطبول، المصدر السابق، ص241.

نجحت الأليانس في تهيئة مستلزمات ديمومة نشاط مؤسساتها التعليمية، وجعلها قادرة على أداء دورها المطلوب في إطار تحقيق أهدافها المرسومة. ففي مجال تمويل نشاطاتها، اعتمدت ما كان يقدم لها من مساعدات ودعم مادي من جانب الشخصيات اليهود الثرية في اوربا، وفيما بعد خارج أوربا[1]. عندما نجحت في غرس هذه الروح في نفوس أثرياء الطوائف اليهودية في آسيا وشمال أفريقيا[2]. وفيما يخص القدرات البشرية، فإن، قيادة الأليانس، تمكنت من تلافي أي نقص في هذا الجانب، عندما أقدمت، وبشكل مبكر، على تأسيس معهد المعلمين في باريس عـام 1868م حيث تكفل بتخريج الكوادر اللازمة من المعلمين المؤهلين للتدريس في مدارسها. لقد حققت قيادة الأليانس من افتتاح هذا المعهد هدفين، الأول، يقوم على أساس توفير الهيئات التدريسية ،أما الثاني، المساهمة في رفع مستوى التعليم في مدارسها عندما كانت تمنح الطلبة المتفوقين منح مجانية للدراسة في المعهد. وبذلك حققت حافزاً في نفوس طلبتها ومدرسيها، لأنهما يشعران بالأهمية التي تعمل على تحقيقها الأليانس[3].

إن الجهود التي بذلتها الأليانس في سنوات عملها الطويلة وما حققته من نجاحات جعلها تجمعاً عالمياً عمل على تقديم المساعدة السياسية والثقافية لليهود، في أية دولة كانوا فيها، من خلال الفكرة الداعية إلى وحدة اليهود في كل أنحاء العالم. ونلاحظ أن تدخلات الأليانس لم تأخذ طابعاً واحداً، وإنما اختلف حسب المناطق التي تعمل بها. ففي أوربا نراها قد نشطت في الدفاع عن حقوق اليهود السياسية في مختلف الدول الأوربية، مثلما حدث في سويسرا ورومانيا[4]. بينما تركز نشاطها في قارتي آسيا وأفريقيا على الجانب الثقافي، عبر إنشاء شبكة من المدارس الحديثة في أقاليم الدولة العثمانية وبلاد فارس وما جاورها وصولاً إلى منطقة شمال أفريقيا[5]. فعلى سبيل المثال، لم تضطر الأليانس لممارسة نشاطٍ سياسي مكثفاً للدفاع عن حقوق اليهود ضمن حدود الدولة العثمانية، بل

---

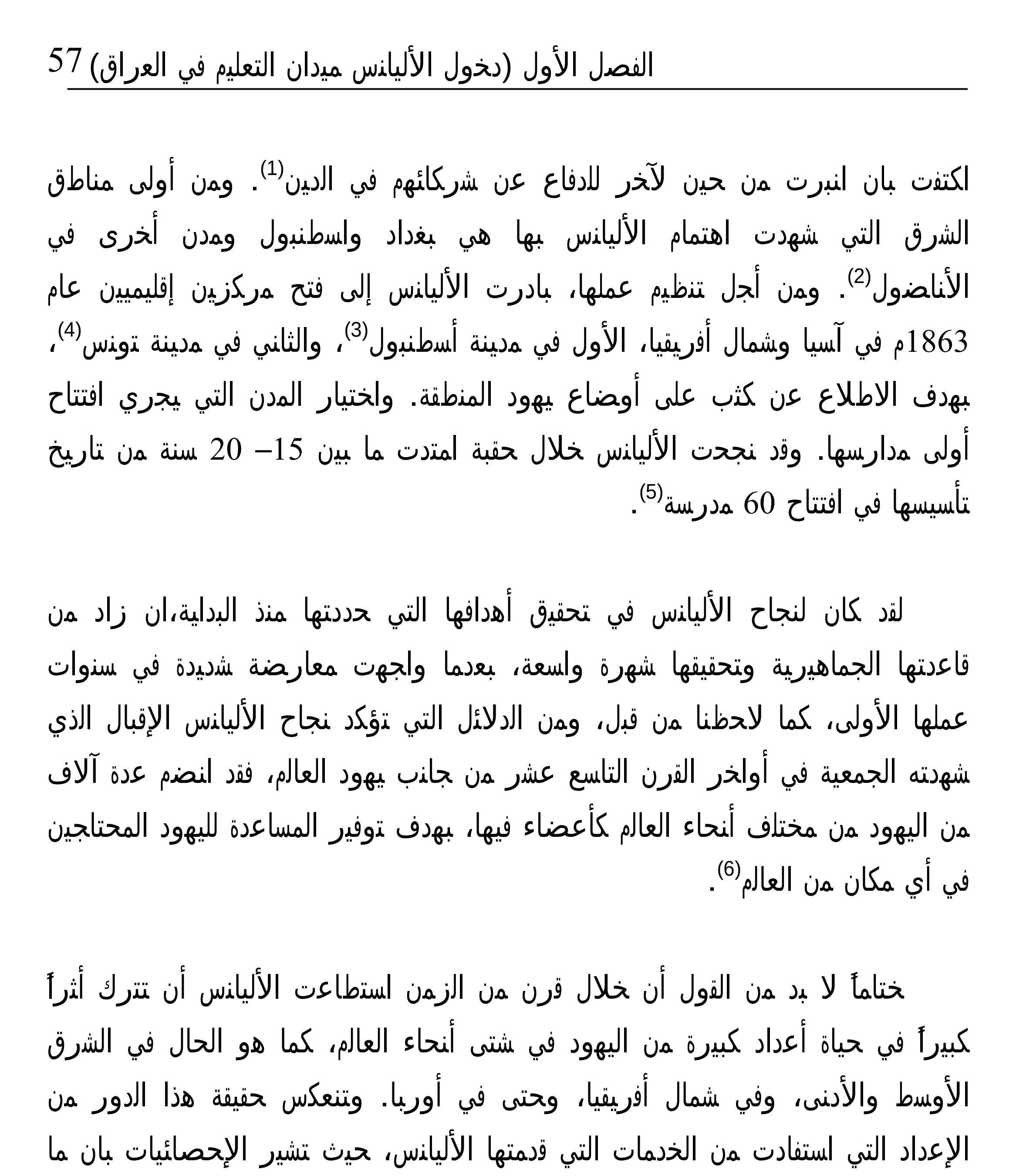
(1) المصدر نفسه، ص241.

(2) Nissim Rejwan , op. cit., p.188.

(3) Elie Kedourie, op. cit., P.97.

(4) شمعون دوفنوف، المصدر السابق، ص 612-614 ؛ Narcess Leven, op. Cit, P.125.

(5) المصدر نفسه، ص 624.



اكتفت بان انبرت من حين لآخر للدفاع عن شركائهم في الدين[1]. ومن أولى مناطق الشرق التي شهدت اهتمام الأليانس بها هي بغداد واسطنبول ومدن أخرى في الأناضول[2]. ومن أجل تنظيم عملها، بادرت الأليانس إلى فتح مركزين إقليميين عام 1863م في آسيا وشمال أفريقيا، الأول في مدينة أسطنبول[3]، والثاني في مدينة تونس[4]، بهدف الاطلاع عن كثب على أوضاع يهود المنطقة. واختيار المدن التي يجري افتتاح أولى مدارسها. وقد نجحت الأليانس خلال حقبة امتدت ما بين 15– 20 سنة من تاريخ تأسيسها في افتتاح 60 مدرسة[5].

لقد كان لنجاح الأليانس في تحقيق أهدافها التي حددتها منذ البداية،ان زاد من قاعدتها الجماهيرية وتحقيقها شهرة واسعة، بعدما واجهت معارضة شديدة في سنوات عملها الأولى، كما لاحظنا من قبل، ومن الدلائل التي تؤكد نجاح الأليانس الإقبال الذي شهدته الجمعية في أواخر القرن التاسع عشر من جانب يهود العالم، فقد انضم عدة آلاف من اليهود من مختلف أنحاء العالم كأعضاء فيها، بهدف توفير المساعدة لليهود المحتاجين في أي مكان من العالم[6].

ختاماً لا بد من القول أن خلال قرن من الزمن استطاعت الأليانس أن تترك أثراً كبيراً في حياة أعداد كبيرة من اليهود في شتى أنحاء العالم، كما هو الحال في الشرق الأوسط والأدنى، وفي شمال أفريقيا، وحتى في أوربا. وتنعكس حقيقة هذا الدور من الإعداد التي استفادت من الخدمات التي قدمتها الأليانس، حيث تشير الإحصائيات بان ما يقرب من (650) ألف فتىً وفتاة يهودية قد تلقوا تعليمهم العلماني عبر شبكة كبيرة من المدارس، التابعة للأليانس، توزعت بين بلدان كثيرة من العالم[7].

---

(1) الكسندر ادلموف، المصدر السابق، ص 343.

(2) Polat Haydaroglu, **Osmali Imparat orlug'nda Yabanei Okullar**, Ankara, 1990, P. 207.

(3) ميخال أفيطبول، المصدر السابق، ص 343.

(4) Maroun Woolfson, po. cit., P.78.

(5) Polat Haydaroglu, op. cit., P. 207.

(6) **Encyclopaedia of Zionism and Israel** , vol. I, New York, 1971, P. 22.

(7)Encyclopaedia of Zionism and Israel, vol. I,p.23.

لم تتوقف جهود الأليانس، بالرغم من الإعلان عن قيام (دولة إسرائيل) وهجرة أعداد كبيرة من اليهود إلى فلسطين، في إطار تحقيق أهدافها. ولكن نشاطها شهد تراجعاً ملموساً مما كانت عليه من ذي قبل. وعلى هذا الأساس اتخذت قيادة الأليانس قرارها بتجميد أنشطتها كافة عبر إعلان رسمي صدر في عام 1965م [1].

4 – موقف الأليانس من الحركة الصهيونية:

على أثر انتهاء الحرب العالمية الثانية عام 1945م، طرأ تغيير على موقف الأليانس من الحركة الصهيونية وإقامة (الوطن القومي) لليهود في فلسطين. فبعد ما كانت الأليانس حريصة من قبل على عدم تأطير أنشطتها المختلفة بالإطار السياسي، فإنها اتخذت موقفاً سلباً من الحركة الصهيونية، حيث لم تجد قيادة الأليانس في المبدأ الصهيوني القائم على أساس الحل الإقليمي للمشكلة اليهودية ما يبرره. ولكن هذا لم يمنع من أن تضم اللجنة المركزية للأليانس أعضاء موالين للحركة الصهيونية[2]. ولكن على وفق الاتفاق الذي قامت عليه فكرة تأسيس الأليانس وعملها بان تبقى بعيدة عن الالتزامات والميول السياسية وتكريس جهودها على مساعدة اليهود مادياً ومعنوياً. ووفق هذه الرؤية ألزمت أعضائها بعدم التبشير لآرائهم وميولهم السياسية أثناء قيامهم بأي مهمة يكلفون بها لصالح الأليانس[3].

لقد كان لموقف الأليانس البعيد عن إثارة المشكلة اليهودية سياسيا أثره الكبير في اتهامها في مرات عدة من أنها كانت تقف حجر عثرة أمام أنشطة العناصر الصهيونية وسط الطوائف في اسيا، على سبيل المثال [4]. وكثير ما كان مد راء مدارس الأليانس

---

[1] Elie Kedouri , op. cit., P. 99.

[2] Encyclopaedia of Zionism and Israel, vol.1, p. 23 ;

. عبد الوهاب المسيري وسوسن حسين، المصدر السابق، ص 85

[3] The Jewish Encyclopaedia, vol. 1, P. 414.

[4] ميخال افيطبول ، المصدر السابق، ص116 .

يحرضون السلطات المحلية ورجال الدين اليهود ضد أي نشاط للعناصر الصهيونية، كما هو الحال في ولاية البصرة أواخر الحكم العثماني[1].

وقد عبر العديد من قادة الحركة الصهيونية في الكثير من المناسبات عن انزعاجهم من الدور المعارض لممثلي الأليانس للأنشطة الصهيونية. ففي عام1911م اتهم الصهيوني **ديفيد ولفسوهن**، رئيس المنظمة الصهيونية العالمية، ممثلي الأليانس بمشاركة الحركات المناوئة لهم في تحريض السكان اليهود في الدولة العثمانية[2]. كما دعمت قيادة الأليانس بعض المقترحات التي تدعو إلى توطين اليهود في أي مكان غير فلسطين، وهو ما كان يتعارض مع طروحات الصهيونية. فجاء تعاونها مع الجمعية الأنكلو يهودية في العمل على تشجيع اليهود للاستيطان في العراق[3]. ولهذا الغرض أرسلتا وفداً مشتركـاً في عـام1907م برئاسة اليهودي الفرنسي **نييغو Niego**، كان يشغل منصب المفتش الزراعي للأليانس، إلى بغداد لدراسة إمكانية إنشاء مستوطنات يهودية فيه[4].

في ظل الحملات المعادية التي كانت الحركة الصهيونية تشنها ضد الأليانس، وكل القوى التي كانت تخالفها في طروحاتها السياسية، شجب **جاك بيكار** سكرتيـر الأليانـس (1890– 1934م) بشدة التهم التي كانت تلصقها بها الحركة الصهيونية. وأكد أن كل ممثلي الأليانس في الدولة العثمانية كانوا تحت أوامر صارمة تمنعهم من التدخل في المناقشات الفكرية والسياسية. وموقف الأليانس هذا يستند إلى الأهمية التي تعلقها على العمل الثقافي والتعليمي في تغيير أحوال اليهود المتدنية[5].

---

[1] المصدر نفسه، ص 117 ؛ حاييم كوهين، المصدر السابق، ص 21 – 22.

[2] Encyclopædia of Zionism and Israel, Vol. 1o, P. 23.

[3] للمزيد من المعلومات حول موضوع استيطان اليهود في العراق يمكن الرجوع إلى/
علي عبد القادر العبيدي، **أضواء على المحاولات اليهودية لاستيطان العراق أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين (دراسة تاريخية)**:مجلة دراسات في التاريخ والتراث، بغداد، العدد 6، لسنة 2001، ص 129 – 152.

[4]حنابطاطو، **العراق...الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية في العهد العثماني حتى قيام الجمهورية في العراق**، الكتاب الأول، ترجمة:عفيف الرزاز، بيروت، 1992، ط1، ص 326.

[5] Encyclopaedia of Zionism and Israel, vol. I, P. 23.

ومما زاد من الخلافات بين الأليانس والحركة الصهيونية الإفادة التي أدلى بها الدكتور **سلفيان ليفي**، الذي أصبح رئيساً للأليانس عام 1919م، أمام مؤتمر الصلح في باريس. والتي عبر فيها عن الحلول التي تطرحها الحركة الصهيونية لتغير الظروف الصعبة التي تحيـط باليهود في العالم. وقد عدت هذه الإفادة من جانب الصهاينة بأنها بيان معادٍ [1].

لم تستمر معارضة الأليانس للفكر الصهيوني وأهدافه على حالها، وإنما شهد تغييراً جذرياً. وأخذت تصريحات قيادي الأليانس تأخذ منحى جديداً يقوم على أساس محاباة الطرح الصهيوني فيما يخص (الوطن القومي) لليهود في فلسطين. وربما يرجع سبب ذلك إلى(النجاحات) التي كانت تحققها الصهيونية ومنظماتها في الاستيلاء على المزيد من الأراضي في فلسطين إبان فترة الانتداب البريطاني على فلسطين. والدعم المتزايد من جانب بريطانيا، والولايات المتحدة الأمريكية فيما بعد، في إقامة هذا الوطن المزعوم خدمة لمصالحها في المنطقة[2]. إزاء هذه الظروف المستجدة أخذت العديد من المنظمات التي كانت تخالف الحركة الصهيونية في الرؤى، كما هو الحال بالنسبة للأليانس، تعيد النظر في مواقفها من الطروحات الصهيونية، التي أخذت تجد رواجاً منقطع النظير في الأوساط اليهودية الأوربية والولايات المتحدة الأمريكية. وبفضل هذه المتغيرات أخذ الأليانس تحابي الحركة الصهيونية. وينعكس هذا الوضع، في الاهتمام المتزايد بالتعليم الديني في مدارسها، كما أدخلت دراسة اللغة العبرية والثقافة اليهودية في مناهجها بشكل مكثف. ولهذا الغرض، على سبيل المثال، أسست الأليانس في مدينة الدار البيضاء المغربية (**المعهد العبري**) عـام 1935م يهدف إلى تخريج معلمين ذوي كفاءة فيما يخص الدراسات العبرية لغرض القيام بمهام تدريس اللغة والثقافة اليهودية في مدارسها[3]. وبالرغم من هذه التغييرات التي أخذت تطرأ على سياسة الأليانس، ألا أنها لم تتبنى موقفاً

---

[1] Encyclopaedia of Zionism and Israel, vol. P. 23.

هذه الخلافات بين الأليانس والحركة الصهيونية تعارض ما ذهب أليه الدكتور **فاضل البراك** من كون مدرسة الأليانس بدأت في عام 1920 بتدريس التاريخ اليهودي لأهداف صهيونية. علماً بأن تدريس التاريخ اليهودي كان يجري منذ البداية ضمن الدروس الدينية. ينظر/ فاضل البراك، المصدر السابق، ص 30 .

[2] علي إبراهيم عبده وخيرية قاسمية، المصدر السابق، ص 283.

[3] عبد الوهاب المسيري وسوسن حسين، المصدر السابق، ص 85.

علنياً يدعم الحركة الصهيونية خلال هذه المرحلة، لأنها وجدت الوقت غير مناسب لمثل هذا الموقف.

لكن بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية عام 1945م، وتزايد حجم الدعم الأوربي الأمريكي للحركة الصهيونية وأهدافها، أخذت مواقف الأليانس تأخذ منحى أكثر وضوحاً في دعم الصهيونية. ففي عام 1947م قدم **رينيه كاسين** رئيس الأليانس مذكرة إلى اللجنة الخاصة للأمم المتحدة حول فلسطين أكد فيها على ضرورة فتح باب الهجرة رسمياً إلى فلسطين، ومن دون أية قيود، والعمل الجاد لإقامة (وطن قومي) لليهود في فلسطين[1].

لم تكتف الأليانس بهذا الدعم المعنوي، وإنما ذهبت إلى أبعد من هذا، عندما أخذت تقدم دعماً مباشراً للكيان الصهيوني بعد الإعلان عن قيامه عام 1948، حيث وسعت من شبكة مدارسها في فلسطين، وجعلتها تحت تصرف وزارة المعارف(الإسرائيلية) مع استمرارها في تقديم الدعم المادي لهذه المدارس[2].

ساهم الدعم الذي أخذت تقدمه الأليانس (لإسرائيل) في انتفاء الحاجة إليها، لأنها كانت في السابق، قد أخذت على عاتقها العمل على تحرير اليهود من القيود المفروضة عليهم بهدف تسهيل مهمة اندماجهم في مجتمعاتهم. وبموقفها المؤيد للصهاينة فقدت تلك الصفة والمصداقية في العمل، فضلاً عن الجهود التي بذلتها الصهيونية العالمية، عبر شبكاتها، في تهجير يهود العالم إلى فلسطين حيث الحلم المنشود الذي أوهمت اليهود به.

---

[1] شريف يوسف، المصدر السابق، ص 50 ; Encyclopaedia of Zionism and Israel, vol. I, P. 23.

[2] مناحيم و افرايم تلمي، **معجم المصطلحات الصهيونيـة**، ترجمة:أنيس العجرمي، عمـان، 1988، ص 236.

ثانياً : دوافع اهتمام الأليانس بيهود العراق :

نال يهود العراق على العموم، ومدينة بغداد على وجه التحديد، اهتماماً مبكراً من جانب الأليانس سبق أي مدينة أخرى في المنطقة،عندما افتتحت أول مدرسة على مستوى منطقة الشرق الأوسط عام 1864م. وهذا الاهتمام من جانب الأليانس بيهود العراق يرجع بطبيعة الحال لدوافع عدة يتحتم دراستها لمعرفة التميز الذي حضوا به دون غيرهم من يهود المنطقة. كما أنها تكشف في الوقت ذاته الأهمية التي كان عليها يهود العراق بالنسبة للطوائف اليهودية في المنطقة عموماً. وهوما سنلقي الضوء عليه تباعا.

1- التبشير المسيحي بين صفوف يهود العراق:

لم تتوان القوى الاستعمارية الأوربية في استخدام شتى السبل والوسائل لتحقيق أهدافها والحصول على أكبر المكاسب. ولم تتردد هذه القوى حتى في استخدام الدين كوسيلة من وسائل تحقيق تلك الأهداف. وأنه لمن المؤلم حقاً أن يكون التبشير المسيحي إحدى الأدوات الاستعمارية التي استخدمت في الأقطار العربية الإسلامية، حيث يشير سجل النشاط التبشيري في العراق، على سبيل المثال، إلى تضمنه الكثير من المآسي التي لا تقل آلامها عن تلك التي وقعت في مناطق عدة من الأقطار العربية، بسبب هذه السياسات الاستعمارية[1].

تشير الدراسات التاريخية إلى أن تاريخ قدوم أولى الإرساليات التبشيرية للعراق يرجع إلى أوائل القرن السابع عشر الميلادي، وامتدت أنشطتها حتى أوائل القرن العشرين

[1] إبراهيم خليل أحمد، **الاستشراق والتبشير وصلتها بالإمبريالية العالمية**، القاهرة، 1973، ص 41 ؛ عبد الباسط عبد الصمد أحمد الشاوي، المصدر السابق، ص 39.

حيث ركزت هذه الإرساليات إلى جانب نشر المسيحية ،وتغيير مذاهب مسيحي العراق إلى المذهب الذي تبشر به كل إرساليات منها[1].

على أية حال ،نحن لسنا بصدد دراسة تاريخ هذه الإرساليات ومراحل دخولها، وإنما دورها في الصراع الدائر بين القوى الاستعمارية، التي لم تتردد في طرق أي باب تؤدي بها إلى ما تريد، رافعةً شعار الغاية تبرر الوسيلة. إلى جانب دراسة كيف ساهمت عملية التبشير تجاه يهود العراق في دفع الأليانس بشكل جدي وفعّال لمساعدتهم وإنقاذهم من هذا التحدي الذي وضعوا فيه.

إن الصراع الملتهب بين القوتين العظميين في مطلع القرن التاسع، فرنسا وبريطانيا. ونجاح الأخيرة في حسمه لصالحها في ميادين عديدة، لا سيما في منطقة المشرق العربي، جعل فرنسا تبحث عن سبل وأساليب جديدة تستطيع من خلالها تقويض الهيمنة البريطانية. فقد وجدت في النشاط التبشيري مدخلاً يمكنها من استعادة نفوذها في المنطقة من جديد. هذه الرؤية الستراتيجية التي بدأت تتبعها فرنسا جاءت بعد قناعة فرنسية بأهمية كسب ود شعوب المنطقة، لاسيما الأقليات الدينية، بما يمكنهم من تهيئة الأجواء الكفيلة لا يجاد موطئ قدم لها والانطلاق من جديد. تعد فرنسا من طليعة الدول الاستعمارية التي تسترت بشعار الدين و التبشير، لاسيما المذهب الكاثوليكي، لتغلغل في منطقة المشرق العربي، متخذة من ذريعة حماية الطوائف المسيحية غطاء لأطماعها هذه[2].

عندما حددت فرنسا الوسيلة التي ستقلق عدوتها بريطانيا بها،كان العراق إحدى ساحات الصراع والمواجهة معها.بدأت الإرساليات التبشيرية الكاثوليكية عملها بدعم ورعاية مباشرة من الحكومة الفرنسية وصولا لتحقيق أهدافها الاستعمارية، الأمر الذي مكنها من إحراز مكاسب ونجاحات في هذا المضمار[3]، حتى خيل للإنكليز أن مسيحي

---

[1] غانم سعيد العبيدي ، المصدر السابق ،ص 46.

[2] عبد العزيز سليمان نوار، **تاريخ العراق الحديث من نهايـة حكم داود باشا إلى نهاية حكم مدحـت باشا**، القاهـرة، 1968، ص 301.

[3] المصدر نفسه، ص 301 .

العراق سيتركون مذاهبهم وسيتحولون برمتهم للكاثوليكية، مما يعنى نجاح فرنسا في إيجاد موطئ قدم لها في العراق، وهو بطبيعة الحال، تهديد خطير للمصالح البريطانية المتنامية فيه[1].

حاولت بريطانيا بالطرق الدبلوماسية وضع حد لانتشار الدعاية الفرنسية عبر التبشير الكاثوليكي، ولكنه لم يجدي نفعا، ولذلك وجدت أن لا مفَر من استخدام نفس السلاح الذي تتخذه فرنسا، أي سلاح التبشير، وبطبيعة الحال التبشير البروتستانتي[2]. ومع نهاية العقد الثالث من القرن التاسع عشر الميلادي، بدأت أفواج المبشرين الإنكليز[3]تتقاطر على العراق لغرض خلق جماعات بروتستانتية فيه تعتمد عليها في الدفاع عن مشاريعها الاستعمارية[4]، لاسيما وان العراق غدا على جانب كبير من الأهمية بالنسبة لبريطانيا بعدما أصبحت قوات محمـد علي باشا على مقربة منـه، بعدما سيطرت على بـلاد الشام (1832– 1840م) مما كون تهديداً خطيراً للمصالح البريطانية في المنطقة[5].

لقد دار تنافس كبير بين المبشرين الإنكليز والفرنسيين. وهذا التنافس، في حقيقته، لم يكن خالصاً وإنما كانت العوامل السياسية تؤججه. فلا غرو أن التنافس الإنكليزي الفرنسي في ميدان التبشير كان يزداد حدة كلما ارتفعت قيمة العراق في المجال الدولي[6].

تمكنت بريطانيا من حسم صراعها، بعد جولات من التنافس، مع فرنسا واحكمت سيطرتها السياسية والاقتصادية على العراق. لكن الوقائع تشير إلى أن فرنسا لم تستكن، ودأبت في البحث عن سبل جديدة تمكنها من تحقيق أهدافها وضرب المصالح البريطانية

---

(1) إبراهيم خليل احمد، **الاستشراق والتبشير**،ص43.

(2) إبراهيم خليل احمد، **الاستشراق والتبشير**، ص 43.

(3) يعد البريطاني **جروفز** أول مبشر بروتستانتي تطأ قدماه أرض العراق في عام 1829 في طار المخطط البريطاني لمواجهة النشاط التبشيري الفرنسي في المنطقة. للمزيد من المعلومات ينظر/ سلامة حسين كاظم، **التبشير في العراق... وسائله وأهدافه**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الشريعة/جامعة بغداد ، 1985، ص 36 – 37.

(4) عبد الباسط عبد الصمد احمد الشاوي، المصدر السابق، ص 37.

(5) إبراهيم خليل احمد، **الاستشراق والتبشير**، ص 43.

(6) عبد العزيز سليمان نوار، تاريخ العراق الحديث ، ص 306 .

في المنطقة. فعندما وجدت في يهود العراق فرصة سانحة لزعزعة النفوذ البريطاني في العراق، وخوض جولة جديدة من التنافس معهم في المجالين السياسي والاقتصادي. لذا لم تتوان القنصلية الفرنسية في بغداد، متمثلة في القنصل **فونتانييه Fontanier** (1836–1838م)، في منح يهود بغداد كل المغريات التي تعزز علاقتهم بالدولة الفرنسية خدمة لهـا[1].

حينما أحس يهود بغداد بمدى الفائدة التي ستتحقق من وراء حصولهم على رعاية دولة أوربية كبرى وحمايتها، ومن فرص كبيرة للثراء، فانهم استجابوا وتفاعلوا مع طروحات فونتانييه، وانطوى الكثير منهم تحت الحماية الفرنسية. لقد أراد فونتانييه من وراء خطوته هذه أن يثبت للبريطانيين بان فرنسا لا تقل نفوذاً وتأثيراً في بغداد مهما كانت الظروف[2].

هذا التحدي الذي أظهره فونتانييه كاد يصعد من مستوى التوتر بين الطرفين. ولكن الحكومة الفرنسية سرعان ما تداركت الأمر، عندما قامت بسحب فونتانييه من بغداد، فهدأت الأمور بعد رحيله واستتب الأمر للبريطانيين من جديد. ولكنها كشفت للإنكليز خطورة ترك المناطق التي تخضع لنفوذهم دون قراءة معمقة وشاملة لواقعها حتى لا يتكرر ما حدث مع فونتانييه[3]. وفي ذات الوقت، نبهتهم لأهمية الطائفة اليهودية في بغداد، حيث وضعوا في الحساب أهمية كسب هؤلاء لما يخدم مصالحهم الستراتيجية.

لقد وجد الموظفون الإنكليز في القنصلية البريطانية في بغداد خير وسيلة لقطع الطريق على الفرنسيين في كسب ود اليهود تتمثل في الاستعانة بجهود (**جمعية لندن لنشر المسيحية بين اليهود**)[4]، لذا شجعوا جهودها وطلبوا منها مد نشاطها إلى بغداد والعمل

---

[1] Bernard Lewis, op. cit., P. 159.

[2] عبد العزيز سليمان نوار، **تاريخ العراق الحديث**، ص 316 ؛ خلدون ناجي معروف، **لمحات عن يهود العراق في العهد العثماني**، ص 60 – 61.

[3] المصدر نفسه، ص 316.

[4] أسس هذه الجمعية في لندن عام 1809م اليهودي الألماني الأصل **جي فراي G. Ferry** ، الذي أعلن اعتناقه المسيحية. وقد حددت الجمعية أهدافها، حيث عدت أن أفضل السبل لتحسين أوضاع اليهود في العالم يتم عبر اعتناقهم الديانة المسيحية. وتركز نشاطها في السنوات الأولى من عملها

بين صفوف يهود المدينة، بما يضمن عدم استغلالهم مستقبلاً بما يضر المصالح البريطانية في العراق[1]. ويعلق الكاتب الإنكليزي برنارد لويس على الدوافع التي حركت بريطانيا باتجاه الاهتمام باليهود ي المنطقة ، قائلاً: "**لم يكن الاهتمام البريطاني باليهود في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا نابعاً من من المبادئ الليبرالية والإنسانية، وعلى الرغم من أهميتها في إنكلترا الفيكتورية إلا أننا يجب أن لا نقلل من شأنها. ولكن كانت هناك بالإضافة ألي ذلك اعتبارات أخرى، حيث كانت فرنسا وروسيا، المنافسين الإمبرياليين الرئيسيين لبريطانيا، قد أقامتا محميات فعلية، الأولى على الكاثوليك والأخرى على الأرثوذكس المسيحيين في الإمبراطورية العثمانية**"[2].

في ضوء التوجه الجديد من جانب بريطانيا تجاه يهود العراق، باشرت جمعية لندن عملها، بعد تهيئة كافة متطلبات نجاحه من رجال ومستلزمات ديمومته، لغرض تحويل اليهود إلى الديانة المسيحية على وفق المذهب البروتستانتي[3]،فضلاً عن الدعم والتشجيع الذي أبداه موظفو القنصلية البريطانية في بغداد عزز من حضورهم وفعاليتهم. وكمحصلة لذلك، غدا هؤلاء،أي: يهود العراق، أحد أهم المحاور التي ركزت عليها الجمعية جهودها، إلى جانب نشاطها في شرق أوربا[4].

لقد استغل مبشرو جمعية لندن حالة العوز والفقر التي كانت تعيشها فئات كثيرة من الطائفة اليهودية في العراق. هذا هو حال كافة الإرساليات التبشيرية في تحقيق أهدافها،

في مناطق شرق أوربا. ولكنها سرعان ما حولت جهودها منذ العشرينات من القرن التاسع عشر بما يخدم المصالح البريطانية، وأخذت تنشط في مناطق المشرق العربي والإسلامي، وسهل عليها ذلك تزايد النفوذ البريطاني في المنطقة. ينظر/ ميخال افيطبول، المصدر السابق، ص 70.

(1) أفاريم نيمارق، المصدر السابق، ص 19.

(2) Barnard Lewis, op cit., P. 159

(3) تشير الدراسات التاريخية والأثرية إلى كون اليهود الذين سكنوا العراق قد تعرضوا إلى عمليات تنصير، أي دفعهم لترك الديانة اليهودية والتحول إلى المسيحية. وهذا النشاط تركز على وجه الخصوص في منطقة كردستان. وبالفعل تحول البعض منهم وهم الذين عرفوا باسم (**النساطرة**) نسبة إلى القديس نسطور. للتفاصيل ينظر/ احمد سوسه، **لمحات من تاريخ يهود العراق**: مجلة مركز الدراسات الفلسطينية، العدد 4 لسنة 1975، ص 72.

(4) ميخال افيطبول، المصدر السابق، ص 71.

في التغلغل بين صفوفهم بهدف تنصيرهم. وقد اتبع هؤلاء طرق شتى، منها توزيع الكتاب المقدس المترجم إلى العبرية أو الدخول في مناظرات مع الحاخامات اليهود ومناقشة شتى الأمور التي تتعلق بالديانة اليهودية بما يضعف من موقفهم تجاه أبناء جلدتهم مما يؤدي إلى زحزحة ثقة اليهود بتعاليم دينهم. ومن أخطر الوسائل التي اتبعت أيضاً، قيام هؤلاء المبشرين بتقديم المساعدات المادية والعينية لليهود محاولة منهم في كسب ودهم، ومن ثمة دفعهم إلى اعتناق المسيحية مستغلين انشغال أغنياء الطائفة آنذاك عن مساعدتهم[1].

يُعد المبشر **جوزيف وولف Josèphe Wolff**، يهودي ألماني أعلن اعتناقه المسيحية وأقام في إنكلترا، أول مبشر ترسله الجمعية، والذي وصل العراق في أواخر العقد الرابع من القرن التاسع عشر ضمن رحلة شملت مناطق عدة كانت تقيم فيها طوائف يهودية مثل بلاد فارس وآسيا الوسطى. وأثناء استقراره في بغداد باشر المهمة المكلف بها بين صفوف يهود العراق بهدف تحويلهم إلى المسيحية[2]، عبر توزيع الكتاب المقدس والدخول في مناقشات معمقة في العبادات التي يمارسها اليهود. إلا أن اقامته لم تطل في بغداد التي غادرها نحو بلاد فارس[3].

ومن أشهر مبشري جمعية لندن الذي أثار وجوده معارضة السلطات العثمانية واليهود العراقيين معاً، هو الإنكليزي **يعقوب صموئيل Y.Samuel**، يهودي أعتنق المسيحية، حال وصوله البصرة عام 1839م[4]، قام بتوزيع الكتب التبشيرية والإنجيل على اليهود، وأخذ يجادل اليهود في عقائدهم بتعجرف، فاصطدم مع حاخاماتهم[5]. بعد فشله في تحقيق مبتغاها في المدينة، انتقل إلى بغداد، وعندما علم الوالي العثماني في بغداد أن اليهود يعارضون ما يقوم به صموئيل من نشاطات، ويضمرون له الشر ويسعون للنيل منه، قرر إبعاده عن بغداد في محاولة ذكية منه كي لا يثير الاعتداء عليه، فيما لو حصل،

---

(1) Encyclopaedia of Zionism and Israel, vol. I, P. 23.

(2) أفاريم نيمارق، المصدر السابق، ص 19.

(3) إبراهيم خليل احمد، **الاستشراق والتبشير**، ص 44.

(4) عبد العزيز سليمان نوار، **تاريخ العراق الحديث** ، ص 225.

(5) إبراهيم خليل احمد، المصدر السابق، ص 44.

قضية يستطيع من خلالها الإنكليز التدخل في الشؤون الداخلية للولاية لكونه أحد رعاياهم. وبالفعل جرى إبعاده إلى البصرة على أن يخرج من العراق بأسرع وقت ممكن[1].

بعد فشل مهمة صموئيل في العراق أصيبت جهود جمعية لندن في إطار تنصير يهود العراق بانتكاسة كبيرة، دفع إدارة الجمعية لإيقاف أنشطتها في العراق مؤقتاً بانتظار الوقت المناسب لمعاودة نشاطها من جديد. وعندما شعرت قيادة الجمعية بان الوقت قد حان لمعاودة عملها في العراق، أرسلت لهذا الغرض المبشر**هنري ستيرن Henry Stern** سنة 1844م لاستطلاع الوضع، حيث زار أغلب المدن التي يسكنها يهود العراق، لاسيما بغداد حيث تتركز الغالبية العظمى منهم فيها. وقد سجل ملاحظات دقيقة عن أحوالهم وظروف معيشتهم والسبل التي يمكن من خلالها تحويلهم إلى المسيحية[2]. وقد أوصى ستيرن بضرورة إقامة مقر دائم للجمعية في بغداد، وعدم الاكتفاء بإرسال المبشرين بين فترة وأخرى. حيث أكد على أهمية مثل هذا المقر الذي يمكن المبشرين من القيام بمهامهم على أحسن وجه[3].

أخذت قيادة جمعية لندن بعين الاعتبار التوصيات التي قدمها ستيرن ، وأقرت بأهمية فتح فرع دائم لها في بغداد وإرسال مبشرين يقيمون بصفة دائمية فيها بما يمكنهم من فهم الظروف المحيطة باليهود في العراق. وقد وقع الاختيار على مجموعة من اليهود البولنديين الذين اعتنقوا المسيحية للقيام بهذه المهمة. ومما شجع الجمعية على اتخاذ هذه الخطوة، الرعاية التي حظيت بها أنشطتها من جانب الموظفين الإنكليز في بغداد[4].

تمكن مبشرو جمعية لندن عبر سنوات عملهم الطويلة من تحقيق نجاحات لا يستهان بها بين صفوف يهود العراق، ساعدهم في ذلك تدهور أوضاع فئات كثيرة منهم. وأخذت أنشطتهم اوجه عدة منها المادية والعينية وصولاً إلى الجانب التعليمي، حيث تكفل فرع الجمعية في انخراط اليهود الراغبين في التعليم بالمدارس التبشيرية الموجودة في بغداد[5].

---

[1] عبد العزيز سليمان نوار، **تاريخ العراق الحديث** ، ص 225.

[2] أفاريم نيمارق، المصدر السابق، ص 19 – 20.

[3] ميخال افيطبول، المصدر السابق، ص 71.

[4] عبد العزيز سليمان نوار، **تاريخ العراق**، ص 317 ؛ ميخال افيطبول، المصدر السابق، ص 71.

[5] أفاريم نيمارق، المصدر السابق، ص 21.

والنجاح الذي حققه هؤلاء يشير إليه الرحالة الإنكليزي **جون يوسير JonUssher**، الذي زار العراق عام 1864م، من خلال وصفه لمقر الجمعية في بغداد بعد زيارته، حيث وجده جديراً بأن يكون كنيسة حسب وصفه[1].

إن الدراية الواسعة من جانب هؤلاء المبشرين باللغة العبرية والطقوس والشعائر الدينية لليهود ساهمت في تمكنهم من ربط جسور الثقة وبث روح الطمأنينة في نفوس اليهود البسطاء أثناء محاورتهم بالأمور التي تتعلق بشؤونهم الدينية وأوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية. وهذه الميزة ساهمت في سهولة إيجاد الثغرات التي تمكنهم من اختراق هؤلاء، والنجاح في تنصير أعداد منهم[2].

واجهت نشاطات جمعية لندن المحمومة لتنصير يهود العراق، ردود فعل شديدة، وعنيفة أحياناً، على الصعيدين الداخلي والخارجي. فعلى الصعيد الداخلي، رفضت المؤسسة الدينية اليهودية، مثلما رفض أغنياء الطائفة، ما يحدث من محاولات في هذا الاتجاه. واعتبرت ذلك تصرفاً لا يمكن السكوت عليه ودعت السلطات المحلية للعمل لوضع حد له. وكثيراً ما كانت المواجهات بين الطرفين تصل مرحلة العنف. وقد تنبه حاخامات اليهود لخطورة هذا التهديد، وبعد أخذ وعطاء، اتفق الجميع على أن العلة تكمن في جهل العديد من أبناء الطائفة اليهودية بتعاليم دينهم مما يسهل من عملية اختراقهم من جانب المبشرين. وكرد فعل لما تقوم به جمعية لندن، جاءت فكرة العمل على تطوير مستوى التعليم الديني اليهودي في العراق بما يضمن تخريج مستويات من الطلبة قادرة على أداء واجبها الديني تجاه أبناء جلدتهم وتحصينهم من الخطر الداهم الذي يحيط بهم[3].

---

[1] John Ussher , Journey From London To Persepolis, London, 1865, P. 439 – 441.

لا بد من الإشارة هنا، أن **جمعية لندن** كانت تقوم بنشاطات مماثلة في مناطق عدة من أقاليم الدولة العثمانية حيث يتواجد فيها يهود. ففي فلسطين، على سبيل المثال، قام المبشر **نيكولايسون** بمجهودات كبيرة من أجل بناء هيكل عبادة انكليكاني في عام 1838، إلا انه محاولاته فشلت. للمزيد من المعلومات ينظر/ جوزيف حجار، **أوربا ومصر والشرق العربي ... حرب الاستعمار على محمد علي والنهضة العربيـة**، ترجمة: بطرس الحلاق وماجد نعمة، بيـروت، 1976، ص 225 – 226.

[2] ميخال افيطبول، المصدر السابق، ص 71.

[3] أفاريم نيمارق، المصدر السابق، ص 23.

أما المعارضين من غير الحاخامات اليهود، وهم أغنياء الطائفة من ذوي الانفتاح الاجتماعي والثقافي، إن صح التعبير، فقد وجدوا ضرورة أخذ الأمور من زاوية معاكسة، لما يراه الحاخامات، عند مناقشة محاولات جمعية لندن لتنصير اليهود العراقيين. حيث اتفق هؤلاء على أن حماية اليهود من هذا الخطر لا يتم إلا عبر الارتقاء بهم اجتماعياً وثقافياً. وهذا لا يتم إلا عبر إعادة النظر بالتعليم الذي تقدمه المؤسسة الدينية اليهودية لأبناء الطائفة. وهذا التغيير ممكن تحقيقه عبر الاستعانة بخدمات الأليانس، بعد ما وصلت إلى أسماعهم أنباء تأسيسها، وبهذه الطريقة يتم حل كل مشاكلهم من دون خوف من مجاهل القدر[1].

أما على الصعيد الخارجي، فقد رفض يهود أوربا ما يجري من اضطهاد ديني لليهود عبر إجبارهم على تغيير معتقدهم، وان ما يقوم به هؤلاء المبشرون أمر لا يمكن السكوت عليه. وساهم ذلك، مثلما ساهمت بقية الأحداث التي تعرض لها يهود العالم، في تصاعد الأصوات التي تدعو يهود أوربا للعمل من أجل مساعدة أبناء جلدتهم عبر استنفار كافة الإمكانيات المتوفرة لديهم بما يخفف عنهم معاناتهم. وبعد تأسيس الأليانس وضعت في مقدمة أولويات عملها مواجهة هذه التحديات عبر تطوير نظم التعليم وإدخال الوسائل الحديثة في هذا الجانب بما ينعكس إيجاباً على يهود العالم، بما فيهم يهود العراق[2]. أن تشخيص قيادة الأليانس لما يعانيه يهود العالم من تخلف وتدهور اجتماعي وثقافي جعلها تضعفي أولوية أهدافها بناء تعليم حيث يستند إلى الدراسات التقنية والعلمية واللغوية، واجز مت أن ذلك فقط من شأنه أن ينقذ هؤلاء من حالة عدم الاطمئنان وفقدان الأمان[3].

أخيراً نستطيع القول بان: النشاط التبشيري الذي قامت به جمعية لندن بين صفوف يهود العراق شكل أحد الدوافع المهمة التي حركت قيادة الأليانس للعمل في العراق، أضف إلى ذلك رغبة يهود العراق أنفسهم، لأنها أرادت عبر نشاطها القائم على أساس إنشاء نظام تربوي متكامل حديث ومتطور، يقطع الطريق على أي جهة تحاول استدراج يهود

[1] Nissim Rejwan , op. cit., P. 193.

[2] Encyclopaedia of Zionism and Israel , vol. I, P. 22.

[3] Paul Dumont, op. cit., P. 209.

العراق، بما فيها جمعية لندن. لاسيما وان قيادة الأليانس قد أخذت بعين الاعتبار الرغبة المتزايدة لدى الشباب اليهودي خلال هذه المرحلة في الحصول على تعليم حديث، خصوصاً أبناء الأسر الغنية منهم. وفقاً لهذه الرؤية، نجد أن قيادة الأليانس ركزت في عملها على إنشاء نظام تعليمي يلبي هذه الرغبة. وفعلاً شرعت في ذلك مبكرا.

2 – انفتاح يهود العراق على التطور في أوربا:

كان العراق في مطلع القرن التاسع عشر منقطعاً تقريباً عما يحدث في العالم من تطور حضاري، لاسيما في أوربا الغربية. وهذا يرجع لسياسة الإهمال التي كانت تتبعها الدولة العثمانية إزاء ولاياتها العربية. ومن الصعب جداً أن نجد دلائل واضحة تدل على وجود مظاهر تعطي الانطباع على وجود تطور ومدنية حديثة، حيث معظم سكانه كانوا يعيشون تحت مستويات الفقر ويحيطهم التخلف والجهل بأبشع صوره، باستثناء ما كان يتعلمه البعض ضمن المدارس الدينية والكتاتيب، والقلة القليلة في المدارس التبشيرية المتوزعة هنا وهناك.

لم تبق الصورة قاتمة تماماً،وإنما أخذت تتغير بصورة بطيئة، حيث أخذت مظاهر الحياة تأخذ منحنىً آخر مع تزايد اهتمام الدول الأوربية الاستعمارية، لاسيما بريطانيا، وعدها العراق حلقة مهمة في إستراتيجيتها للهيمنة على المنطقة. وقد ساهم ذلك في الانفتاح على ما يدور في أوربا من تطور ورقي عبر الاحتكاك بالرعايا الأوربيين الذين أخذوا يتوافدون على العراق. أضف إلى ذلك، القفزات السريعة التي شهدها قطاع المواصلات والاتصالات، حيث يرجع الفضل في ذلك للجهود التي بذلها **الكولونيل فرنسيس رودن جسني F. R. Chesney وهنري لنـج HenryLynch** منذ عام 1831م لإدخال شبكة حديثة من السفن التجارية للعمل ما بين البصرة وبغداد، حيث سهل ذلك عمليات شحن البضائع ونقل المسافرين من والى العراق فيما بعد[1]. كما أن إنشاء بريد الهجن[2] بين بغداد ودمشق حوالي عام 1842م، ثم حلول البريد العثماني محله فيما بعد ، في سهوله وصول الرسائل والطرود إلى العراق. كما شهد العراق دخول الخدمات

---

[1] حنا بطاطو، المصدر السابق، الكتاب الأول، ص 286.

[2] وهو نظام بريدي يتم نقل الرسائل فيه عبر الصحراء بوساطة الإبل.

البرقية حيث كانت الخطوط الرئيسية تمر عبر أراضيه[1]. إن التطور الذي حدث في ميدان المواصلات والاتصالات عزز من ارتباط العراق بالعالم الخارجي شيئاً فشيئاً ، مما انعكس إيجابياً على سكانه الذين بدؤوا يحتكون بمظاهر التطور بشكل جدي.

لقد ساهم احتكاك العراقيين ،بما فيهم اليهود، بما يحدث في أوروبا من رقي وتطور حضاري في زيادة اطلاعهم وتنامي رغبة كبيرة في الاستفادة من الانفتاح الذي يشهده العراق خلال هذه المرحلة. ونظرا لكون اليهود يشكلون قوة اقتصادية مؤثرة لاسيما في القطاع التجاري فانهم كانوا الأكثر احتكاكاً بالتجار الأوربيين[2]. الأمر الذي عجل في سرعة انفتاحهم واتصالهم بالعالم الخارجي حرصا منهم في توسيع تعاملاتهم التجارية وتحقيق الفوائد المادية من وراء ذلك[3].

بمرور الوقت، أخذت قنوات الاحتكاك بمظاهر التمدن والتطور تتعدد، حيث نلاحظ اندفاع يهود العراق في العمل مع البعثات الدبلوماسية الأوروبية والرعايا الأوربيين المقيمين في العراق. وقد ساهم ذلك في اتساع نطاق معرفتهم، حيث أتقن البعض منهم اللغات الأجنبية التي مكنتهم من الاطلاع بشكل مباشر على ما يحدث في أوروبا من متغيرات عبر ما يتوفر من إصدارات متنوعة. ولم يقتصر الأمرعند هذا الحد، وإنما نجد بعضا منهم طلب الحماية الأجنبية، سواء كانت الإنكليزية منها أو الفرنسية[4].

انعكست رغبة يهود العراق في الاستفادة من الانفتاح الذي بدا يشهده العراق في تحقيق قفزات نوعية في حياتهم. فمن الناحية الاقتصادية، احتلوا منزلة اقتصادية مهمة. فمنذ النصف الأول من القرن التاسع عشر، سيطر هؤلاء على جوانب مهمة من تجارة العراق الخارجية[5]. ويتضح ذلك في نجاح العديد من الأسر التجارية اليهودية من فتح

---

[1] جاسم محمد هادي القيسي، **أحوال العراق الاقتصادية والاجتماعية1831 – 1869**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب/جامعة بغداد ، 1985 ، ص113.

[2] جاسم محمد هادي القيسي ،المصدرالسابق ، ص114؛ حاييم كوهين، المصدر السابق، ص4.

[3] حنا بطاطو، المصدر السابق، الكتاب الأول، ص286.

[4] خلدون ناجي معروف، المصدر السابق، ص59-60.

[5] جعفر الخياط، **صور من تاريخ العـراق الحديث في العصور المظلمة**، بغداد، 1971، ص250-251.

فروع لشركاتها في بريطانيا ودول أوربية أخرى، منها على سبيل المثال، أسرة **حاييم حسقيل** و**عزرا سحايك وايلي خضوري**[1]. بينما غدت تجارة الشرق بأيديهم. وهم بذلك شغلوا مساحات واسعة من حجم التجارة الخارجية للعراق آنذاك[2].

ومن الناحية الاجتماعية، نجد أن يهود العراق كانوا أسرع من غيرهم من فئات المجتمع في ترك طريقة حياتهم القائمة وفق التقاليد الشرقية، التي توارثوها من قبل. وتبنوا عادات وتقاليد أوربية لتغدو جزءاً من مفردات حياتهم اليومية فيما بعد[3]. ويعكس هذا السلوك من جانب يهود العراق رغبتهم في تسلق السلم الاجتماعي وتوثيق علاقتهم مع الرأسماليين والتجار الأجانب، حيث يتطلب ذلك اكتساب الخبرات اللغوية والحضارية[4]. وبناء على ذلك، سعى هؤلاء جاهدين في امتلاك مثل هذه الخبرات بما يمكنهم من تحقيق طموحاتهم في حياة أفضل. وبعد معرفتهم بأنشطة الأليانس ومحاولاتها للارتقاء بأحوال اليهود في العالم قرروا الاستعانة بها وتحقيق مبتغاهم.

لم يقتصر احتكاك يهود العراق بمظاهر الحياة العصرية عبر تطور نشاطهم التجاري فحسب، وإنما شهد العراق، لاسيما مدينة بغداد، قدوم الكثير من الرحالة اليهود الأوربيين الذين ساهموا خلال مكوثهم في المدينة في نقل بعض جوانب الحياة التي اعتادوها إلى يهود العراق عبر تعاملهم اليومي[5]. ومن أبرز هؤلاء الرحالة نتوقف عند الرحالة **دافيد دبيث هيلل**، حيث يشير أفاريم نيمارق إلى انه مكث قرابة عقد من الزمن امتدت ما بين 1823–1832م. ويرجع مصدر اهتمامه بمدينة بغداد على اعتبار أنها مركز ديني مهم لليهود في الشرق قاطبة[6].وكثيراً ما كان يجلب انتباه الطائفة اليهودية في بغداد عبر مظهره وسلوكه الذي يختلف كلياً عن ما هو مؤلف لديهم.

---

[1] David Solomon Sassoon, op. cit., p.125.

[2] ريجارد كوك ، **بغداد مدينة السلام**، ترجمة: مصطفى جواد وفؤاد جميل، ج2، بغداد، 1967، ط1، ص 172.

[3] علي إبراهيم عبده وخيرية قاسمية، المصدر السابق، ص 21 – 22.

[4] عبد الوهاب المسيري، **الأقليات اليهودية بين التجارة والادعاء القومي**، القاهرة، 1975، ص 107.

[5] أفاريم نيمارق، المصدر السابق، ص 14.

[6] المصدر نفسه، ص 19.

كذلك زار بغداد عام 1824م الرحالة **جوزيف ول** الذي بذل جهود في إقناع يهود العراق بضرورة الخروج عن واقعهم المختلف والأخذ بمظاهر المدنية الحديثة عبر تطوير مؤسساتهم الاجتماعية والثقافية والتعليمية بما يؤمن دور أكبر في المجتمع(1). وفي الاتجاه ذاته، وصل الرحالة **جوزيف بنيامين الثاني** إلى بغداد عام 1846، حيث ساهم في تقديم صورة نموذجية عن حياة اليهود في أوربا في ظل التطور الاجتماعي والثقافي الذي أصابهم بعد نيل حقوقهم في عدد من الدول الأوربية(2).

وفي عام 1850م وصل بغداد الرحالة **فيشل كستيلمان**. ومكث فيها فترة طويلة، وخلال حواراته مع يهود المدينة أوضح لهم أوجه الفرق بين نمط معيشتهم وأسلوب الحياة المتبع في أوربا، حيث شجعهم على أهمية الأخذ بوسائل المدنية الحديثة بما يضمن مكانة اجتماعية متميزة في مجتمع يؤمن لهم حقوقهم الدينية، على خلاف ما يحدث في شرق أوربا(3).

لقد انعكس نجاح هؤلاء الرحالة الأوربيين اليهود في تقديم صورة مثالية لأحوال اليهود في أوربا، وكشفهم عن هذا الرقي وارتباطه في أهمية تطوير قدراتهم الذاتية،بشكل إيجابي على يهود العراق ورسخ من قناعتهم بعدم جدوى أي عمل لاينصب باتجاة وضع أسس نظام تعليمي قائم على أساس علماني، وهو ما يفتقر إليه يهود العراق، حيث كانت المؤسسات التعليمية قائمة على أساس ديني بحت، كما لاحظنا من قبل. لكن مع وصول نبأ تأسيس الأليانس إلى مسامع يهود العراق بدأ لهم إمكانية تحقيق حلم إنشاء مؤسسة تعليمية حديثة حقيقة قائمة. وجاء حماس جماعة من يهود العراق، ممن ارتبطت مصالحهم المادية بضرورة الأخذ بوسائل الرقي والمدنية لأنه يحقق مكاسب أكبر، في العمل على جذب أنظار قيادة الأليانس بأهمية العمل في العراق بما يحقق الفائدة ليهوده.

كما ساهم وصول أعداد من يهود أوربا واستقرارهم في العراق، بعدما كانت تصل إلى أسماعهم أخبار عن الفرص المفتوحة لأبناء جلدتهم في الدولة العثمانية، بينما وجد

(1) Nissim Regwan, op cit., P. 177.

(2) Ibid ; Narcess Leven , op. cit, P. 205.

(3) أفاريم نيمارق، المصدر السابق، ص 19.

البعض الآخر فيه ملاذاً آمناً يمكن اللجوء إليه تخلصاً من الممارسات القصرية التي كانت تجري ضدهم في بلدانهم. وبطبيعة الحال، لم يجلبوا هؤلاء معهم مهاراتهم المهنية فحسب، وإنما عاداتهم وسلوكهم اليومي القائم على النمط الأوربي، إلى جانب بقاء اتصالاتهم مع أوطانهم الأصلية(1). لقد ساهم ذلك في تزايد رغبة يهود العراق بالسعي للأخذ بالسلوك والعادات التي اكتسبوها من هؤلاء في حياتهم اليومية، وزاد من رغبتهم بالانفتاح وترك حالة العزلة التي كرسها حاخاماتهم. وساهم ذلك في إصرارهم على إقامة نظام تعليمي حديث.

خلاصة القول، يتضح لنا بان يهود العراق قد سبقوا غيرهم، من يهود المنطقة، في الانفتاح نحو أوربا وتجديد علاقات يهود الشرق بيهود أوربا(2). كما ساهم هذا الانفتاح في خلق أرضية أستند عليها أصحاب الرأي الذي يدعو إلى تأطير الجهود في عمل منظم من أجل مساعدة يهود العالم والارتقاء بقدراتهم الذاتية بما يؤهلهم لِمواجهة متطلبات الحداثة، لأنه الحل الأمثل للخروج من عنق الزجاجة التي وضعوا فيه من قبل.

إزاء هذه الرغبة التي بدأت تتملك يهود العراق في تطوير قدراتهم الذاتية، كان لا بد أن ينالوا جانباً من الاهتمام بعدما تبلورت جهود يهود أوربا في إقامة تنظيم عالمي يخدم يهود العالم. حيث يمكن اعتبارهم مثالاً يعكس أهمية الأهداف التي حددتها الأليانس كمنهاج عمل لها. ومن هنا، كان لا بد أن تضع قيادة الأليانس مسألة الاهتمام بيهود العراق من جملة أولوياتها في العمل.

3 – الإصلاحات العثمانية وأثرها في تطور أحوال يهود العراق:

تركت الإصلاحات التي شهدتها الدولة العثمانية آثارها الإيجابية على يهود العراق، مثل بقية الأقاليم العثمانية الأخرى، حيث أحدثت تغييرات جذرية في حياتهم. وقد جاءت

---

(1) Nissim Rejwan , op. cit, P. 181.

(2) ميخال أفيطبول، المصدر السابق، ص 71.

هذه الإصلاحات تأكيداً على الحرية الدينية التي كانت تتمتع بها الأقليات الدينية، بما فيهم اليهود، في الدولة العثمانية[1].

من المعلوم أن السلطان **مصطفى الثالث**(1757–1789م) شرع بإصلاحات منذ أواخر العقد الرابع من القرن التاسع عشر إلى قصد تدارك حالة التدهور والأنحلال التي أخذت تنخر مؤسسات الدولة[2]. ولم تأخذ فكرة الإصلاح أبعادها الحقيقية، إن صح التعبير، إلا بعد تولي السلطان **عبد المجيد**(1839–1861م) الذي بادر إلى إصدار مرسوم (**خط شريف كولخانة**) في 3 تشرين الثاني/نوفمبر 1839م، ليدشن عهداً جديداً في الدولة العثمانية[3].

لقد أكد مرسوم (**خط شريف كولخانة**) على ضرورة إعطاء مزيد من الحريات والحقوق لرعايا الدولة العثمانية، منها على سبيل المثال. إلغاء عقوبة الإعدام بدون محاكمة، وضمان تحقيق العدالة فيما يتعلق بالحياة والشرف والتملك[4]، وتم إلغاء ضريبة الجزية التي كانت مفروضة على اليهود، وبقية الأقليات الدينية الأخرى، على اعتبار انهم أهل ذمة، فضلاً عن التأكيد على حقهم في العمل في مؤسسات الدولة من دون أي تمييز يذكر[5]. وتضمن المرسوم أيضاً، تعهد السلطات العثمانية في وضع قانون جزائي جديد وعدم انتهاكه بسبب المكانة والشخصية والتأثير، فضلاً عن إلغاء نظام الالتزام وأسناد

---

[1] Narcess Leven, op. cit., P. 387.

[2] يوسف رزق الله غنيمة، المصدر السابق، ص 197.

[3] محمد أنيس، **الدولة العثمانية والشرق العربي**، القاهرة، 1951، ص 216.

يبدو أن الدافع الرئيس من وراء قيام **السلطان عبد المجيد** بإصدار هذا المرسوم، هو التصدي لمحاولات الدول الأوربية الكبرى (**فرنسا/بريطانيا/روسيا**) التدخل في شؤون الدولة العثمانية الداخلية، ولاسيما في جزئها الأوربي. وكانت تعرف دبلوماسياً وتاريخياً باسم (**المسألة الشرقية**).ولكن انعكست هذه الأمور بالفائدة على يهود الدولة العثمانية في تحسين أوضاعهم وتعزيز دورهم داخل مؤسسات الدولة. للمزيد من المعلومات ينظـر/ هاشم صالح التكريتي، **المسألة الشرقية ...** المرحلة الأولى 1772– 1856، بغداد، 1990.

[4] ساطع الحصري، المصدر السابق، ص 87 – 88 ؛ يوسف رزق الله غنيمة، المصدر السابق، ص 217.

[5] محمد أنيس، المصدر السابق، ص 217.

مهمة جمع الضرائب الى موظفين حكوميين. والأكثر أهمية من ذلك اشترط المرسوم التزام الدولة في تطبيق كافة بنوده على كل مواطني الدولة دون مراعاة الدين والمذهب[1].

على الرغم من تأكيدات السلطان العثماني ورغبته في تطبيق بنود مرسوم (**خط شريف كولخانة**)، إلا أننا نلاحظ أن الإجراءات التطبيقية كانت منقوصة بسبب الإهمال من جانب السلطات التنفيذية في البلاد، عندما جرى التعامل وتفسير بنوده باجتهادات شخصية. ولكن على الرغم من ذلك نجد أن يهود العراق جنوا فوائد كثيرة من جراء صدور المرسوم وساهمت في انتعاش أحوالهم وتصاعد معدلات اندفاعهم نحو حياة أفضل. وفي هذا الصدد يعلق يوسف رزق ا غنيمة قائلاً: " **مما أنعش وبث في القوم [اليهود] روح الرقي وان لم يعمل بكل ما حواه ذلك المرسوم**"[2].

بعد ستة عشر عاماً، وعلى نحو أدق في 18 شباط/فبراير 1856م، أصدر السلطان عبد المجيد مرسوماً ثانياً، وهو ما يعرف بإسم(**خط شريف همايون**). ويرى جمع من المؤرخين، ومنهم ساطع الحصري، ان صدور هذا المرسوم جاء بضغط مباشر من جانب الدول الأوربية وعلى أثر انتهاء حرب القرم وانعقاد مؤتمر باريس عام 1856م، حيث أجبرت الدولة العثمانية على منح المزيد من الحريات للأقليات الدينية المتواجدة ضمن حدودها[3].

لقد أكد السلطان عبر هذا المرسوم التزامه على تطبيق ما ورد في مرسومه السابق، خط شريف همايون، إلى جانب المزيد من الخطوات الإصلاحية التي تهدف إلى إخراج الدولة العثمانية من عتمتها التي كانت تأخذ بها إلى مجاهيل الأمور. وفيما يخص الأقليات الدينية، فان من أهم المبادئ التي أكد عليها المرسوم،المبدأ الذي يؤكد على أساس معاملة جميع مواطني الدولة معاملة متساوية مهما كانت أديانهم ومذاهبهم ومنح المزيد من الحقوق والصلاحيات والامتيازات لرؤساء الأقليات لإدارة شؤون طوائفهم وغيرها من

---

(1) Walid Khadduri , op cit., P. 204 – 205 ; Nissim Rejwan, op. cit., P. 179.

(2) يوسف رزق ا غنيمة، المصدر السابق، ص 198.

(3) ساطع الحصري، المصدر السابق، ص 88 – 89.

الامتيازات التي كانت تصب في اتجاه تمتع هذه الأقليات باستقلالية أكبر في إدارة شؤونها[1].

بطبيعة الحال، تركت عملية الإصلاح، بالرغم من سلبياتها التي تمت في عهد السلطان عبد المجيد آثارها الإيجابية على يهود العراق. فقد استفاد هؤلاء، مثل غيرهم، من الامتيازات التي أقرتها المراسيم الإصلاحية. وهذا التطور في حياتهم فتح آفاقاً جديدة أمامهم لم تكن ممكنة من ذي قبل. وبما ان قدراتهم الذاتية لم تكن تستجيب لهذا التغيير. فمثلا، جعل قرار إلغـاء دفـع الجزية من قبـل اليهـود واستبدالهـا بدفـع ضريبـة بدل الخدمة العسكرية[2]،اليهود يشعرون بأنهم يستطيعون أن يكونوا فئة مؤثرة في مختلف جوانب الحياة، وأخذ وضعهم الصحيح في المجتمع المحلي الذي كانوا منعزلين عنه بسبب مخاوف الكراهية التي يحاولوا غرسها حاخاماتهم. هذا الشعور بالطمـأنينة حتم عليهم العمل من أجل توسيع دورهم في الحياة العامة، بعدما شغل العديد منهم العديد من الوظائف العمومية واختير آخرون أعضاء في المجالس البلدية وأعضاء في المحاكم المدنية[3].

لقد بأت من المؤكد، إن الرغبة التي بدأت تجتاح صدور اليهود العراقيين في الارتقاء الاجتماعي والمهني لا يمكن لها أن تحقق إلا عبر تغيير نمط الحياة التي اعتادوا عليها. وهذا بدوره لا يمكن تحقيقه إلا من خلال إقامة مؤسسات تعليمية ذات مستوى متطور تسرع في تحقيقهم هذه الرغبات. ونظراً لافتقار الطائفة اليهودية في العراق لمثل هذه المؤسسات جاءت مسألة الاستعانة بالأليانس أمر مفروغا منه لتحقيق التغيير الذي يطمح اليه غالبيتهم. في ذات الوقت، لا بد أن يكون هذا الدافع سبباً وفرصة لا تعوض تساعد على نجاح تجربتها الأولى في المنطقة.

---

(1) Nissim Rejwan, op. cit., P. 180.

(2) Ibid ; Hayyim Cohen, op. cit., P. 23 – 24.

تم إلغاء ضريبة بدل الخدمة العسكرية بعد انقلاب الاتحاديين سنة 1908. وأصبح اليهـود ملزمين كسائر مواطني الدولة بأداء الخدمة العسكرية. ينظر /

Marion Woolfson , op. cit., P. 41

(3) Hayyim Cohen, op. cit., P. 24.

4 – مكانة يهود العراق بين الطوائف اليهودية في الشرق:

ساهمت المكانة الروحية المتميزة التي يحتلها يهود العراق لدى يهود الشرق كافة في تركيز الأليانس اهتمامها بهم. وسعيها لجعل نجاح تجربتها معهم القاعدة التي تنطلق من خلالها نحو الشرق عامة لغرض تنفيذ أهدافها التي سطرتها.

لا يختلف اثنان حول الأهمية الروحية التي كان يحتلها يهود العراق عبر تاريخهم الطويل. فقد غدت بغداد مركزاً دينياً مهماً ومرجعاً يرجع إليه يهود الشرق، في كردستان الكبرى وبلاد فارس والهند وجنوب شرق آسيا وعدن واسيا الوسطى وغيرها من المناطق، لغرض المشورة والاستفسار[1]. وتحققت هذه المكانة المتميزة نتيجة الجهود التي قام بها حاخامات من يهود العراق هاجروا إلى تلك المناطق، حيث شكل ذلك دعاية كبيرة للمؤسسة الدينية اليهودية في بغداد ورصانتها في الأمور الشرعية[2]. ولم يقتصر الأمر على سفر هؤلاء الحاخامات الطوعي وعملهم بين طوائف يهود الشرق فحسب، وإنما استمرت هذه المؤسسة كمرجع ديني اساس في كل ما يتعلق بشؤون دينهم، كما أشرنا من قبل، إلى جانب طلبهم باستمرار إرسال المعلمين الروحانيين والذابحين الشرعيين[3]نظراً للنقص الحاصل عندهم[4].

ومما يؤكد على نفوذ يهود العراق الروحي وتغلغلهم بين الطوائف اليهودية في الشرق، مبيت بغداد قاعدة ينطلق منها الرحالة الاوربيون اليهود إلى حيث يقيم يهود الشرق. وكان هؤلاء يحملون توصيات من جانب حاخامات اليهود في بغداد إلى ممثليهم وحاخامات تلك المناطق للعمل على تسهيل مهامهم وتوفير الحماية لهم[5]. وبذلك نجد أن

---

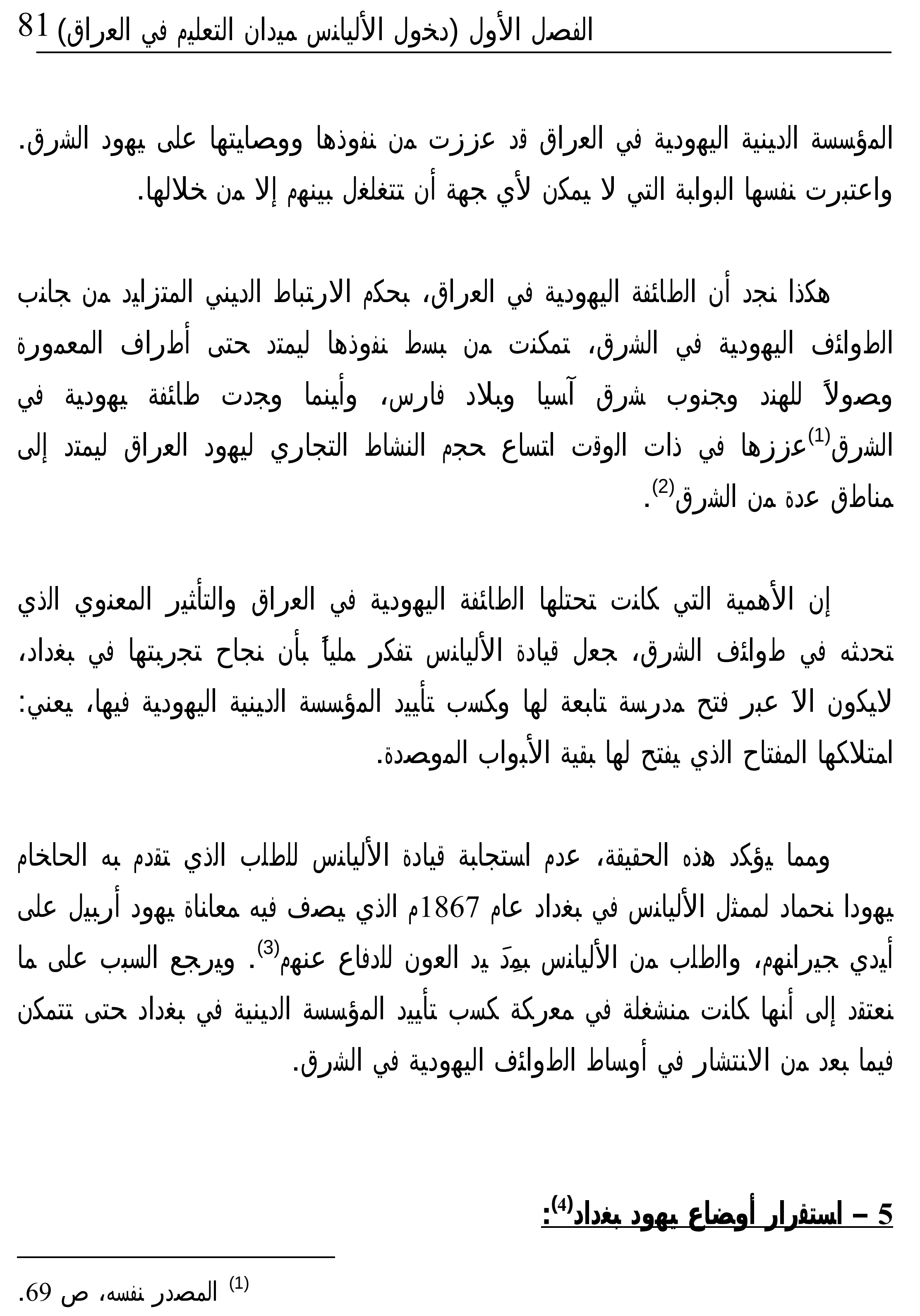
(1) حاييم كوهين، المصدر السابق، ص 4.

(2) David Solomon Sasson, op. cit., P. 171 ; مأمون كيوان، المصدر السابق، ص 24 .

(3) تتم عمليات الذبح لدى اليهود على أيدي رجال مؤهلين دينياً لهذه المهمة. وبإشراف مباشر من جانب المؤسسة الدينية اليهودية. وبغير هذا الإشراف يكون الذبح غير شرعي حسب ادعاءهم.

(4) حاييم كوهين، المصدر السابق، ص 4.

(5) أفاريم نيمارق، المصدر السابق، ص 69.



المؤسسة الدينية اليهودية في العراق قد عززت من نفوذها ووصايتها على يهود الشرق. واعتبرت نفسها البوابة التي لا يمكن لأي جهة أن تتغلغل بينهم إلا من خلالها.

هكذا نجد أن الطائفة اليهودية في العراق، بحكم الارتباط الديني المتزايد من جانب الطوائف اليهودية في الشرق، تمكنت من بسط نفوذها ليمتد حتى أطراف المعمورة وصولاً للهند وجنوب شرق آسيا وبلاد فارس، وأينما وجدت طائفة يهودية في الشرق[1]عززها في ذات الوقت اتساع حجم النشاط التجاري ليهود العراق ليمتد إلى مناطق عدة من الشرق[2].

إن الأهمية التي كانت تحتلها الطائفة اليهودية في العراق والتأثير المعنوي الذي تحدثه في طوائف الشرق، جعل قيادة الأليانس تفكر ملياً بأن نجاح تجربتها في بغداد، لايكون الا عبر فتح مدرسة تابعة لها وكسب تأييد المؤسسة الدينية اليهودية فيها، يعني: امتلاكها المفتاح الذي يفتح لها بقية الأبواب الموصدة.

ومما يؤكد هذه الحقيقة، عدم استجابة قيادة الأليانس للطلب الذي تقدم به الحاخام يهودا نحماد لممثل الأليانس في بغداد عام 1867م الذي يصف فيه معاناة يهود أربيل على أيدي جيرانهم، والطلب من الأليانس بمدّ يد العون للدفاع عنهم[3]. ويرجع السبب على ما نعتقد إلى أنها كانت منشغلة في معركة كسب تأييد المؤسسة الدينية في بغداد حتى تتمكن فيما بعد من الانتشار في أوساط الطوائف اليهودية في الشرق.

5 – استقرار أوضاع يهود بغداد[4]:

---

[1] المصدر نفسه، ص 69.

[2] David Solomon Sasson , op. cit., P. 171.

[3] ميخال افيطبول، المصدر السابق، ص 69.

[4] يشكل **يهود بغداد** الغالبية العظمى لليهود في العراق، فضلاً عن كون نسبتهم من مجموع سكان المدينة كان آخذاً بالتزايد طوال القرن التاسع عشر. وكان طبيعياً أن يتركز اهتماماً قيادة الأليانس بيهود بغداد دون غيرهم من يهود العراق في أول الأمر. ولغرض معرفة عدد السكان اليهود في بغداد ونسبتهم العامة يمكن الرجوع إلى **الجدول رقم (5)**.

عاش يهود بغداد حياة هادئة مع جيرانهم من المسلمين وبقية الأقليات الدينية الأخرى. ولم تسجل المصادر التاريخية، خلال القرن التاسع عشر تحديداً، أي حادثة شغب بمبادرة من جانب بقية سكان المدينة. وإنما على العكس من ذلك، تشير المصادر التاريخية إلى وقوع مثل هذه الاعتداءات من جانب السلطات العثمانية. ومن بين هذه الاعتداءات ما حدث في الأيام 4–6 أيلول/سبتمبر عام 1802، عندما تعرض يهود بغداد لهجمات دموية من جانب القوات الانكشارية المرابطة في المدينة طمعاً في أموالهم[1].

وفي أواخر حكم آخر الولاة المماليك (الكوله مند) **داود باشا** (1817–1831م)، تعرض يهود بغداد لابتزازه لغرض الحصول على الأموال اللازمة لإدامة تحديه السلطات العثمانية المركزية. وجاء امتناعهم عن تزويده بما يريد نظراً لكثرة الديون التي لهم بذمته، بان ألقى القبض على أغنيائهم وتعرضوا للتعذيب في السجن حتى وافقوا على تزويده بما يريد مقابل (**سندات**) كانوا على علم تام بأنها لا تساوي حتى قيمة الورق التي كتبت عليها[2]. وإزاء هذه الظروف التي حاطت بهم هاجرت العديد من الأسر اليهودية، الغنية تحديداً، من بغداد نحو جنوب شرق آسيا والهند. ويأتي في مقدمتها أسرة **ساسون**، التي كان عميدها **داود ساسون** الصراف باشي في بغداد على عهد داود باشا[3].

لم تأخذ العلاقة بين اليهود في بغداد والسلطة القائمة طابعاً تقليدياً في العداء، وإنما على العكس امتدت جسور الثقة بين الطرفين، وذلك لما استبشروا خيراً في استعادة السلطة العثمانية المركزية سيطرتها على بغداد وإزاحة داود باشا عام 1831م، في أثر حملة عسكرية بقيـادة **علي رضا باشا**. فقد تمكن الوالي علي رضـا باشا (1831–1842م) من فرض النظام في المدينة. وحال دون تعرض اليهود لأي اعتداء، وتمتع هؤلاء بحريـة تامة في ممارسة مختلف أوجه الحياة دون قيـد أو شـرط[4].

---

[1] يوسف رزق ا غنيمة، المصدر السابق، ص 198.

[2] عبد العزيز سليمان نوار، **تاريخ العراق الحديث**، ص 139 – 140.

[3] علي الوردي، **لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث**، ج1، بغداد، 1969، ص241 – 242 ؛ خلدون ناجي معروف، **الأقلية اليهودية**، ج1، ص 64 – 65.

[4] إبرا هام بن يعقوب، المصدر السابق، ص 92.

إن استقرار أوضاع يهود بغداد والعلاقة الودية القائمة على أساس التسامح مع بقية أفراد المجتمع في العراق ألغى مفهوم الجيتو، الذي كان سائداً في أوربا ومناطق أخرى، من قاموسهم الاجتماعي. حيث لم يجبروا على السكن في أحياء خاصة مغلقة، وإنما على العكس من ذلك، امتلكوا مطلق الحرية في السكن في أي مكان يشاؤون[1]. وإذا ما حدث وتجمع هؤلاء في أحد أحياء بغداد، فان ذلك لا يخضع لمفهوم الجيتو، لكونه يتداخل مع بقية الأحياء الأخرى فضلاً عن تواجد سكان من غير اليهود في هذا الحي[2]. وهذه الظروف التي كانت تحيط بهم من حيث الاستقرار والتسامح لم تتوفر في مدن أخرى مثل دمشق والقاهرة[3]، ومدن بـلاد فارس، حيث كانـوا يتعرضون إلى الإساءة بسبب معتقدهم[4].

نظراً لاستقرار أوضاع يهود العراق وجدت قيادة الأليانس أن تدخلها لمساعدتهم لا يدخلها في مواجهة مع السلطات العثمانية، وهو ما قد يعرضهم فيما بعد لمضايقات وكراهية. وإنما لا بد أن يقتصر عملها على الجانب تطوير قدراتهم الذاتية بما يحقق لهم حالة من التطور وحصد نجاحات أكبر مما كانوا عليه. على العكس، فيما إذا تدخلت في مناطق أخرى، مثل بلاد فارس، لأنها تحتاج إلى جهد استثنائي وممارسة ضغوط على الشاه فضلاً عن الكراهية التي قد تفشل جهودهم في النجاح بأول تجربة لهم في المنطقة. وعلى هذا الأساس، كانت مدينة بغداد تعتبر المدينة النموذجية التي يمكن للأليانس أن تنفذ أول مشروع لها عبر إنشاء أول مدرسة قائمة وفق النظم التعليمية الحديثة.

جدول رقم (5)

عدد سكان اليهود في بغداد[5]

[1] Marion Woolfson, op. cit, P. 97.

[2] مقابلة مع **الشيخ جلال الحنفي (بغداد)** في 17 / 5/ 2001.

[3] The Jewish Encyclopaedia, vol. 4, P. 420.

[4] Bernard Lewis , op. cit., P. 166.

[5] يتعذر إعطاء أرقام دقيقة لأعداد اليهود في العراق، وذلك لعدم وجود إحصائيات دقيقة عن سكان العراق خلال العهد العثماني، لذلك يجب أن يكون التعامل مع التقديرات التي تخص السكان بحذر. ولكن يمكن إعطاء صورة تقريبية نوعاً ما لأعداد يهود بغداد خلال القرن التاسع عشر لكون يهود

السنة	العدد التقديري لسكان بغداد	العدد التقديري للسكان اليهود	النسبة المئوية %
1794	80.000	2500	%3.3
1830	80.000	10.000	%12.5
1877	70.000	18.000	%25.7
1893	145.000	53.000	%35.8
1908	15.000	53.000	%35.3

ختاماً، نستطيع القول أن القراءة الدقيقة من جانب قيادة الأليانس لظروف لما كان يحيط يهود العراق من ظروف جعلتها تراهن بشكل مطلق على دقة اختيارها، ونجاح مهمتها إذا ما انطلقت. وقد تداخلت عوامل عدة،من خارجية وداخلية، في هذه الرؤية المتفائلة .فالرغبة التي اجتاحت يهود العراق في الارتقاء والأخذ بمظاهر المدنية الحديثة، حيث اكتشفوا ان بقاء تخاف هياكلهم الاجتماعية والثقافية إلى جانب بقاء خضوعهم لإدارة قيادتها الدينية من خلال مؤسساتها التعليمية التقليدية، سوف يعرقل من نجاحاتهم في الجانب الاقتصادي. وهو هدف لا يتوانى اليهود من أجله عمل أي شيء.

ومما زاد في اندفاع يهود العراق نحو الاستعانة بالأليانس في تغيير واقعهم المتخلف، هو تلاشي هاجس الخوف الذي أحاط بهم تجاه المؤسسات الاجنبية، كرد فعل تجاه نشاطات مبشرو جمعية لندن حينما حاولوا تنصيرهم بشتى السبل، والتي كانت تدعي بأنها تعمل لصالحهم قد زال بوضوح الأهداف التي تبنتها الأليانس، لاسيما وان أخبارها بدأت تجد صداها في أوساط يهود العراق من خلال انفتاحهم على ما يحدث في أوربا من تطورات وأحداث.

والأكثر من هذا، ساهمت مكانة يهود العراق لدى يهود الشرق من احتلال مركز الأولوية في حالة مفاضلة الأليانس، إلى جانب توفر ظروف أخرى تزيد من أهمية يهود

بغداد كانوا يشكلون ما يقارب الـ 75% من عدد يهـود العراق. ينظـر/ حنـا بطاطو، المصدر السابق، الكتاب الأول، ص 285.

العراق وتجعلهم النموذج الأفضل في حالة ولوج الأليانس مجال العمل في منطقة الشرق. فلقد، كان يهود بغداد يشكلون نسبة لا يستهان بها من مجموع سكان المدينة فضلاً عن استقرار أوضاعهم والعلاقة الجيدة التي كانت تربطهم مع بقية أفراد المجتمع البغدادي. مماشكل حافزاً لقيادة الأليانس لتخطو خطوتها نحو اختيار هذه المدينة، وهي واثقة من نجاحها. ولكن يبقى السؤال الذي يطرح نفسه، هل كل ما يتمنى المرء يدركـه؟! وهو ما سوف نحاول الإجابة عنه في المبحث القادم- بأذن ا -.

ثالثا: تأسيس أول مدرسة للأليانس في بغداد :

لاحظنا من خلال المبحث السابق، كيف ساهمت جملة من الدوافع فيما أبدته الأليانس من اهتمام غير اعتيادي بيهود العراق، واقتناع قيادتها بأهمية اختيارها نقطة الشروع لبدء عملها بين صفوف بقية الطوائف اليهودية في المنطقة.وهذا بطبيعة الحال، يؤكد لنا الأهمية التي كان عليها هؤلاء. إن الحذر الذي كان يتوخاه قياديو الأليانس في اختيار التجمعات اليهودية للعمل في وسطها وترجمة أهدافها على ارض الواقع،جعل مسالة الاختيار تخضع لأسس دقيقة، لا مجال للخطأ فيها، كي يتمكنوا من النجاح في

مسعاهم. ومردود هذا الحذر يرجع لقناعة قيادة الأليانس بان أي تعثر في بداية الطريق قد يؤثر على مستقبل جمعيتهم بشكل عام. وهذا التخوف والحذر لم يأت من فراغ، وإنما جاء نتيجة المعارضة التي كانت تواجهها من جانب أوساط يهودية عدة علمانية كانت أم دينية. فقد عدها العلمانيون على أنها لا تستطيع أن تعطي لليهود ما فقدوه [1]، فيما اعترض حاخامات اليهود على نشاطها، لأنهم وجدوا أي تحرك يسعى إلى تثقيف اليهود بثقافات علمانية مما يعني سلخهم من واقعهم المنعزل الذي خلقه هؤلاء [2].

بناءاً على ذلك، هناك ثمة أسئلة تفرض نفسها، إزاء التحديات التي كانت تواجهها الأليانس وطرق عملها، فهل نجحت الأليانس في اختيار النموذج المطلوب؟، وهل نجحت في تحقيق ما خطط له في بغداد؟، وهل كان هذا النجاح بالسهولة المتوقعة من جانب قيادة الاليانس، ام انها احتاجت إلى جهد وزمن أطول مما كانت تتوقع؟. هذه الأسئلة ستجد إجاباتها عبر الصفحات القادمة من هذا المبحث بعونه تعالى .

1ـ الخطوات الممهدة :

وضع قياديو الأليانس أيديهم على الجرح عندما اقروا بان افضل السبل للوصول إلى أهدافهم، والارتقاء بالطوائف اليهودية اجتماعياً وثقافياً، يتم عبر الاهتمام بالجانب التعليمي من خلال العمل على إنشاء شبكة من المؤسسات التعليمية القائمة على اساس علماني بحت، لاسيما تلك الطوائف التي لا تحتاج تدخل الأليانس سياسياً لدفاع عنهم، كما هو الحال مع يهود العراق. ووفقاً لهذه الرؤية التي تطرحها قيادة الأليانس، فقد اقتصر نشاط الجمعية في العراق على تقديم المساعدة ليهوده على أساس ثقافي وتعليمي فقط [3].

---

(1) The Jewish Encyclopaedia, vol. 1, P. 414.

(2) ميخال افيطبول، المصدر السابق، ص78.

(3) يحزقيل يفتح، **التعليـم اليهـودي في العراق خلال الأجيال الأخيـرة**، يافا ، 1984، ط2، ص31 . (**باللغة العبرية**)

لم تَثْن الظروف التي أحاطت الأليانس منذ انطلاقتها الأولى فـي باريس عام 1860م، المتمثلة في المعارضة الشديدة التي أبدتها أوساط يهودية عدة للرؤية التي تبنتها الجمعية، من المباشرة في تقديم خدماتها ومساعدة الطوائف اليهودية في العالم. وإنما على العكس من ذلك، نجد أن قيادة الأليانس قد أيقنت من أنها ستواجه معارضة اشد مما واجهته في فرنسا، لاسيما وان نشاطها سوف يتعارض مع أطراف كانت مستفيدة من الظروف التي أحاطت بالطوائف اليهودية[1]. وبناْءا عليه، اعتمدت قيادة الجمعية على تطور وسائل الإعلام والاتصالات في تعريف أبناء الطوائف اليهود بأنشطتها والأهداف التي تسعى لتحقيقها. و بذلك نجحت في إيجاد موطئ قدم لها من خلال تبني بعض أبناء الطوائف اليهودية للآراء التي تطرحها . ولم يتوقفوا عند هذا الحد، وإنما تقدم هؤلاء بطلبات يلتمسون موافقتها على مد أنشطتها حيث يتواجدون [2]. وقد أعطت هذه التحركات دفعاً معنويا للجمعية، مكنتها من القيام بخطواتها الأولى وهي تستند على أرضية صلبه، ومن دون الالتفاف لحسابات الفشل. فيما يخص يهود العراق، فقد أعطت التغييرات القانونية والاجتماعية التي شهدتها حياتهم حافزاً للعناصر التي كانت ترى أن الظروف مواتية للإسراع اكثر نحو حياة افضل وتحقيق مكاسب اكبر مما هم عليه. وكانت رغبة هؤلاء تصطدم بتخلف المؤسسات التعليمية اليهودية القائمة آنذاك، فقد عجزت الأخيرة عبر مناهجها القائمة على أساس ديني، في تحفيز اليهود نحو الصعود والارتقاء من خلال تطوير قابليتهم الذاتية. وعلى هذا الأساس، فقد ربط هؤلاء بين إقامة نظام تعليمي متطور يقدم معرفة علمانية تمكن حاملها من احتلال مكانه اجتماعية متميزة في مجتمع ينظر إلى المتعلم كالذي يحلم بالماء في وسط صحراء قاحلة[3].

لم يتأخر وصول أخبار الأليانس للعراق، بعد ما شهد العراق انفتاحاً على العالم الخارجي، منذ أواسط القرن التاسع عشر، بعد التطور الذي أصاب قطاعي النقل والاتصالات، إلى جانب تزايد احتكاك التجار اليهود بالتجار الأوربيين، واطلاعهم من خلال ذلك على ما يدور في أوربا من مستجدات وأحداث، أضف إلى ذلك وصول العديد من الرعايا الأوربيين اليهود واستقرارهم في المدن الرئيسة، مثل بغداد والبصرة

---

[1] Nacress Leven, op. cit-, p. 215.

[2] The Jewish Encyclopaedia, Vol. 1, p. 415.

[3] ميخال افيطبول، المصدر السابق، ص76؛
Ziv Yehuda, **Jewish schools In Bayhdad 1832-1974**, Tel-Aviv, 1996, p. 45.

والموصل، وكان هؤلاء على اتصال دائم بأوطانهم[1]. وعبر هذه القنوات وصل ما يكفي من أخبار ومعلومات تزيد من معرفة يهود العراق بأنشطة الاليانس. إلا أن الفضل الأول يرجع إلى كل من **إسحاق لورين Yitzchak Lurion وهيرمن روزنفيلد Herman Rosenfeld** [2] في فتح قناة الاتصال بين الطرفين،حيث سبق لهما الاتصال بقيادة الجمعية وطلبا قبول عضويتها، وتعهدا بالعمل على توعية يهود العراق بالدور الذي تضطلع به الأليانس لخدمة الطوائف اليهودية[3].

لقد ساهم انضمام كل من لورين ورزنفيلد للأليانس في أن شَهْدت بغداد نشاطاً موسعاً منهما لتعريف يهود المدينة بالدور الذي تقوم به الجمعية. كما قاما بحثهم، يهود المدينة، على مخاطبتها وطلب المساعدة منها في إنشاء مدرسة تابعه لها في المدينة تعتمد الأسس الحديثة في مجال التعليم[4]. إن الحماسة التي عمل بها كل منهما في تهيئة مناخ يتلاءم مع الرؤية التي كانت تطرحها الأليانس، جعلت بعض الأوساط، الراغبة بالتطور، تتحرك من اجل الاستفادة من الفرصة التي توفرها الجمعية. والتي إذا ما استثمرت يمكن أن تساهم في انتزاع يهود العراق من واقعهم المتخلف الذي عاشوا فيه عقوداً طويلة[5].

أثمرت جهود لورين وروزنفيلد في حث يهود المدينة على طلب يد المساعدة من الأليانس، عندما اجتمع أنصار هذه الفكرة أوائل عام 1864م. واتفق الجميع على مفاتحة الجمعية والالتماس منها فتح مدرسة تابعة لها في مدينتهم. ولهذا الغرض، بعثوا برسالة، وقع عليها الحضور، إلى مقر الجمعية في باريس يوم 19 كانون الثاني/ديسمبر 1864م، دعوها للعمل الجاد لافتتاح مدرسة في بغداد، واصفينها بأنها: **"ستظلهم الثقافة بجناحي**

---

[1] Nissim Rejwan, op. cit., p. 181.

[2] هما من يهود اوربا، كانا قد وصلا الى بغداد عان1850، حيث كان لورين يعمل ساعاتي، فيما كان روزنفيلد يعمل خياطاً. ينظر/ حاييم كوهين، المصدر السابق، ص7.

[3] يحز قيل يفتح، المصدر السابق،ص34..

[4] المصدر نفسه ،ص35؛ Nissim Rejwan, op. Cit, p. 181 .

[5] Zvi Yehudan, op. Cit, p.50.

نورها"[1]. وبهذا الطلب رمى المتحمسون لأنشطة الأليانس الكرة في ملعبها لترجمة شعاراتها إلى واقع عملي.

ونظراً للأهمية التي كانت تحتلها بغداد ويهودها في قائمة الاهتمامات التي وضعتها قيادة الأليانس، فقد وجد هذا الطلب اهتماماً واستجابة فورية تدل على الاستعداد المسبق لهذه الخطوة من جانب الجمعية. ولم تستغرق ترتيبات افتتاحها أقل من عام واحد في ذلك الوقت، عندما تم افتتاحها في يوم 10 كانون الأول/ديسمبر من العام ذاته[2]. وتؤكد سرعة التحرك من جانب قيادة الأليانس الاهتمام والرغبة في العمل بين صفوف الطائفة اليهودية في العراق، والانطلاق من خلالهم نحو بقية الطوائف اليهودية المتواجدة في المنطقة.

<u>2 – الافتتاح الأول:</u>

كما ذكرنا قبل قليل، افتتحت أول مدرسة تابعة للأليانس في العراق في بغداد بتاريخ العاشر من كانون الأول/ديسمبر1864م، وجرت مراسيم افتتاح بسيطة حضرها مدير المدرسة المبعوث من باريس وجمع من مؤيدي الأليانس من يهود المدينة، وقد شغلت المدرسة مبنى صغيراً يقع في منطقة (**تحت التكية**) في جانب الرصافة من بغداد. ويعد هذا الافتتاح، البداية الفعلية لعقود طويلة من العمل بين أوساط يهود الشرق عملت من خلالها الجمعية على رفع مستواهم الثقافي والفكري بما يتلاءم ومتطلبات المرحلة التي كانوا يعيشونها [3].

على الرغم من البداية المتواضعة التي بدأت فيها الأليانس، إلا أنها شكلت، فيما بعد، النواة التي مكنتها من بناء قاعدة عريضة من المؤسسات التعليمية في العديد من المدن العراقية حيث تتواجد تجمعات يهودية. وبالمحصلة، تمكنت مدارس الأليانس من القيام بدور فعّال ومتميز عجزت أي مؤسسة تعليمية يهودية أخرى من مجاراتها في ذلك،

---

[1] حاييم كوهين، المصدر السابق، ص 7.

[2] المصدر نفسه.

[3] يحزقيل يفتح، المصدر السابق، ص 38.

لا سيما فترة عملها في العهد العثماني[1]. ليس هذا فحسب، وإنما تمكنت من التفوق حتى على المدارس التبشيرية المسيحية التي كانت قد سبقتها بأشواط عدة من حيث الخبرة والزمن، لأنها لم تنشغل بما انشغلت به هذه المدارس في النشاط الديني الذي كانت تقوم به بين صفوف الطوائف المسيحية[2].

وتعد مدرسة الأليانس في بغداد أول مدرسة تفتتحها الجمعية على مستوى المشرق العربي، والشرق عامة، ولم تسبقها في هذا المجال، سوى مدرستي تطوان وتونس في منطقة المغرب العربي[3]. وقد خضعت المدرسة إدارياً لأشراف ممثل الأليانس الإقليمي في أسطنبول ، حيث كانت تتلقى التعليمات والأوامر من قيادة الأليانس من خلاله[4].

ويعد (المسيو) **نريسون** أول من كلف بإدارة شؤون المدرسة، وهو فرنسي الجنسية حضر خصيصاً إلى بغداد للقيام بهذه المهمة[5]، ومنذ البداية، اتبعت المدرسة، ومن بعد مدارسها الأخرى، النظم التعليمية الفرنسية الحديثة[6]. وبطبيعة الحال، كانت اللغة الفرنسية اللغة الأساس في التدريس، ولم تنافسها أي لغة أخرى طوال فترة عملها في العهد العثماني كلغه تعليم رئيسة[7]. وبالنظر لقلة أعداد الطلبة الملتحقين بالمدرسة كان المدير يضطلع بمهمة التدريس يساعده في ذلك إسحاق لورين ، نظراً لخبرته بشؤون الطائفة اليهودية في المدينة[8].

لم تواجه عملية افتتاح مدرسة الأليانس في بغداد أي مصاعب تذكر من جانب السلطات العثمانية المحلية التي تركت الباب مشرعاً أما المؤسسات الأجنبية، بمختلف

---

[1] المصدر نفسه، ص 38.

[2] Abul Wahab Abbas Al- Qaysi, op. cit., P. 77.

[3] Maroun Wolfsoon, op. cit., P. 75. **أنظر جدول رقم (6)**

[4] Zvi Yehuda, op. cit., P. 51.

[5] تقرير عن المدارس الإسرائيلية، ص 3.

[6] خلدون ناجي معروف، **لمحات عن حياة يهود العراق**، ص 18.

[7] Zvi Yehuda, op. cit., P. 51.

[8] Ibid, P. 51 ; يوسف رزق الله غنيمة، المصدر السابق، ص200 .

مشاريبها، تعمل بكل حرية وتفتح ما تشاء من مؤسسات تعليمية[1]. ويرجع سبب هذا الموقف من جانب السلطات العثمانية إلى انشغالها بمشاكلها السياسية والعسكرية وأزمتها المالية. وهذه الإنشغالات جعلت مستوى الخدمات التعليمية التي تقدمها لرعاياها تفي باحتياجات السكان في هذا الجانب[2]، لذلك أبدت السلطات العثمانية تساهلاً ملموساً إزاء الإرساليات التبشيرية والجمعيات الأجنبية لتعمل بكل حرية في مجال التعليم في جميع ولايات الدولة، ومنها الولايات العراقية[3].

على الرغم مما أظهره يهود العراق خلال فترة عقود التغيير الجذري التي كانوا يمرون بها، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، من براعة متميزة في التكييف والرغبة في قبول تغيير قل نظيره في المجتمعات اليهودية الشرقية. الا أن تحولاً ذا مدى مؤثر من الأساليب التقليدية إلى الحديثة في مجال التعليم كالذي ظهر عند تأسيس مدرسة الأليانس في نهاية عام 1864م، لم يأخذ مداه تماماً بدون عقبات تعترضه. وهو ما سنفرد له الصفحات اللاحقة.

---

[1] غانم سعيد العبيدي ، المصدر السابق، ص 110.

[2] Bernard Lewis, **The Emergence of Modern Turkey**, London, 1962, P. 111 – 112.

[3] شفيق حجا، **التنظيمات أو حركة الإصلاح في الإمبراطورية العثمانية 1856 – 1876**، مجلة الأبحاث ، السنة (18)، ج2، حزيران، 1965، بيروت، ص 135.

جدول رقم (6)

تواريخ افتتاح مدارس الأليانس في البلاد العربية والشرق[1]

ت	المدينة	الدولة أو المنطقة	تاريخ الافتتاح
1	أسطنبول	الأناضول	1862
2	تطوان	المغرب	1862
3	تونس	تونس	1863
4	أدرنه	الأناضول	1867
5	القدس	فلسطين	1870
6	دمشق	سوريا	1875
7	القاهرة	مصر	1890
8	طهران	بلاد فارس	1898
9	أصفهان	بلاد فارس	1905

[1] أعد هذا الجدول وفق لمعلومات أخذت من المصادر التالية:
Maroun Wolfsoon, op. cit., P. 75, 78 ; Paul Domont, op. cit, P. 209 ;
ي. سندلير، **يهود أيران** ، الكويت، 1979، ص 18؛ عبد ا   عبد السلام القطشان، **التعليم الخاص اليهودي والمسيحي والإسلامي 1920 – 1948**، ج2، عمان، 1988، ص 17.

3- توقف نشاط الأليانس المؤقت في بغداد:

لم تتمكن إدارة مدرسة الأليانس في بغداد من مواصلة عملها بعدما أخذت تواجهها مشاكل وعقبات عدة، ولم تكن قيادة الأليانس تتوقع أن تتعكر الأجواء في بغداد بالشكل الذي يجبر مديرها على اتخاذ قراره بإغلاق المدرسة لأبوابها وعودته إلى فرنسا[1]. وتركت صدمة إغلاق المدرسة آثارها السلبية على الخطط التي وضعتها قيادة الجمعية. وعلى هذا الأساس، كان لا بد من دراسة هذا الموضوع بشيء من التفصيل.

أ – أسباب الغلق:

(1) Nissim Rewan, op. cit., P. 185 .

يتفق غالبية الباحثين الذين تناولوا مسألة إغلاق مدرسة الأليانس بعد مدة وجيزة من بدء عملها في بغداد على ثلاثة أسباب، هي[1]:

1ـ معارضة مدرسي المدراش تلمود توراه وتخوفهم على مستقبل وظائفهم لدرجة أنهم أطلقوا على المدرسة أسم (**هيكل إلهة الكذب**) محتجين على المعلومات التي يتلقاها الطلبة فيها بخصوص بعض القضايا العلمية التي يحسبونها بدعة.
2ـ انشغال تلاميذ المدرسة عن دراستهم، لاسيما أن غالبيتهم من كبار السن والمتزوجين، والذين تتراوح أعمارهم بين13–20 سنة، الأمر الذي يعني انشغالهم بمصدر رزقهم على حساب التحصيل العلمي.
3ـ الظروف المناخية الصعبة التي لم يعتد عليها مدير المدرسة الفرنسي.

إن قراءة الأسباب السابقة وبيان علاقتها بإغلاق مدرسة الأليانس في بغداد تستدعي وقفة طويلة، لأنها بأي حال من الأحوال لا يمكن الأخذ بها هكذا، ولا بد من وجود سبب جوهري يقف وراء قرار الإغلاق. إذ من المستبعد ان يكون انشغال التلاميذ عن الدراسة وعدم تأقلم مدير المدرسة أسباباً لهذا الاغلاق، لأنهما لا يصمدان امام رغبة الأليانس وإصرارها على افتتاح هذه المدرسة في بغداد. فكيف يمكن التخلي عنها بهذه السرعة والسهولة؟ فانشغال الطلبة عن الدراسة، يتناقض مع رغبة يهود المدينة في الالتماس الذي قدموه للأليانس لغرض إنشاء هذه المدرسة. كما ان عدم تأقلم مدير المدرسة الفرنسي لا يمكن اعتباره سبباً مهماً في إغلاق المدرسة، ولو أخذنا به، فأنه من الممكن تلافيه عبر إرسال شخص بديل عنه، إذا ما أخذنا بالحسبان ان إرسال أي شخص في مهمة كهذه لا بد ان يكون قد تهيأ نفسياً ومعنوياً للتأقلم مع أجواء عمله الجديد. لذا فهو سبب غير مقنع ليحرك الأليانس نحو إغلاق مدرستها في بغداد بعد افتتاحها بوقت قصير.

يبقى سبب واحد من الأسباب الثلاثة، يمكن ان يقف وراء إغلاق مدرسة الأليانس في بغداد، ألا وهو معارضة مدرسي المدراش ، ألا أننا لا بد الا نأخذه على علاته دون

---

[1] حاييم كوهين، المصدر السابق، ص 7 ؛ يحزقيل يفتح، المصدر السابق، ص 39 ؛ هشام فوزي عبد العزيز، **الطائفة اليهودية في العراق 1860– 1914**، المجلة العربيـة للدراسات العثمانية،العدد1– 2 لسنة1990، تونس، ص181؛ Nissim Rewan, op. cit., P. 185 – 186 .

إخضاعه للتحليل. لأن معارضة هؤلاء لم تكن تعكس آراءهم فقط، وإنما تعكس وجهة نظر المؤسسة الدينية اليهودية في بغداد، لأنهم جزء لا يتجزأ منها. فقد عارض حاخامات اليهود نشاطات الأليانس، ومعارضتهم هذه شكلت سبباً رئيساً في عدم استمرار المدرسة في عملها بشكله الطبيعي، لأنه كان يدخل في إطار الصراع القائم بينهم ومؤيدي الحداثة من أبناء الطائفة اليهودية في العراق. ونظراً لأهمية هذا الموضوع كان لا بد من دراسته بشكل مستقل.

ب – معارضة القيادة الدينية اليهودية لنشاط الأليانس:

لقد واجهت القيادة الدينية اليهودية في عام 1864م تحدياً كبيراً ، تمثل في افتتاح مدرسة وفق الأسس الحديثة والعلمانية في بغداد من جانب الأليانس. وعدت هذه الخطوة، من جانبها، أبعاداً لليهود عن التقاليد الدينية مما يعني، إضعاف تمسكهم بتعاليم دينهم. لهذا وقف الحاخامات اليهود في العراق موقفاً معارضاً لنشاط الأليانس ، وقرروا محاربتها بكل ما أوتوا من قوة[1]، لاسيما أن المدرسة ركزت في منهاجها على الدروس العلمية واللغات فقط على حساب الاهتمام بالدروس الدينية حسب ادعائهم، على العكس مما كان يريده هؤلاء من التركيز على هذه الدروس، كما هو الحال في المدارس الدينية التي أنشئت من قبل[2]. وعلى هذا الأساس أصبحت مدرسة الأليانس أحد الميادين التي شهدت صراعاً محموماً بين الحاخامات اليهود وأتباعهم من التيار التقليدي الديني، وأتباع التيار المستنير.

ومن هنا، نلاحظ ان مسألة تطور التعليم اليهودي خلال هذه المرحلة شكل أحدى القضايا التي أثارت خلافات شديدة بين التيارين التقليدي الديني والمستنير. وكان كل طرف منهم على قدر كبير من القوة والنفوذ[3]. فقد أعتبر الحاخامات افتتاح مدرسة علمانية محاولة جادة لسحب البساط من تحتها، وفقدان تلك السطوة التي كانت المؤسسة الدينية تحظى بها من خلال تحكمها بتوجيهات الطائفة اليهودية. وعلى العكس، أعتبر

---

(1) يحزقيل يفتح، المصدر السابق، ص 39.

(2) ميخال أفيطبول، المصدر السابق، ص 78.

(3) المصدر نفسه، ص 88.

خصومهم هذه الخطوة بداية النهاية للهيمنة الدينية والانطلاق نحو بناء مجتمع مدني بعيد عن تدخلات وسيطرة الحاخامات عليهم[1].

ارتبط الصراع حول قضية التعليم بين التيار التقليدي الديني والتيار المستنير في بغداد بشخص الحاخام **يوسف حاييم**[2]الذي كان يعد أحد أشهر حاخامات الشرق قاطبة. وجاء سبب معارضته لأنشطة الأليانس من مبدأ معارضته لأي محاولة تهدف سلخ اليهود من الأجواء القاتمة والعزلة التي وضعتهم بها العادات والتقاليد الدينية، وهيمنة الحاخامات عليهم. وفق هذه الرؤية المتشددة تزعم التيار المعارض للأليانس، حيث أصدر فتوى دينية، دعمها بتوقيع غالبية حاخامات اليهود في العراق عليها، قضت بمنع الأسر اليهودية من إرسال أبنائها للدراسة في المدرسة[3].

لم تقتصر معارضة الحاخام يوسف حاييم لأنشطة الاليانس في بغداد فحسب، وإنما أبدى معارضة شديدة للآراء التي نادى بها الحاخامات اليهود، كرد على نشاط الأليانس، تدعو إلى إدخال بعض الدروس العلمية واللغات الأجنبية في المؤسسات التعليمية الدينية[4]، لأنه حسب رأيه يعد خروجاً على شعائر الديانة اليهودية[5].

اعتمد الحاخام يوسف حاييم على جهود مدرسي المدراش تلمود توراه، مستفيداً من الضرر الذي قد يصيبهم بسبب أتساع نطاق التعليم العلماني، في محاربة نشاط الأليانس، لاسيما ان هؤلاء بحكم علاقتهم الواسعة مع العوائل اليهودية واحتكاكهم المباشر معهم مكنتهم من تحريض الأهالي ضد مدرسة الأليانس. وقد تمكن هؤلاء من إقناع يهود المدينة بخطورة التحاق الأطفال اليهود بالمدرسة بسبب الأفكار الشيطانية التي تجلب الضرر لهم.

---

(1) Zvi Yehuda, op. cit., P. 52; David Solomon Sassoon, op. cit., P. 170.

(2) **يوسف حاييم** (1832– 1904) من مواليد بغداد، كان والده من كبار حاخامات بغداد. وبعد وفاة والده، وعلى الرغم من صغر سنه آنذاك حيث كان عمره 25 سنة، عامله يهود بغداد كبديل لوالده. ونال شهرة واسعة أمتدت إلى خارج حدود بغداد لتشمل كل مناطق الشرق. وعدت آراؤه تعاليم ملزمة ومهمة أحياناً. له الكثير من المؤلفات، ويعد كتاب (**ابن رجل حي**) من أشهر مؤلفاته. أنظر/ Eliezer C. Abrahamson, **The Ben Ishchai-Chacham Yosef Haim,** In internet:www.epipo.com/index.asp.

(3) ميخال أفيطبول، المصدر السابق، ص 78؛ يحزقيل يفتح، المصدر السابق، ص 40.

(4) David Solomon Sassoon, op. cit., P. 171.

(5) ميخال أفيطبول، المصدر السابق، ص 78.

وبالفعل أثارت هذه التحركات حفيظة ومخاوف العوائل اليهودية التي أعرض الكثير منها عن إرسال أبنائها للمدرسة. وقد نجم عن هذا الأحجام عن تعطيل جهود إدارة المدرسة في توسيع قاعدة نشاطها فضلاً عن إثارة المشاكل في وجهها. وبهذه التحركات، نجح يوسف حاييم وأنصاره في نهاية المطاف من إجبار إدارة المدرسة على إغلاق أبوابها وإيقاف عملها[1].

لم يكتف يوسف حاييم في محاربة الأليانس في العراق، وإنما أعتمد على سمعته ومكانته الدينية في تشويه صورة الأليانس وتحذيره للطوائف اليهودية الأخرى من خطرها. وقد وجدت تحركات حاييم ترحيباً من جانب حاخامات اليهود في مناطق عدة من الشرق، أذ أصدر حاخامات اليهود في فلسطين فتوى مشابه للفتوى التي أصدرها يوسف حاييم، وأعلنوا فيها تحريمهم للأنشطة التي تقوم بها الأليانس، واعتبروها خطرا يهدد كيان اليهود[2]. ولم يكتف حاخامات الأناضول بهذا الحد، وإنما تطرفوا في فتواهم عندما عدوا كل من يدخل أبناءه في مدارس الأليانس خارجاً عن الديانة اليهودية، جاعلين تعلم اللغة الفرنسية جنحة لأنها لغة الكافر حسب رأيهم[3].

لهذا وجدت إدارة مدرسة الأليانس في بغداد نفسها محاصرة بمعارضة القيادة الدينية لها التي فاقت قدرتها على المواجهة، لاسيما وان أنصار المدرسة لم يكونوا، خلال هذه المرحلة، بالمستوى المطلوب للدفاع عن ديمومة المدرسة ومواصلة عملها. ولم يكن من قرار الإغلاق مفراً في هذه الظروف غير المواتية. أو ربما كانت هي خطوة تكتيكية للمواجهة فيما بعد، عبر إعادة تنظيم أوراقها ومعرفة تأثير أنصار التيار المستنير من يهود المدينة في مواجهة الزعامة الدينية اليهودية، لاسيما أن المعارضة، كما ظهر، تجاوزت حدود بغداد نفسها وأخذت أبعاد أكثر خطورة تكاد أن تقضي على جهود الأليانس ومسعاها في تطوير قدرات يهود الشرق كافة. أضف إلى ذلك، أن هذه المواجهة المبكرة قد كشفت عن الدور المؤثر الذي تقوم به المؤسسة الدينية في حياة يهود المنطقة، وجدت ضرورة كسب العناصر المؤثرة منها سعياً في تحقيق أهدافها.

---

[1] حاييم كوهين، المصدر السابق، ص 7 ؛ يحزقيل يفتح، المصدر السابق، ص 40.

[2] David Solomon Sassoon, op. cit., P. 168.

[3] Osman Ergin, **Turkiye Marrif Tarihi**, Cild : 1-2, Istanbul, 1977, P. 797-798.

وأخيراً، لا بد من القول بان موقف الحاخامات اليهود في بغداد من نشاط الأليانس لم يأت من فراغ، وإنما على العكس إن المعارضة التي أبدتها المؤسسة الدينية اليهودية لها خلفياتها التي جعلت هؤلاء يتخذون هكذا موقف تجاه الأليانس. فقد سبق الإشارة إلى كون الحاخامات اليهودية خاصة وأبناء الطائفة اليهودية في العراق، وبغداد على وجه التحديد، خاضوا صراعاً أمتد لسنوات مع جمعية لندن، عبر مبشريها الذين حاولوا تنصير يهود العراق. إن نظرت الشك التي بدأت تنتاب يهود العراق تجاه هذه الأنشطة أفقدتهم الثقة تجاه أي تحرك يقوم به الأوربيون وأن كان يصب في مصالحهم. ومن هنا، جاء الاعتقاد بأن ما تقوم به الأليانس ينصب في الإطار ذاته، لهذا رفضوا التعاون معها وحرموها من فرص العمل السهل في العراق عند انطلاقتها الأولى[1].

ج – مناورة الأليانس لمواجهة معارضيها:

عندما شعر مدير مدرسة الأليانس في بغداد بأن دور التيار المؤيد لها لم يأخذ دوره الحقيقي في توعية العوائل اليهودية وتشجيعهم على إرسال أولادهم للمدرسة، بالمقابل نجح معارضوها في تحريض الأهالي اليهود ضد نشاط المدرسة وامتناع العديد منهم عن إرسال أولادهم لها، الأمر الذي جعل تحركات أنصار التيار التقليدي، وعلى رأسهم الحاخام **يوسف حاييم**، حجر عثرة في تنفيذ خطط الأليانس في المدينة. وإزاء هذه المتغيرات وجد مدير المدرسة الا مناص من إغلاق المدرسة لأبوابها.

لكن يبقى السؤال مطروحاً، لماذا انسحبت الأليانس بهذه السرعة من بغداد، وهل هو انسحاب تكتيكي أم رغبة في عدم فتح جبهات جديدة لها؟ .إن الإجابة عن هذا السؤال في ضوء المعطيات المتوفرة يأخذ محاور عدة، أولها، رغبة قيادة الأليانس في عدم فتح جبهات صراع لها، وفي ساحة لم تعرف بعد أي شيء عن تضاريسها الاجتماعية والثقافية، إلى جانب انشغالها في خوض صراع أهم مع معارضيها في أوربا[2].

---

[1] أفاريم نيمارق، المصدر السابق، ص 59.

[2] The Jewish Encyclopaedia, Vol. 1, p. 415.

يومئذ وجدت قيادة الأليانس إن الفشل في العراق لا يمكن تجاوزه من دون دراسة خلفيات هذا الفشل، لأنها أخذت بعين الاعتبار فقدانها لبغداد، كقاعدة انطلاق، يعني تلاشي جميع الفرص للانطلاق من جديد، وهو ما يعني فقدانها مساحات عمل واسعة جداً. إذن هو انسحاب تكتيكي أرادت من ورائه قراءة ما يجري في أوساط الطائفة اليهودية من صراع دائر بين التيار المستنير، الذي يؤيد دخول الأليانس بغداد، والتيار التقليدي المحافظ الذي يرفض أي تغيير في حياة الطائفة اليهودية في العراق. إلا أنها في ذات الوقت، وجدت في بقاء المدرسة استمرار المعوقات، التي كان يختلقها أنصار التيار التقليدي، التي تحول دون تنفيذ المهام التي كلف بها مدير المدرسة في المدينة. لذا وجدت الجمعية في استرخاء مؤيديها ما ينعكس سلباً عليها. لهذا اتخذت خطوة إغلاق المدرسة للوصول بالطرفين إلى مستوى المواجهة، التي لا بد أن تكون حاسمة بنتائجها. ومن الطبيعي أن تنعكس على الأليانس سواء كانت إيجابية أو سلبية. وفي ضوء ذلك ستحدد أسس إستراتيجيتها من جديد في المنطقة.

في خضم الصراع الدائر بين التيارين المستنير والتقليدي، شعر أنصار التيار الأول بالهزيمة خلال هذه المرحلة بعد إغلاق مدرسة الأليانس. واقتنعوا بأن الاستسلام لهذه الهزيمة ربما يعني نهاية طموحاتهم في إحداث تغييرات جوهرية في حياة الطائفة اليهودية في العراق، ولاسيما في مجال التعليم. وعلى هذا الأساس، لم يعتبروا فشل محاولاتهم في ثني إدارة المدرسة عن إغلاق أبوابها ، قرروا الاعتماد على قدراتهم الذاتية في إعادة فتحتها من جديد. وفي إطار هذا المسعى جرت محاولات عدة في اختيار أحد يهود المدينة المؤهلين لتولي مهمة إدارة شؤون المدرسة. وفعلاً تم إقناع موظف التلغراف اليهودي، الذي كان يجيد الفرنسية، للقيام بهذه المهمة. لكن هذه المحاولة باءت بالفشل، لما عجز موظف التلغراف من التوفيق بين عمله الأساس والمهمة التي كلف بها، فاعتذر عن الاستمرار بها[1].

لقد أيقن أنصار التيار المستنير، بعد فشل محاولتهم في إعادة افتتاح المدرسة من جديد، بأهمية عودة الأليانس للعمل من جديد لتأخذ على عاتقها إدارة شؤون التعليم الحديث

---

[1] حاييم كوهين، المصدر السابق، ص 7 ؛ يحزقيل يفتح، المصدر السابق، ص 42.

في المدينة. وتفويت الفرصة على أنصار التيار التقليدي المحافظ في إثبات قوة تأثيره على أبناء الطائفة اليهودية[1].

إزاء هذه المعطيات الجديدة أخذ أنصار التيار المستنير يفكرون ملياً بأهمية توفير الأجواء الملائمة حتى تتمكن الأليانس من العودة واستئناف نشاطها من دون التحسب من الفشل مرة أخرى. وهذا الوضع يستلزم التحرك جدياً لتذليل المعوقات التي حالت دون استمرارها من قبل. فوجد هؤلاء ضرورة تأطير عملهم بالشرعية الدينية لغرض كسب مؤيدين أكثر، وهذه الشرعية لا يمكن تحقيقها إلا عبر كسب تأييد بعض الحاخامات اليهود لهم، عبر دعم خطوتهم باتجاه إعادة فتح مدرسة الأليانس من جديد. وبالفعل تمكنوا من كسب تأييد رئيس دار الحاخامية العليا في بغداد، مؤسس اليشيفا، الحاخام **عبد ا إبراهيم سوميخ** ، ففي تغيير مفاجئ، لم يتوقعه أحد، أعلن عن تأييده ودعمه لنشاط الأليانس في بغداد رافضاً الاستجابة للدعوات التي أطلقها يوسف حاييم بخصوص مقاطعتها[2]. ولم يكتف بهذه الخطوة فحسب، وإنما أعلن عن استعداده لإرسال أبنه أهرون ليدرس في المدرسة بعد إعادة فتحها من جديد[3]. ولا يمكن تفسير هذا التغيير في موقف سوميخ إلا أنه يدخل في إطار الصراع الذي كانت تشهده بغداد آنذاك بين الحاخامات اليهود للزعامة الدينية، لاسيما الصراع بين الحاخام سوميخ والحاخام حاييم يوسف[4]، وقد نجح أنصار التيار المستنير في استغلال هذه الثغرة في إضعاف عرى التماسك بين القيادة الدينية اليهودية تجاه الأليانس.

على أية حال، لقد عد موقف عبد ا سوميخ نجاحاً غير متوقع لأنصار التيار المستنير، وضربة موجعة لمعارضيهم في ذات الوقت. كما أنها أعطت الضوء الأخضر لانطلاقة جديدة للأليانس في بغداد ووضع أسس عمل ثابتة من دون أي عقبات تعترضها مستقبلاً[5]. وهذا النجاح الذي تحقق يدل على صحة قراءة قيادة الأليانس للأحداث التي

---

[1] Nissim Rejwan, op. cit., P. 186.

[2] Nissim Rejwan, op. cit, P. 186 ; حاييم كوهين،المصدر السابق، ص8.

[3] يحزقيل يفتح، المصدر السابق، ص 43.

[4] أفاريم نيمارق، المصدر السابق، ص 60.

[5] Manaf N. Abdul-Ghani, op. cit., P. 17.

شهدتها الطائفة اليهودية في العراق وحسن تدبيرها في مواجهة تحديات كادت تطيح بمخططاتها من غير رجعة. وهذه الرؤية الثاقبة للأحداث هي التي جعلت الأليانس تعمل لسنوات تجاوزت القرن من الزمان.

4 – الافتتاح الثاني (مرحلة الرسوخ):

بعد الشرخ الذي أصاب التيار التقليدي المحافظ المعارض للأليانس عقب إعلان الحاخام عبد ا سوميخ تأييده للجمعية، أصبحت الظروف مهيأة للأليانس لمعاودة لنشاطها في العراق. وبناءاً عليه، وجد مؤيدوها أن مبررات إيقاف الجمعية لنشاطها في المدينة قد تلاشت. وفعلاً كتب هؤلاء رسالة للأليانس شرحوا فيها هذه التفصيلات، حيث ركزوا في دعوتهم لها على وقوف الحاخام سوميخ معهم لماله من نفوذ في أوساط الطائفة اليهودية في العراق عامة، والمؤسسة الدينية على وجه التحديد، إذ ذلك في نظرهم كاف للاليانس لتعمل دون تَخَوَفٍ من نتائج سلبية مستقبلاً[1].

على أثر هذه التغييرات التي شهدتها الأليانس لم تتوانى في إعادة النظر في قرارها السابق بوقف أنشطتها في المدينة، فتقرر فتح المدرسة وإرسال (**المسيو ماركس**)[2] من باريس ليقوم بالترتيبات اللازمة لذلك. وبعد وصوله إلى بغداد صيف عام 1865م، زار الحاخام سوميخ وشكره على موقفه الذي ينصب في صالح يهود العراق ، ثم باشر العمل في إعادة فتح المدرسة، حيث فتحت أبوابها لاستقبال الطلبة في يوم:12 تشرين الأول/أكتوبر1865م في احتفال رسمي حضره الحاخام سوميخ نفسه. وبمعاودة الأليانس لنشاطها من جديد، تكون قد وضعت حجر الأساس لنظام تعليمي حديث، ورسمت نقطة تحول في التعليم اليهودي في العراق[3].

---

(1) Zvi Yhuda, op. cit., P. 54 ; 43 يحز قيل يفتح، المصدر السابق، ص .

(2) **أنظر جدول رقم (7) .**

(3) Manaf N. Abdul-Ghani, op. cit., P. 17 ; Maroun Wolfsoon, op. cit., P. 145.

شغلت المدرسة نفس المبنى الذي كانت تشغله من قبل، دار تقع في زقاق بيت دنوس في محلة التوراة ذات الغالبية اليهودية[1]. ولكن بمرور الوقت، أصبح مقرها لا يتلاءم مع اتساع خدماتها التي أخذت تتسع، فانتقلت في عام 1874م إلى بناية جديدة[2] في المحلة ذاتها، بعدما تبرع السير **البير داود ساسون**[3] بالأموال اللازمة لغرض بنائه[4]. وتم تدشينه في احتفال كبير، حضره حاخامباشي اليهود اليشع ساسون دنكور[5]وأعيان الطائفة في المدينة، فضلاً عن مندوب بعثت به قيادة الجمعية من باريس خصيصاً لهذه المناسبة[6].

ومنذ عام 1874م، واعترافاً بجهوده في دعم نشاط الجمعية في العراق، أخذت مدرسة الأليانس تعرف باسم مدرسة (**ألبير ساسون**)[7]. وقد وصف المبنى الجديد بأنه كان ذا أبهة، وعلى درجة عالية من الجمال في مواصفات ذلك الزمان[8]. وتعد مدرسة الاليانس، تلك، أول مدرسة يجري بناؤها بالطابوق المفخور في بغداد[9]، ليس هذا فحسب،

---

(1) تقرير عن المدارس الإسرائيلية، ص 3.

(2) يتوهم البعض في الإشارة إلى تاريخ تأسيس أول مدرسة للأليانس في بغداد. ومرد هذا التوهم هو انتقالها إلى بنايتها الجديدة عام 1874، فتصور البعض أنها غير المدرسة السابقة التي تأسست في عام 1864. للمقارنة، ينظر على سبيل المثال/ **مجلة المصباح**، العدد 30 في 1924/11/3.

(3) يهودي من أصل عراقي، ولد في بغداد، هاجر مع والده داود ساسون إلى الهند. واستطاعت عائلته أن تكون ثروة طائلة من جراء النشاط التجاري الذي قامت به هناك. ونظراً لاستمرار اتصالاته وتواصله مع أبناء الطائفة اليهودية في العراق قدم الكثير من التبرعات لصالح الأعمال الخيرية هنا.

(4) تقرير عن المدارس الإسرائيلية، ص 3.

(5) ساهم موقف الحاخام عبد ا سوميخ في دعم أنشطة الأليانس في بغداد في تشجيع حاخامات آخرين لانتهاج نفس النهج الذي سار عليه، ومنهم الحاخام دنكور.

(6) أفاريم نيمارق ، المصدر السابق ، ص 60.

(7) خلدون ناجي معروف، **الأقلية اليهودية**، ج 1، ص 70.

يشير المحامي داود سمرة في مذكراته الى كون مدرسة الأليانس في بغداد كانت تعرف باسم (**أسكول**) School من قبل عامة اليهود. ينظر/ داود سمره، المصدر السابق، ص 8.

(8) أفاريم نيمارق، المصدر السابق، ص 62.

(9) محمد قدري لطفي، **دراسات في نظم التعليم، القاهرة**، 1960، ص 40.

وإنما تميزت طرق بنائها كانت وفق الطرز الأوربية في التخطيط[1]، كما تميزت المدرسة بمراعاة الشروط الصحية للطلبة عبر احتوائها باحة وسطية وحديقة، مما كان يمكن الطلبة من الاستمتاع بالشمس والهواء النقي[2]. وهذه ظاهرة جديدة لم تعتد عليها المباني المدرسية في العراق آنذاك. بالاضافة الى ذلك أمتازت المدرسة بكبر مساحتها، مقارنة ببقية المدارس المعاصرة لها، حيث كانت تضم أثنى عشر صفاً دراسياً إلى جانب الملاحق الإدارية الأخرى[3].

على الرغم من الانتصار الذي حققه مؤيدو الأليانس في كسب التأييد لها وإعادة فتح مدرستها من جديد، إلا أن الدعاية المعادية لها من جانب بعض الحاخامات اليهود ظلت مستمرة وقائمه. وقد أثرت هذه الدعاية في انخفاض معدلات الإقبال بسبب معارضة الآباء اليهود لإلحاق أولادهم بالمدرسة. وإزاء هذه الظروف التي كانت تواجه الأليانس في بغداد، اتخذت خطوة جرئيه، لمَا وضعت ضمن مخطط إنشاء المدرسة بناء كنيس (**معبد يهودي**)، حيث شغل هذا الكنيس غالبية مساحة الطابق الأرضي في المبنى[4]. وذلك لتسهيل مهمة الطلبة في اداء واجباتهم الدينية أثناء تواجدهم في المدرسة[5]. وهو كانت خطوة مدروسة اتخذتها إدارة الأليانس لإسكات المعارضين لها وإضعاف حجتهم في كونها ذات توجهات علمانية لا تعير الجانب الديني أي اهتمام، وذلك ما يؤمن عدم أعراض العوائل اليهودية من إرسال أولادهم إلى المدرسة. وغير ان تلك المخاوف استمرت حتى أواخر العقد الأخير من القرن التاسع عشر الميلادي، أين كان الأباء يترددون في إدخال أبنائهم المدرسة لتخوفهم من احتمالات تخليهم عن الالتزام بالواجبات الدينية. وهذا يدل على مدى تأثير الدعاية المعادية للأليانس بين صفوف الطائفة اليهودية في بغداد[6]. لقد انعكست هذه المخاوف بانخفاض معدلات إقبال الطلبة على الانضمام للمدرسة طوال سنوات عملها في القرن التاسع عشر، لاسيما وان بعض العوائل فضلت إرسال أولادها

---

[1] أفاريم نيمارق، المصدر السابق، ص 62.

[2] محمد قدري لطفي، المصدر السابق، ص 41.

[3] David Solomon Sassoon, op. cit., P. 172.

[4] **دليل العراق الرسمي لسنة 1936**،ص 667.

[5] Osmin Ergan,op.cit,p.767.

[6] دواد سمره، المصدر السابق،ص8

إلى المؤسسات التعليمية الدينية (**الحيدر والمدارش**) للحصول على تعليم ديني بسيط قد يساعدهم في تمشية شؤونهم خلال سنوات حياتهم العملية[1].

وفيما يخص الكنيس ، فان إدارة المدرسة لم تقصره على طلبتها فقط، وإنما تركته تحت تصرف يهود المدينة لمزاولة عبادتهم وإجراء الاحتفالات الدينية التي يحضرها عامة الناس على مدار ألسنة[2]، فضلا عن إقامة دروس الوعظ[3] وحفلات التائبين[4]، إلى جانب عقد محاضرة أسبوعية مساء كل يوم سبت يلقيها أحد الحاخامات اليهود على طلبة المدرسة تحديدا[5].

على أية حال ، حظيت مدرسة الأليانس في بغداد بعناية خاصة من جانب قيادة الجمعية. ولم تؤثر عليها الظروف التي كانت تحيط بها ، ولم تجعلها تتراجع في أهميتها ، حيث لم يسبقها من حيث طبيعة الاهتمام إلا معهد المعلمين في باريس والمدرسة الزراعية (**بتاح تكفا**) في فلسطين[6]، لاسيما بعدما أخذت أهميتها تكبر على اثر تخرج معظم رجال اليهود الذين اعتلوا مراكز مرموقة في مختلف قطاعات الحياة[7] . وتنعكس الأهمية التي أخذت تحتلها المدرسة في حياة الطائفة اليهودية في العراق بالمقال الذي نشرته جريدة (**صدى بابل**) في 30 نيسان/إفريل1908م، حيث بين أهمية المدرسة وتطورها والشهرة الواسعة التي حققتها، واستشهد صاحبه بهذا البيت الشعري[8]:

لقد بهرت فلا تخفى عن أحد   إلا على أحد لا يعرف القمرا

---

(1) **انظر الجدول رقم(8)** .

(2) **مجلة المصباح**، العدد 71 في 1925/10/9.

(3) المصدر نفسه، العدد 44 في 1925/4/5.

(4) المصدر نفسه، العدد 35 في 1925/2/8.

(5) المصدر نفسه، العدد 25 في 1924/9/5.

(6) علي إبراهيم عبده وخيرية قاسمية، المصدر السابق، ص59.

(7) عباس العزاوي، **العهد العثماني الاخير1832-1918**،ج 7، ص290.

(8) جريدة صدى بابل في 1908/4/30.

جدول رقم (7)

أسماء مدراء الأليانس في العراق وفترات أدارتهم[1]

ت	الأسماء	مدة الإدارة
1	نريسون	1864/12/10- حزيران 1865
2	ماركس	1872 – 1865
3	كارح	1876 – 1872
4	لوريا	1883 – 1877
5	سوميخ	1887 – 1883
6	دانون	1900 – 1888
7	سيمح	1904 – 1900
8	البالا	1920 – 1905
9	باسان	1920 – 1913
10	ساسون	1932 – 1921
11	لاريدو	1942 – 1932
12	ديان	1951 – 1943

---

[1] أعد هذا الجدول باعتماد معلومات مقتبسة من: سالنامات ولايـة بغداد؛ تقرير المدارس الإسرائيلية، ص 3؛ فاضل البراك، المصدر السابق، ص 293. Nissim Rijwan, op. cit., P. 201 ؛ Hayyim Cohen, op. cit., P. 120 .

جدول رقم (8)

اعداد الطلبة الملتحقين بمدرسة الأليانس في بغداد

خلال القرن التاسع عشر الميلادي[1]

السنة	العدد	السنة	العدد
1865	45	1883	375
1866	63	1884	375
1867	70	1885	400
1868	80	1886	410
1869	95	1887	445
1870	120	1888	445
1871	136	1889	460
1872	150	1890	470
1873	174	1891	489
1874	225	1892	500
1875	250	1893	495
1876	278	1894	500
1877	295	1895	500
1878	315	1896	525
1879	325	1897	540
1880	325	1898	580
1881	340	1899	630
1882	357	1900	690

[1] أعد هذا البحث بالاعتماد على ماورد في اغلب المصادر والمراجع التي استخدمت في البحث بعد التمحيص والتدقيق.

رابعاً : الاهتمـام بتعليـم الإنـاث :

في ضوء مسعى الأليانس في نشر التعليم الحديث بين الطوائف اليهودية بهدف تمكينهم من الارتقاء بمستواهم الثقافي والاجتماعي، الذي سينعكس حتماً على تحررهم من القهر والتخلف. وأن نجاح أي مجتمع لا يمكن أن يتحقق دون الارتقاء المتوازي للرجل والمرأة معاً، على أساس أن لكل منهما واجباً يكمل الآخر، مما يعني نجاحاً أكيداً لأي خطوة تسعى إلى النهوض بالحياة بمختلف جوانبها. من هنا، وجدت الأليانس أهمية إيجاد تعليم خاص بالإناث لأنه لا يقل أهمية عن مسألة تعليم البنين.

لكي تستكمل الصورة ألوانها، كان لابد من تتبع تاريخي، وان كان بسيطاً، للظروف التي عاشتها المرأة في العراق ،والمرأة اليهودية جزءا منها بطبيعة الحال. لكي نفهم كم هي قاسية تلك الظروف التي كانت تعيشها المرأة. فلم يكن بوسع الأليانس تجاوز هذه الظروف ألا عبر عمل مكثف ومضن جدا حتى تمكنت من تحقيق سبقٍ تاريخي في إطار تطور التعليم اليهودي في العراق، وذلك لما نجحت في افتتاح أول مدرسة للبنات.

1 – وضع المرأة في العـراق:

لقد عانت المرأة العراقية كثيراً من ضروب الاضطهاد والاستغلال والاستعباد والتخلف الذي عانى منه أبناء العراق عامة في الحقبة التي خضعوا فيها للتسلط العثماني 1534–1917م. لقد ظلت المرأة العراقية طوال العهد العثماني أسيرة العادات والتقاليد

البالية التي لا تعطي لها أي قيمة تذكر، إذ يتوجب عليها أن تعيش داخل جدران بيتها[1]. ومما يعكس تدهور مكانة المرأة في المجتمع العراقي تلك الأمثال الشعبية التي يتداولها أفراد المجتمع، منها على سبيل المثال، المثل الذي يقول: "**ألف طفل مجنون ولا بنت خاتون**"[2]، حيث يعكس هذا المثل النظرة الدونية التي يحملها المجتمع تجاه المرأة. فلقد كانت تعيش حياة غاية في التأخر بسبب ضغط الحياة الاجتماعية من جميع الجهات[3].

على الرغم من حالة الانفتاح التي شهدها المجتمع العراقي، لاسيما بعدما أخذت حركة التعليم والثقافة تجد رعاية واهتماما من جانب الأهالي والسلطات العثمانية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشرالميلادي ، وارتباط أغلب الإصلاحات التعليمية في العراق بشخص الوالي العثماني **مدحت باشا** عندما شهدت فترة إدارته القصيرة افتتاح العديد من المؤسسات التعليمية الحكومية في بغداد[4]. وعلى الرغم من ذلك، بقي طغيان العقلية الرجولية التي لا تؤمن بأي دور للمرأة هو السائد آنذاك. فقد استمرت فكرة عدم جواز تعليم الإناث من جانب الأهالي قائما متنفذا، حيث كان يسود اعتقاد بان مجرد تعلم المرأة القراءة والكتابة يؤدي إلى إفسادها وخروجها عن الطريق القويم[5]، وان عدم تعليمها يدرأ عنها المفاسد والسقوط في الرذيلة[6].

وتعكس كتابات القرن التاسع عشر الموقف من تعليم المرأة، ففي عام 1898م، كتب **خير الدين نعمان بن أبي الثناء الآلوسي** صاحب كتاب (**الإصابة في منع البنات من القراءة والكتابة**)، يقول: "**فأما تعليم النساء القراءة والكتابة، فأعوذ با ، إذ لا أرى شيئاً آضر منه بهن، لأنهن لما كن مجبولات على الغدر، كان حصولهن على هذه الملكة من أعظم وسائل الشر والفساد ... فمثل النساء والكتب والكتابة، كمثل شرير سفيه، تهدي**

---

(1) طارق نافع الحمداني، **ملامح سياسية وحضارية في تاريخ العراق الحديث والمعاصر**، بيروت، 1989، ط1، ص 63.

(2) يوسف عز الدين، **مكانة المرأة العراقية وتعليمها في القرن التاسع عشر**، مجلة المعلم الجديد، الجزء 1– 2، أيلول 1953، السنة 17، بغداد، ص 95.

(3) صبيحة الشيخ داود، **أول الطريق**، بغداد، 1958، ص 42.

(4) عبد الرزاق الهلالي، المصدر السابق، ص 137.

(5) صبيحة الشيخ داود، المصدر السابق، ص 42.

(6) يوسف عز الدين، المصدر السابق، ص 98.

إليه سيفاً، أو سكير نعطي له زجاجة خمر، فاللبيب من الرجال هو من ترك زوجته في حالة من الجهل والعمى، فهو أصلح لهن وأنفع"[1].

إزاء هذه النظرة الضيقة للمرأة ومكانتها المتدنية في المجتمع العراقي، لم يكن هناك أي دافع يشجع على فتح مدارس للإناث، فحتى المؤسسات التعليمية التقليدية (**الكتاتيب**) هي الأخرى كانت محدودة، فيما يخص الإناث، وأقتصر نشاطها أن وجدت على تعليم القرآن الكريم وأصول الدين ويتولى التعليم فيها نساء عرفن باسم (**الملايات**)[2]، ولم تشهد الحقبة تعليما للبنات بمفهومه الحديث، سوى المدارس التي أقامتها الإرساليات المسيحية بالتعاون مع الطوائف المسيحية، وهذه المدارس كانت ذات أثر محدود جداً، لأنها قليلة العدد، وكانت تضم بنات الطوائف المسيحية فقط نظرا لطابعها الديني[3].

من خلال ما تقدم، نستطيع القول أن فكرة تعليم البنات لم تجد رواجاً ولا قبولاً من جانب العراقيين كافة بدون استثناء؛ لأن الوعي الثقافي آنذاك كان بمستوى متدنٍ، كيف لا ونظرة الأهالي لتعليم الفتيان كانت سلبية، وانه لا ينفع المرء بأي فائدة. وهناك مثل بغدادي شائع على ألسنة الناس يقول: "**ذب [أرم] الكتب من أيدك شغل المكتب ما يفيدك**"[4]. وبطبيعة الحال غدا هذا السلوك تجاه التعليم عائقاً أمام تطوره وتقدمه في العراق ردحا من الزمن.

2 – أسباب تأخر افتتاح مدرسة الأليانس للبنات:

كانت المرأة اليهودية مثل غيرها من نساء المجتمع العراقي، تعيش تحت وطأة العادات والتقاليد التي تحول دون اخذ دورها فيه، سوى كونها ربة بيت ومربية أطفال

---

[1] نقلاً عن: عبد الرزاق الهلالي، **حقائق و طرائف من تاريخ التعليم في العراق**، مجلة آفاق عربية، العدد 11، تموز 1978، بغداد، ص 103.

[2] صبيحة الشيخ داود، المصدر السابق، ص 42.

[3] جميل موسى النجار، المصدر السابق، ص 190.

[4] بدر مصطفى عباس، المصدر السابق، ص 42.

ودعامة أساسية للأسرة [1]، ذات الوقت كانت محرومة من الاشتراك في الحياة الاجتماعية ولاقتصادية لأنها كانت ممنوعة من الخروج والاختلاط[2]. ومن تعلمن في(**الحيدر**) كن من المحظوظات جداً في ذلك الزمان. ومن تعلمهن انحصرت ثقافتهن في تعلم أصول الدين ومبادئ القراءة والكتابة بأبسط صورها[3]. وهذه الأستثناءات تعني، طبعا، شيوع ظاهرة الأمية بين النساء اليهوديات.

على الرغم من استمرار المعارضة من جانب القيادة الدينية اليهودية ورفضها القاطع لنشاط الأليانس، فضلاً عن شيوع الأفكار المتخلفة في أوساط أبناء الطائفة اليهودية تجاه المرأة وتحررها من القيود المفروضة عليها[4]. فإننا نلاحظ أن، **المسيو ماكس**، مدير الأليانس في بغداد، الذي هو في الوقت ذاته المدير الإقليمي في بغداد، كان قد وضع نصب عينيه أهمية فتح مدرسة للبنات تعمل جنباً إلى جنب مع مدرسة الفتيان. وذلك في أواخر خدمته عام1872م[5]. وجاءت هذه الفكرة بتأثير وجود مدارس الإرساليات التبشيرية الخاصة بالبنات في العراق، التي كانت قد وجدت رواجاً في بغداد على وجه التحديد[6]. وقد عبر ماكس عن رغبته هذه، في تقرير بعثة إلى قيادة الأليانس في باريس عام1872م، مؤكداً على نجاح هذه التجربة بفضل الدعم الذي كانت تحظى به الجمعية من جانب أنصار التيار المستنير[7]. لكن فكرة، تأسيس مدرسة للبنات، لم تلق حماساً من جانب قيادة الأليانس، لأنها أخذت بالحسبان أن الوقت لم يحن بعد لمثل هذه الخطوة الجرئية، أذ لازالت المشاكل التي واجهت مدرسة الفتيان قائمة. ولم يكن تأجيل الفكرة هذه إلا قراءة صحيحة لقيادة الأليانس لما يدور في أوساط الطائفة اليهودية آنذاك. فقد وجدوا بان الوقت لم يحن بعد لكي يستوعب هؤلاء خطوة كهذه وينالون دعمهم. وإنما على العكس، ربما تأتى بنتائج عكسية عما يتوقعه ماكس، وتشكل نهاية لمشاريع الأليانس في

---

[1] مير بصري، **الطائفة الإسرائيلية (الموسوية) في العراق**، بحث ضمن كتاب **نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق**، ص308 ؛ **مجلة المصباح**، العدد 38في 1924/12/29.

[2] ميخال أفيطبول، المصدر السابق، ص 67 ; Zvi Yahuda, op cit, p. P.56.

[3] مير بصري، المصدر السابق، ص308.

[4] David Solomon Sassoon, op. cit, p . 171.

[5] يحزقيل يفتح، المصدر السابق، ص48.

[6] أبرا هام بن يعقوب، المصدر السابق، ص95.يرجع تاريخ افتتاح أول مدرسة للبنات في بغداد إلى عام 1853م أقامتها طائفة الأرمن الأرثوذكس. **انظر جدول رقم (1)**.

[7] David Solomon Sassoon, op. cit., p. 171.

العراق، لكونها ذاتها مرفوضة جملة وتفصيلاً. وعلى هذا الأساس فقد أرجىء النظر في هذا المقترح لحين توفر الظروف الأكثر ملاءمة لها[1].

لم يستمر موقف الأليانس من فتح مدرسة للبنات في بغداد على حاله. وإنما شهد تغييراً واضحاً مع ارتفاع مؤشرات النجاح الذي بدأت تحققه مدرسة الفتيات منذ ثمانينيات القرن التاسع عشر الميلادي، أصبحت تلك النجاحات قوة تستند إليها قيادة الأليانس في مواجهة تحديات القوى المحافظة، يساندها في ذلك أنصار التيار المستنير الراغبين في توسيع نشاطها، والذين لم يكونوا على استعداد للتنازل عن تطلعاتهم الرامية للارتقاء بالمستوى الفكري لليهود في العراق. وهذه الاستجابة والتفاعل الذي ابدوه شجع الأليانس على تغيير موقفها من مسالة الاهتمام بتعليم البنات. بالإضافة إلى ذلك ساهمت الإجراءات المقيدة التي بدأت تفرضها السلطات العثمانية على المؤسسات التعليمية الدينية التابعة للطائفة اليهودية[2].

مما زاد من عزيمة الأليانس في تعجيل خطواتها من اجل افتتاح مدرسة للبنات في بغداد، ظهور طبقة جديدة من الأثرياء المثقفين فيها[3]. فبعد ربع قرن من العمل، كان لابد للأليانس أن تجني ثمار عملها عبر نشوء قاعدة من المتعلمين الذين درسوا فيها. وبطبيعة الحال كان هؤلاء يدينون بالعرفان التام لها[4]. حيث لم يكن هؤلاء يشعرون بأنهم ملزمون بالخضوع لإرادة القيادة الدينية والتنازل عن الفرص المتاحة أمامهم للاندماج اكثر في المجتمع المحلي، يدعمهم في هذا الاتجاه، أعداد متزايدة من متعلمي الطائفة اليهودية ممن كانوا يشغلون مناصب حكومية في مختلف المؤسسات الحكومية العثمانية في العراق[5]. من هنا نلاحظ، أن هؤلاء عدوا أي تراجع أو تلكؤ في النهج الذي تتبعه الأليانس في إطار خدمة الطائفة اليهودية في العراق يعني فقدانهم الحافز الذي يدفع بهم لأخذ فرص أكبر ضمن المجتمع المحلي. لذا وجدوا في الأليانس الحافز الذي يبحثون عنه للوصول إلى ما

---

(1) Encyclopidia Judaica, vol.8, p. 1299 ; يحز قيل يفتح، المصدر السابق، ص48.

(2) ميخال افيطبول، المصدر السابق ص98.

(3) المصدر نفسه، ص98.

(4) ابراهام بن يعقوب، المصدر السابق، ص96؛ Dived Solomon Sassoon, op. Cit., p. 171.

(5) ميخال أفيطبول، المصدر السابق، ص 99.

يريدون. وفي نفس الوقت، وجدت الأليانس فيهم القاعدة التي تستند عليها وتمكنها من ترجمة أحلامها إلى واقع ملموس.

كانت أولى خطوات الأليانس في إطار إدخال تعليم البنات في بغداد، هي إقدامها على فتح مدرسة مهنية للبنات عام 1890م، حيث ركزت على تعليم البنات اليهوديات أعمال مهنية كالتطريز والخياطة وغيرها من الأعمال التي تفيد البنت في حياتها المنزلية وتمكنها من المساهمة في دخل العائلة[1]. وتكون بذلك قد حققت غايتين من وراء هذه الخطوة،أوصادت عصفورين بحجر واحد. **أولها** تغيير طباع الفتيات اليهوديات وسلوكهن، لأن التدريب كان يجري وفق مناهج أوربية بواسطة معلمات أجنبيات، **والثانية** إرادة معرفة ردود الفعل المحلية من مسألة تعليم الفتيات، فإذا كانت الأمور تسير وفق ماتراه، فإنها ستمضي قدماً لافتتاح مدرسة للبنات تعمل وفق أساليب التعليم الحديث في بغداد[2]. كما كان لأتساع قاعدة المتعلمين من اليهود في بغداد، وبداية تبلور ظهور نخبة مثقفة منهم في أواخر القرن التاسع عشر أثرا فعّالا في تعجيل خطوات الأليانس نحو افتتاح أول مدرسة للبنات في العراق. أذ أخذ هؤلاء محاكاة الثقافة الغربية، والمرأة في ظنهم شريك فعّال في هذه المحاكاة. على هذا الأساس، وجدوا ضرورة الاهتمام بالارتقاء بمستوى الفتيات لا من خلال تعليمهن الأعمال المنزلية فحسب، بل تأهيلهن بما يجعلهن أداة منتجة يفسح لهن المجال مستقبلاً لأخذ دورهن في مساعدة الرجل ليس بأعمال مكملة، وإنما بإنتاج خاص بهن[3]. من هنا باتت مسألة افتتاح مدرسة للبنات أمراً مفروغاً منه، لأنه ينصب في إطار تحسين وضع المرأة اليهودية، من نحو، ويساند جهود الأليانس في هذا الاتجاه شيء لا غنى عنه، لأنه ينصب في مصلحتهم،من نحو آخر [4].

---

(1) Nissim Rijwan, op. cit., P. 186.

شهدت بغداد من قبل افتتاح مدرسة مهنية للبنات أقامتها جمعية الراهبات التقدمية الأمريكية عام 1886م عندما افتتحت مشغل ملحق بمدرستها، كان يجري فيه تعليم الطالبات أعمال التفـصيل والخياطة. ينظر/الكسندر آداموف، المصدر السابق، ص 203.

(2) Zvi Yahuda, op. cit., P. 57.

(3) الكسندر آداموف، المصدر السابق، ص 203.

(4) ميخال أفيطبول ، المصدر السابق، ص 65.

3 – الإعلان عن افتتاح مدرسة للبنات:

بعدما تهيأت كل الظروف وأصبحت عملية افتتاح المدرسة أمراً مفروغاً منه، بدأت إجراءات إنجاز هذه العملية. وبالنظر لاستمرار معارضة القوى التقليدية المحافظة اليهودية، وعلى رأسهم الحاخامات اليهود، علقت إدارة الأليانس في بغداد أهمية كبرى على أستصدار موافقة السلطات العثمانية المختصة بما يؤمن لها السند القانوني، الذي يحول دون فشل هذه التجربة في حالة ضغط المحافظين عليهم. وفي ضوء هذا التوجه تحصل مدير الأليانس في بغداد (**المسيو دانون**) على موافقة مديرية المعارف في بغداد، والتي صدرت في 16حزيران/جوان 1892م منحت بموجبها الإجازة العثمانية في ممارسة عملها[1].

على أثر صدور هذه الإجازة، بدأت إدارة الأليانس في بغداد بإجراء التغييرات اللازمة على مبنى المدرسة المهنية، السالفة الذكر، لكي تكون مقراً للمدرسة الجديدة. والمبنى عبارة عن دار تقع في محلة التـوراة، تعود ملكيتها إلى يهودي يدعى **روبين يهودا** [2]، كانت إدارة الأليانس قد استأجرتها منه. وفي مطلع 1893م[3]، جرى احتفال رسمي بمناسبة افتتاحها[4].

ساهم حسن الاستعداد من جانب إدارة الأليانس في بغداد في تجاوز أي عقبة أو خلل قد يواجه عمل المدرسة في اجتياز التجربة بنجاح واضح. ولم تجد الإدارة صعوبة تذكر في توفير الكوادر اللازمة للقيام بمهمة الإدارة والتدريس، عندما تمكنت زوجة مدير الأليانس في بغداد، **السيدة دانون** ، من النجاح في عملها نظراً لأنها كانت تحمل مؤهلاً في هذا الاتجاه[5]. وبمرور الوقت تم تشجيع زوجات بقية مدرسي الأليانس على العمل

---

[1] **سالنامة نظارة المعارف العمومية**، السنة 1317 هـ/ 1899م، ص 970.

[2] تقرير عن المدارس الإسرائيلية، ص 4.

[3] يشير الدكتور عبد الوهاب القيسي متوهماً إلى أن افتتاح المدرسة تم في عام 1895. ينظر/
Abdul Wahab Abbas Al-Qaysi, op. cit., P. 78.

[4] فاضل البراك، المصدر السابق، ص 29.

[5] عبد الرزاق الهلالي، المصدر السابق، ص 209.

ضمن المدرسة[1]. ويبدو أنهن كن يحملن المؤهلات التي تجيز لهن القيام بهذه المهمة. والغريب في الأمر أن كل اللواتي تولين إدارة شؤون المدرسة كن في ذات الوقت زوجات مدراء الأليانس في العراق[2]، إلا أن تعيينهن كان يتم من قبل قيادة الأليانس في باريس. ومع اتساع مستوى الخدمات التي كانت تقدمها المدرسة تم إرسال العديد من المعلمات الفرنسيات اللواتي أخذن على عاتقهن القيام بمهام التدريس. فيما تمكنت بعض اليهوديات العراقيات من القيام بمهام التدريس، لاسيما في اللغة العربية والعبرية، لكن أغلبهن من خريجات المدرسة في دوراتها الأولى[3].

صنفت المدرسة خلال ما يقرب عقدين من عمرها على أنها مدرسة ابتدائية[4]، إلا أنها شهدت توسعاً في عملها عندما أضيف إليها القسم الرشدي بعد توسيع مبناها وتوفير الإمكانيات اللازمة لهذا التطور[5]. ويرجع الفضل في ذلك إلى الثري اليهودي **اليعازر خضوري**[6]، الذي يعد أحد أبرز الشخصيات اليهودية التي أبدت اهتماماً بتعليم البنات اليهوديات في بغداد[7]، عندما تبرع بإنشاء مبنى جديداً لها، يقع في محلة التوراة أيضاً، استغرق بناؤه قرابة الأربع أعوام ، فيما بلغت كلفته الإجمالية واحداً وعشرين ألف ليرة

---

[1] Encyclopidia Judaica, vol.8, p. 1298.

[2] جميل موسى النجار، المصدر السابق، ص 239.

[3] **سالنامة ولاية بغداد**، السنة 1317 هـ/ 1899م، ص 171.

[4] المصدر نفسه، ص 172.

[5] إبرا هام بن يعقوب، المصدر السابق، ص 96.

[6] **اليعازر خضوري** (1867– 1944) من مواليد بغداد في 13حزيران/جوان 1867م، وينتسب إلى واحدة من أغنى العوائل اليهودية في المدينة، درس في صغره في مدرسة الأليانس للبنين. وبعد تخرجه منها عمل في مجال التجارة ثم سافر إلى جنوب شرق آسيا من أجل العمل التجاري، حيث أستقر في هونك كونك البريطانية. وبعد سنوات من العمل تمكن من جمع ثروة طائلة هناك. وأسس شركة تجارية كبيرة عدت أحد أشهر الشركات في العالم وكان لها فروع عدة في شتى أنحاء العالم ومنها مدينة لندن. حصل على وسام الإمبراطورية البريطانية من فئة فارس مع لقب (**سير**)، كما منحته فرنسا وسام فرقة الشرف. وعرف خضوري بأعماله الخيرية، فإلى جانب تبرعه بإنشاء مبنى جديد لمدرسة البنات، تبرع بإنشاء مدارس أخرى في الموصل والبصرة إلى جانب تبرعات أخرى. توفي في هونك كونك. ينظر/ **دليل العراق الرسمي لسنة 1936**، ص 862 ؛ إبرا هام بن يعقوب، المصدر السابق، ص 94.

[7] **F. O**. 371, 560, 3717. From Lieutenant-Colonel J. Ramsay **To** S. H. Butler, 19th October 1908.

عثمانية[1]. وتعد هذه الكلفة عالية جداً في ذلك الزمان، وتدل في ذات الوقت على الأبهة التي كانت تبدو فيها المدرسة، وأقل ما توصف بهِ :من أنها كانت على غاية من الجمال من حيث المظهر والتصميم[2]. وقد جرى افتتاح المبنى باحتفال رسمي كبير حضره والي بغداد **احمد بك** وكبار موظفي الولاية وأعيان الطائفة اليهودية وأغنياءها. وذلك في يوم 14 تشرين الثاني/نوفمبر 1911م[3].

ونظراً للدعم الذي كان يقدمه اليعازر خضوري لمدرسة الأليانس للبنات. عملت إدارة الأليانس في بغداد على تغيير أسم المدرسة، وأطلق عليها أسم مدرسة (**لورا خضوري**). وذلك تخليداً لذكرى زوجته المتوفية[4]. واستمرت هذه التسمية حتى توقف نشاط المدرسة نهائياً في أواسط القرن العشرين. إلا أن ذلك لم يمنع من أن تطلق تسميات أخرى عليها، وهي بطبيعة الحال غير رسمية،أذ حملت اسم (**حديقة الغزلان**)، وأحياناً أخرى أطلق عليها اسم (**مربية الأمهات**)[5]. إلا أن هذه الأسماء لم تستخدم إلا على نطاق ضيق، حيث ذاع صيتها باسم (**مدرسة لورا خضوري**) أكثر من بقية الأسماء التي كانت متداولة.

ومما زاد من شهرة مدرسة لورا خضوري أكثر، كونها بقيت لسنوات طويلة المدرسة الوحيدة للبنات في بغداد التي تلتحق بها الفتيات اليهوديات نظراً لقدرتها الاستيعابية الكبيرة[6]حيث كانت تضم 29 قاعة دراسية، إلى جانب غرف الإدارة وقاعة جلوس المعلمات، وورشات الدروس التطبيقية فضلاً عن وجود مستوصف ومختبرات علمية[7].

---

(1) **مجلة لغة العرب**، ج6، السنة 1912، ص 247.

(2) **F. O**. 371, 560, 3717.

(3) **مجلة لغة العرب**، ج6، السنة 1912، ص 247؛ **مجلة المعلم الجديد**، الجزء 1– 2، السنة 17، أيلول 1953، ص 4.

(4) تقرير عن المدارس الإسرائيلية، ص 4.

(5) **مجلة الصباح**، العدد 38 في 1925/12/29.

(6) **أنظر جدول رقم (8).**

(7) تقرير عن المدارس الإسرائيلية، ص 5؛ **F. O.** 317, 560, 3717 .

جدول رقم (9)

أعداد الطالبات الملتحقات بمدرسة الأليانس

في بغداد 1893 – 1917

السنة	عدد الطالبات
1893	79
1894	90
1895	105
1896	110
1897	200
1898	182
1899	120
1900	137
1901	145
1902	150
1903	150
1904	168
1905	180
1906	200
1907	218
1908	235
1909	247
1910	259
1911	400
1912	450
1913	500

1914	600
1915	620
1916	660

أولاً : اتساع قاعدة عمل الأليانس في العراق:

1 – تطور السلم التعليمي:

ساهم عدم تدخل سلطات المعارف العثمانية في شؤون الأليانس في جعلها تعمل بهدوء في تطوير قدراتها وتوسيع نطاق أنشطتها وتطورها. وكان لهذا التطور اثره في أكتسابها سمعة كبيرة وشهرة واسعة في العهد العثماني. فقد حسبها الكاتب الإنكليزي ستيفن هيمسلي لونكريك من أحسن المدارس التي أنشئت في بغداد لتميزها في أسلوب العمل والتنظيم؛ الأمر الذي جعلها تتفوق على المدارس التي كانت تعاصرها[1]. فيما كتبت مجلة المصباح، تصف المكانة التي تحتلها مدارس الأليانس، قائلة: "**كانت الأليانس قبل نشوب الحرب [الحرب العالمية الأولى] من أهم المدارس شأناً في هذه البلاد [العراق] وأرسخها قدماً وأبعدها شهرة وصيتاً. وكانت تعد بما فيها من تحصيل راقٍ – على اختلاف اللغات – كلية بلا منازع**"[2].

كما هو معروف، إن أولى المدارس التابعة للأليانس ، والتي فتحت في بغـداد عـام 1864م، كانت قد صنفت على أنها ابتدائية. وكان ذلك يستدعي بقاء الطلبة فيها أربع سنوات دراسية[3]. ونفس الشيء ينطبق على مدرسة الأليانس للبنات، التي تأسست في عام1893م، والتي تتلقى فيها الفتيات نفس الدروس التي يتلقاها الطلبة في مدرسة الفتيان، فضلاً عن دروس خاصة بهن في أعمال التدبير المنزلي وأمور أخرى[4].

عندما وجدت إدارة الأليانس في بغداد ان الطلبة اليهود الجدد يواجهون بعض المشاكل في الاندماج السريع مع المنهاج الدراسي، سارعت إلى فتح (**روضة للأطفال**) تهدف إلى تهيئة الأطفال بشكل يعجل من عملية اندماجهم وذلك عام 1899م. وقد اعتبر هذا العمل خطوة نحو وضع أسس عمل متكاملة؛ الغرض منها: تمكين الطلبة الدراسيين فيها الاستفادة ألى ابعد مدى

---

(1) ستيفن هيمسلي لونكريك، **أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث**، ترجمة :جعفر الخيـاط، بغـداد، 1988، ط 7، ص 380 – 381.

(2) **مجلة المصباح**، العدد 30 في 1924/11/3.

(3) ياسين شهاب شكري، **ولاية بغداد1872-1909...دراسة في أوضاعها الاداريةوالاقتصادية**، رسالـة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب/جامعة الموصل،1994 ،ص 73.

(4) **سالنامة ولاية بغداد**، السنة 1314هـ/ 1896م، ص 226.

من الخدمات التي تقدمها لهم، أضف ألى ذلك عملها على خلق قواعد عمل ثابتة تمكنها من امتلاك هوية خاصة بها تميزها عن بقية المؤسسات التعليمية الأخرى[1].

وجرى التركيز في الروضه على تعليم الأطفال مبادئ اللغة العبرية عبر دروس مبسطة، فضلاً عن دروس الرسم والقيام ببعض الألعاب التي ترفع من مستوى الأطفال ذهنيا وجسديا، وحددت أعمارهم ما بين 4–5 سنوات[2]. ومما يميز هذه (**الروضة**) كونها كانت تستقبل كلاً من الجنسين. وهي ظاهرة جديدة لم تكن معتادة في المجتمع البغدادي آنذاك. وقد حرصت العوائل على إلحاق أبنائها في الروضة بهدف تحقيق أقصى فائدة ممكنة من التعليم الذي تقدمه الأليانس[3].

وأخيراً، لا بد من الإشارة هنا، بان الاليانس سعت من وراء هذه الخطوة، أي:أفتتاح الروضة، الحد من حالة الهيمنة التي فرضتها المؤسسة الدينية على يهود العراق عبر مؤسساتها التعليمية الدينية (**الحيدر والمدرأش**).

لم يكن التطور الذي كانت تشهده مدارس الأليانس من أرتقاء في مستوى السلم التعليمي ليحدث لولا تفاعل أثرياء الطائفة اليهودية في العراق معها. وهذا التفاعل جاء ترجمة لسنوات عمل طويلة، تمكنت الأليانس من خلالها من غرس روح التعاون والرغبة في تقديم الدعم الكامل. لذا نجد أن أثرياء اليهود كانوا باستمرار حريصين على تقديم كل مساعدة ممكنة، لا سيما انهم شعروا بان الجهد الذي تبذله الأليانس بدأ ينعكس إيجاباً على حياة الطائفة عموماً. ومن هذا المنطلق لم يدخروا شيئا ينصب في خدمة الأهداف التي حددتها الجمعية. فأخذوا يقدمون أموالهم بسخاء لغرض توسيع رقعة نشاط مدارس الأليانس أفقياً وعمودياً. فعلى سبيل المثال لم تستطع إدارة الأليانس أن ترفع مستوى الدراسة في مدرسة الأولاد في بغداد، عبر افتتاح قسم الدراسة الرشدية(**المتوسط**)[4]إلا بعد تبرع الثري اليهودي مناحيم صالح دانيال بإنشاء ملحق جديد تابع للمدرسة. وتكريماً من إدارة الأليانس لهذه المبادرة أطلق على هذا الجناح

---

(1) **سالنامة ولاية بغداد**، السنة 1321هـ/ 1903م، ص 103.

(2) Nissim Rejwan, op. Cit.., P. 06.

(3) يحز قيل يفتح، المصدر السابق، ص 45.

(4) **سالنامة ولاية بغداد**، السنة 1321هـ/1903م، ص 104.

الجديد اسم (**قسم مناحيم دانيال**)[1]. وجاءت هذه الخطوة ترجمة للجهود التي بذلها مدير الأليانس في بغداد **يوموطوف سيمح** لافتتاح هذا القسم[2]. وعدت إنجازاً كبيراً تحققه الأليانس في تلك المرحلة، حيث تنشر غربان الجهل أجنحتها على المجتمع عموماً.

الزم إضافة القسم الرشدي (**المتوسط**) مكوث الطلبة في المدرسة لمدة أطول، حيث استلزم بقاء الطالب سبع سنوات، أربع في المرحلة الابتدائية والثلاث الباقية في المرحلة الرشدية[3]. أضف إلى ذلك، زيادة في عدد المواد الدراسية التي يتلقاها الطلبة من حيث العدد والنوعية[4].

وعندما غدت (**اللغة التركية**) حاجزاً يحول دون إكمال الطلبة اليهود من خريجي الأليانس دراستهم في المدارس الحكومية (**الدراسة الإعدادية**)، على اعتبار أنها لغة التدريس فيها. في ذات الوقت كان طلبة الأليانس يتلقون دروسهم باللغة الفرنسية، كثفت الأليانس من جهودها لغرض فتح القسم الإعدادي بما يمكن الطلبة من إكمال دراستهم بدون أي معوقات. ولم يعرقل هذه الجهود سوى عدم قدرة مبنى المدرسة على استيعاب هذا التوسع. ولغرض حل هذه المعضلة، قامت رئاسة الطائفة في بغداد بحملة جمع التبرعات اللازمة لإنشاء ملحق جديد بالمدرسة لغرض افتتاح هذا القسم. وبعد استكمال جمع الأموال اللازمة بوشر في إنشائه وتم افتتاحه في حفل أقامته إدارة المدرسة في مطلع 1906م، وأطلق عليه أسم (**ملحق نرسيس ليفين**)[4]. وبافتتاحه بلغت مدرسة الأليانس للأولاد في بغداد أعلى مستوياتها من حيث السلم التعليمي. وغدت مدرسة متكاملة تضم الدراسة الابتدائية والثانوية معاً [5].

نظراً لحالة التكامل والرقي التي شهدتها أنشطة الأليانس في بغداد دفعت سلطات المعارف العثمانية إلى الاعتراف بالشهادة التي كانت تمنحها لطلبتها الخريجين، والتي تؤهلهم للالتحاق بالمعاهد والكليات العثمانية. وجاء هذا الاعتراف بعد صدور تعليمات بهذا الخصوص إلى

---

(1) تقرير عن المدارس الإسرائيلية، ص 3.

(2) **سالنامة ولاية بغداد**، السنة 1321 هـ/ 1903م، ص 104.

(3) يأسين شهاب شكري، المصدر السابق، ص 74.

(4) تقرير عن المدارس الإسرائيلية، ص 3.

أطلقت هذه التسمية تكريماً **لنرسيس ليفين** الذي كان أحد مؤسسي الأليانس في باريس، إلى جانب كونه رئيساً للأليانس عندما افتتح هذا المبنى.

(5) جميل موسى النجار، المصدر السابق، ص 237.

مجلس المعارف في 15 آذار/مارس 1908م، ألزمت المجلس بالمصادقة على الشهادات التي كانت تمنحها الأليانس لطلبتها[1].ويعكس هذا الاعتراف من جانب السلطات العثمانية مدى التطور الذي قطعته الأليانس في إطار جهودها في نشر التعليم الحديث بين صفوف أبناء الطائفة اليهودية في العراق، وهو في ذات الوقت تتويج لسنوات عمل طويلة امتدت قرابة النصف قرن من الزمن.

يرتبط بلوغ الأليانس أعلى درجات الرقي في النشاط الذي كانت تقوم به في العراق بشخص مديرها المدعو (**البالا**). فقد تمكن هذا الرجل من الوصول إلى أبعد مدى في إطار تطوير إمكانياتها وقدراتها في إطار الارتقاء بمستوى أبناء الطائفة اليهودية في العراق نحو الأفضل[2]. فبعد النجاح الذي حققه في الارتقاء بمدرسة الأولاد إلى أعلى درجات السلم التعليمي،أي: بما يؤهل طلبتها المتخرجين من مواصلة دراستهم الجامعية مباشرة من دون الحاجة للانتقال ألي مدارس أخرى، انصبت جهوده باتجاه تطوير الخدمات التي كانت تقدمها مدرسة البنات، حيث شهدت توسعاً من حيث المستوى والإمكانيات. ففي عام 1911م، وعلى أثر انتقال المدرسة لبنايتها الجديدة تم افتتاح القسم الرشدي (**المتوسط**)، فضلاً عن إلحاق الروضة التي افتتحتها الأليانس من قبل لتكون تحت إدارتها[3]. ولم تفقد هذه المدرسة بريقها حتى بعد افتتاح عدد لا بأس به من المدارس الخاصة بالبنات منذ العقد الثالث من القرن العشرين فقد بقيت المدرسة الوحيدة التي تحوي القسم الإعدادي. ولم تتوقف عن تقديم خدماتها إلا في عام 1951م، بعد ان انتفت الحاجة إليها[4] نتيجة هجرة الغالبية العظمى من يهود العراق بعد صدور قانـون إسقاط الجنسية العراقيـة عنهم في الأول من آذار/مارس عام 1950م [5].

لقد تمكنت الأليانس من إقامة نظام تعليمي متكامل ليهود العراق عامة، ويهود بغداد على وجه التحديد، قبيل اندلاع الحرب العالمية الأولى عام 1914م. وهذا النجاح، جاء نتيجة تعاضد جهودها مع جهود أبناء الطائفة اليهودية في المدينة من اجل تحقيق أكبر قدر ممكن من التطور

---

[1] **سالنامة ولايـة بغـداد**، السنة 1329هـ/ 1911م، ص 328 – 329 ؛ **مجلة الصبـاح**، العـدد 60 فـي 1925/7/24 .

[2] **Bulletin de I. A. I. N.**, n° 37 (1912), P. 95.

[3] سالنامة ولاية بغداد، السنة1329هـ / 1911م، ص 329.

[4] **وزارة المعارف**، التقرير السنوي عن سير المعارف لسنة 1950-1951، بغداد، ص 72 – 74.

[5] Nissim Rejwan, op. Cit., P. 248.

بما يؤهلهم في أخذ دور أوسع في المجتمع المحلي[1]. وليس هذا فحسب، وإنما أصبحت الأليانس أنموذجاً في المجال التعليمي نظراً للقواعد والأسس التي اعتادت على إتباعها خلال سنوات عملها التي امتدت لأكثر من خمسين عاماً قبل اندلاع الحرب العالمية الأولى.

ولقد انعكست عملية حسن التنظيم والإدارة التي سارت عليها الأليانس في العراق في اجتيازها الظروف الصعبة التي أحاطت بالعراق. فعندما بدأت الحملة العسكرية البريطانية لاحتلال العراق[2] وما رافق ذلك من فوضى انعكست على مختلف مجالات الحياة،،لاسيمامع دخول القوات البريطانية مدينة بغداد في17 آذار/مارس1917م، نجد أن جميع المؤسسات التعليمية الحكومية والاجنبية أغلقت أبوابها، باستثناء مدارس الأليانس التي بقيت تعمل بلا انقطاع ومن دون أي تأثير[3].

ومن الهفوات التي كادت تطيح بسمعة الأليانس المحققة على مدى سنوات عملها الطويلة، فقد زرع بعض الشكوك في مصداقيتها. أذ تم اكتشاف عمليات تزوير لشهادات تخرج الطلبة، قام أحد موظفي الأليانس عام 1923م بتزويد بعض الطلبة ممن لم يكملوا دراستهم الإعدادية بشهادات تخرج مزورة، مستغلاً المتغيرات السياسية التي مر بها العراق بعد انتهاء الحكم العثماني وقيام حكم محلي في العراق، فضلاً عن توفر الأختام الرسمية التي تعود إلى ذلك العهد والتي كانت محفوظة في المدرسة[4].

لقد انعكس هذا الحادث على الأليانس سلباً، وانتهت بفقدانها لمصداقية الشهادة التي تمنحها لطلبتها، الأمر الذي أجبر وزارة المعارف العراقية على إغلاق القسم الإعدادي مؤقتاً فيها، كما نبهت جميع المؤسسات الحكومية الى ضرورة التأكد من صحة الشهادات التي يقدمها الطلبة من

---

(1) **Bulletin de I. A. I. N**., n° 37 (1912), P. 95.

(2) أرسلت بريطانيا حملتها العسكرية هذه على أثر دخول الدولة العثمانية طرفاً في الحرب العالمية الأولى إلى جانب ألمانيا. وهذه الحملة كانت جزءاً مخطط بريطاني فرنسي للسيطرة على الولايات العربية التي كانت تابعة للدولة العثمانية فضلاً عن تشتيت قدراتها العسكرية عبر أشغالها في أكثر من جهة.

(3) خلدون ناجي معروف، **الأقلية اليهودية**، ج1، ص 81.

(4) **م.و.م.**، ملفة رقم 1691/25/ق، اسم الملفة/**المدارس الأهلية لسنة 1923**، كتاب وزارة المعارف إلى وزارة الداخلية برقم 1381 في 1923/10/3.

خريجي الأليانس إذا لم تكن مصدقة من مديرية المعارف العراقية[1]. إلا أن الحال لم يستمر طويلاً، إذ سرعان ما تمكنت إدارة الأليانس من تدارك الموقف، وتقديم التعهدات اللازمة بعدم تكرار مثل هذا الحادث مرة أخرى. في ذات الوقت نال الأليانس دعم وتأييد رئاسة الطائفة اليهودية في بغداد التي تدخلت بدورها من أجل إعادة افتتاح القسم الإعدادي والاعتراف بالشهادة التي تمنحها الأليانس، وهو ما تحقق بالفعل عام 1925م. واستمرت مدرسة الأليانس في بغداد على هذا المستوى طوال مدة عملها في العهد الملكي حتى توقفت نهائياً في عام1951م [2].

2 – دور الأليانس في الصراع بين التيارين المستنير والمحافظ :

تعد مدينة بغداد واحدة من أهم مدن الشرق، واكتسبت هذه الأهمية منذ تأسيسها لكونها مركزاً حضارياً مؤثراً، ومركز استقطاب في شتى المجالات.وبالمثل حظيت الطائفة اليهودية فيها،هي الأخرى باهتمام كبير من جانب بقية الطوائف اليهودية في الشرق كافة. وبما أن بغداد كانت من أكثر الولايات العثمانية التي سنحت فيها الفرصة لتطور أحوال الطائفة اليهودية في شتى الجوانب،لما أكسبتها سياسة الإصلاح العثمانية المزيد من الحقوق[3]، جعلهم،أي اليهود، يتمتعون بحرية أكبر وفتَحت لهم آفاق جديدة حققوا من خلالها نهضة شاملة في حياتهم[4]، لاسيما في المجال الاقتصادي.

لم يغير التطور الذي طرأ على شؤون الطائفة اليهودية في بغداد، بفعل حركة الإصلاح العثماني، من طبيعة الصراع الذي كان قائماً بين الجماعتين المتعارضتين من أجل فرض هيمنتهما على شوؤن الطائفة. الجماعة الأولى كانت تمثل الحاخامات اليهود، والثانية كان يمثلها الأثرياء (**الأسياد**) من أبناء الطائفة، وهؤلاء كانوا مقربين من السلطات العثمانية المحلية. وعلائم هذا التنافس تظهر واضحة، فيما أشار إليه مستغرباً الرحالة اليهودي **أفاريم نيمارق**، الذي زار بغداد مطلع ثمانينيات القرن التاسع عشر، وكتب يقول: "**إن أنماط حياة أخوتنا في هذه المدينة عجيبة، إذ انهم، ولسنين طويلة، قد انقسموا إلى حزبين متصارعين من أجل الهيمنة**

---

[1] **م.و.م.**، ملفـة رقم 1691/25/ق، كتاب وزارة الداخليـة إلى كافـة المتصرفيـن بالرقـم 5934 فـي 1923/10/11.

[2] وزارة المعارف، **التقرير السنوي عن سير المعارف لسنة 1951/1950**، ص 74.

[3] ميخال أفيطبول ، المصدر السابق، ص 88 ؛ Hayyilm Cohen, op. Cit., P. 16 .

[4] عبد الكريم العلاف، المصدر السابق، ص 45.

على شؤون الطائفة، وهما حزب الحاخاميين وحزب الأسياد [الأثرياء]"[1]. علماً بان التنظيم العثماني لإدارة شؤون الطائفة اليهودية في بغداد، مثل غيرها من الطوائف في الولايات العثمانية، قد قسم السلطة بين الطرفين المتنازعين، إلا ان ذلك لم يمنع وقوع مواجهات عنيفة بين الطرفين. علما بأن شؤون الطائفة كانت تدار بواسطة جهازين هما:الجهاز الديني والجهاز المدني، وفيما يلي التعريف بهما.

الأول: الجهاز الديني:

يترأسه كبير الحاخامات اليهود في المدينة ويعرف باسم (**الحاخامباشي**)، يُعينه السلطان العثماني بعد ترشيحه من جانب الحاخامباشي في أسطنبول. وهو واقعياً لم يكن زعيماً روحياً، بل كان في الدرجة الأولى همزة وصل تربط الطائفة اليهودية بالسلطات العثمانية[2].

الثاني: الجهاز المدني:

يتولى رئاسة هذا الجهاز أحد أعضاء أغنى أسرة يهودية في المدينة. وهو المسؤول عن جميع الضرائب التي يدفعها أبناء الطائفة في الولاية للسلطات العثمانية[3]، فضلاً عن كونه يتولى منصب الصراف باشي في الولاية. أي: المسؤول عن إدارة شؤون المالية للولاية. فهو بمثابة رئيس الطائفة وله كل صلاحيات هذا المنصب لا على يهود بغداد فقط، وإنما على جميع الطوائف اليهودية في العراق[4].

لقد خلق هذا التقسيم في الإشراف على شؤون الطائفة اليهودية حالةً من التوازن بين الحاخامات اليهود وأثريائهم. وساهم بشكل أو بآخر في تهدئة حدة المواجهة فيما بينهم، إلا أن إلغاء العثمانيين للتنظيم الطائفي الذي كان سائداً حتى أواخر النصف الأول من القرن التاسع عشر ساهم في تغيير مستوى توازن القوى الذي كان سائداً آنذاك.

---

(1) أفاريم نيمارق، المصدر السابق، ص 61.

(2) Elie Kedouri, op. cit.,k P. 358.

(3) Ibid, P.358 .

(4) إبرا هام بن يعقوب، المصدر السابق، ص77.

وفي عام 1847م، ونتيجة للإصلاحات العثمانية، أقرت السلطات العثمانية نظاما جديدا ينظم شؤون الطائفة اليهودية، أذ ألغت التنظيم الطائفي الذي كان يُعمل به. وبموجب النظام الجديد نقلت السلطة كاملة في إدارة شؤون الطائفة لصالح الحاخامات والمؤسسة الدينية. وعرفت بسلطة (**الرؤساء الدينيين**)، حيث يتولى رئاسة التنظيم رجل دين، وتشمل صلاحياته كافة المجالات الدنيوية منها والدينية[1]. وحدد النظام الطائفي الجديد تشكيل مجلسين الأول؛ يعرف بالمجلس الجسماني الذي يتولى متابعة القضايا المدنية، والثاني؛ يعرف باسم المجلس الروماني الذي يأخذ على عاتقه متابعة الشؤون الدينية[2]. غير أن هيمنة المؤسسة الدينية على شؤون الطائفة اليهودية لم توقف طموحات الجماعة المعارضة لها في فرض هيمنتها هي الأخرى، والعمل الجاد من أجل إضعاف هذه الهيمنة من جانب الحاخامات. حيث تشير الوقائع إلى عدم استسلام هؤلاء للهزيمة التي حلت بهم.بدليل أنهم غيروا من ستراتيجية عملهم في إطار إلغاء الهيمنة من جانب الحاخامات على شؤون الطائفة اليهودية وتمكنوا من كسب أحد الحاخامات ويدعى الحاخام **روفائيل كتسين** للعمل معهم في مواجهة المؤسسة الدينية اليهودية، ودعم توجهاتهم نحو خلق مجتمع متحضر يستجيب لمتطلبات الحياة الجديدة.

وفي إطار هذا الصراع القائم بين الطرفين، شهدت بغداد عام1849م صراعاً عنيفاً بينهما.وتَجَلى عندما رشحت جماعة الحاخامات الحاخام **عوفديا هاليفي** لتولي رئاسة شؤون الطائفة اليهودية في العراق، فيما رشح الأثرياء الحاخام **رفائيل كتسين**. وانتهت هذه المواجهة بفوز مرشح الأثرياء[3]. وقد أفرزت هذه المواجهة حقيقة مهمة، وهي؛ قوة تأثير هؤلاء في حياة الطائفة اليهودية بالتدريج. في ذات الوقت، أصبحت عملية الانتخابات محلاً للتنافس بين الطرفين، وهذا التنافس كثيراً ما اضطر السلطات العثمانية المحلية للتدخل في حسم هذه الصراعات[4].

في أواسط العقد السابع من القرن التاسع عشرالميلادي، وعلى وجه التحديد منذ العام 1864م، أخذت صورة الصراع بين الحاخامات وأثرياء اليهود منحى جديداً. فما عاد صراعاً

---

[1] إبرا هام بن يعقوب، المصدر السابق، ص 95 ؛ ميخال أفيطبول، المصدر السابق، ص 97.

[2] ساطع الحصري، المصدر السابق، ص 89 ؛ Hiyyam Cohen, op. cit., P. 17 .

[3] ميخال أفيطبول، المصدر السابق، ص 97.

[4] إبرا هام بن يعقوب، المصدر السابق، ص96.

من أجل تولي زمام الأمور في إدارة شؤون الطائفة فحسب، وإنما أخذ الصراع اتجاهاً جديداً يقوم على أساس قضايا جوهرية تتعلق بحياة الطائفة وأحوالها. ومن هنا تغيرت مسميات طرفي الصراع، فالطرف الأول، كان تياراً دينياً محافظاً، يمثله غالبية حاخامات اليهود، ويدعو للمحافظة على أصول الديانة اليهودية وتقاليدها ومحاربة أي توجه يهدف إلى إبعاد أبناء الطائفة اليهودية عن ماضيهم. أما الطرف الثاني، فهو، التيار المستنير، وكان يتزعمه الأثرياء اليهود، الذين ارتبطت مصالحهم بأهمية تطور البنية الاجتماعية لأبناء الطائفة، فقد سعى هذا التيار المؤيد للحداثة لتغيير ظروف أبناء الطائفة وأحوالها في شتى المجالات. وكان هؤلاء يرون أن أي تغيير في حياة الطائفة لا يتم إلا من خلال إدخال الأساليب الحديثة في المؤسسات التعليمية اليهودية. فقد ربطوا نجاحهم في تجريد الحاخامات من تأثيرهم في أبناء الطائفة بنجاحهم في إقامة نظام تعليمي حديث بما يمكنهم من توجيه ضربة قاسمة في لحَسْم الصراع القائم بينهما.

وللعلم، تزعم التيار الديني المحافظ في محاربة التيار المستنير والأليانس معاً في بغداد الحاخام يوسف حاييم ، كما أشرنا من قبل، وهو الذي عارض أي تعديلات على نظام التعليم اليهودي، لأنه في أعتقاده، سوف يبعد اليهودي عن التزاماته الدينية. فيما أخذ التيار المستنير يدعم، بقوة، خطوات الأليانس في إطار سياستها القائمة على تطوير التعليم اليهودي في المدينة[1]. ولاحظنا كيف تمكن أنصار التيار الديني المحافظ من تحقيق انتصار مؤقت عندما أغلقت مدرسة الأليانس أبوابها بسرعة غير متوقعة. ولكن الانتصار النهائي كان لصالح التيار المستنير،وذلك عندما تمكنوا من كسب تأييد أحد حاخامات بغداد المدعو **عبد ا إبراهيم سوميخ**، الذي وجد في نشاط الأليانس شيئاً واقعاً لا بد منه لتطوير أحوال الطائفة في مختلف المجالات. ولكن حسم هذه الجولة من الصراع لصالح المستنيرين لم ينه الصراع، وإنما جعله يشتد لكون الطرفين على قدر كبير من القوة[2].

لقد راهن أنصار التيار المستنير على سياسة الإصلاح التي اتبعها الوالـي **مدحـت باشا** وعقدوا عليها آمالاً كبيرة، لاسيما انه منحهم المساواة في الحقوق والواجبات سعياً منه لتحقيق أهداف أكبر من خلال تطوير أوضاع العراق الاقتصادية والاجتماعية[3]، أنطلاقا من معرفته

---

(1) أفاريم نيمارق، المصدر السابق، ص 61.

(2) ميخال أفيطبول، المصدر السابق، ص 88.

(3) Hiyyam Cohen, op. cit., P. 21.

لقدرات الطائفة اليهودية في المجال الاقتصادي، لذلك استخدمهم في الوظائف الحكومية ووفر لهم الحماية اللازمة لتسيير شؤونهم بكل حرية[1]. لقد شكل هذا الانفتاح حافزاً معنوياً يدفع أنصار الحداثة من اليهود للعمل بشتى السبل من أجل امتلاك أبناء جلدتهم الأدوات التي تؤهلهم على الاندماج أكثر فأكثر في ثنايا المجتمع المحلي، وتجاوز حالة العزلة التي يحاول الحاخامات أحاطتهم بها. فقد رسخت قناعة هؤلاء بأهمية إقامة نظام تعليمي حديث، مما جعل الجهود التي تبذلها الأليانس تلقى اهتماماً أكبر ودعماً أوسع. فشكل ذلك الضمانة التي أرادتها الجمعية، لمواصلة عملها في العراق. فضلا عن أنها شكلت الرافد الذي يدعم من مكانة أنصار الحداثة عبر مدهم بخريجين لديهم مؤهلات عالية.

لم تنجح محاولات التيار الديني المحافظ، على أثر اتساع أنشطة الأليانس التعليمية في ثمانينيات القرن التاسع عشر[2]، في تحجيم جهود الأليانس على الرغم من قيامهم بحملات دعائية كبيرة ضدها،واستغلالهم لتفشي الجهل بين أبناء الطائفة. لقد عكس هذا الفشل عمق الترابط بين الجهود التي تقوم بها الأليانس وتطلعات أنصار الحداثة في الارتقاء والتطور. لاسيما أن هؤلاء لم يكونوا على استعداد للتنازل عن تطلعاتهم الرامية للارتقاء بثقافة أبناء الطائفة اليهودية. ولم يتوانَ هؤلاء في الاستعانة بنفوذهم الاقتصادي في تأليب السلطات العثمانية ضد خصومهم، حيث وضعت هذه الأخيرة رقابة شديدة على أنصار التيار الديني المحافظ، لاسيما في مراقبة المؤسسات التعليمية اليهودية التقليدية[3].

بمرور الزمن، بدأت الأليانس تخرج جماعات من الطلبة، كان همها الأول الأخذ بالوسائل الأوربية الحديثة في الحياة. وهذه الفئة المستنيرة من اليهود اندمجت في حياة الدولة. فقد أخذ أنصار التيار المحافظ يشعرون بقلق إزاء ظاهرة ابتعاد الشباب اليهودي عن التقاليد اليهودية[4]. ويعزو إبراهام بن يعقوب سبب ذلك إلى خريجي الأليانس في نشر الأفكار التقدمية، أو ما يعرف

---

(1) ميخال أفيطبول، المصدر السابق، ص 88.

(2) جاء هذا الاتساع بعد انتقال المدرسة إلى بنايتها الجديدة في عام1874م والتي تبرع بها الثري اليهودي اليعازر خضوري.

(3) ميخال أفيطبول، المصدر السابق، ص 89 ؛ أفاريم نيمارق، المصدر السابق، ص 61.

(4) المصدر نفسه، ص 89.

باسم (**الهسكلا**)[1] بين صفوف أبناء الطائفة اليهودية[2].

لقد وجد اليهود في قيام ثورة الاتحاديين عام 1908م، وما رافقها من شعارات تدعو إلى العدل والمساواة والحرية بين جميع فئات المجتمع، فرصة مواتية لتحقيق المزيد من الاندماج في المجتمع بعدما ضمنت السلطات الجديدة لهم أخذ دورهم من أوسع ابوابة[3]. وكان من ثمار هذا الاندماج تأسيس جمعية التعاون عام 1909م التي أسسها الشباب اليهودي المستنير. وأخذت على عاتقها تأسيس مدارس مسائية تتيح للعمال الدراسة فيها قصد رفع مستواهم الثقافي، فضلاً عن فتح مكتبة عامة توفر الكتب بكافة مستوياتها لأبناء الطائفة ليعززوا مستواهم الثقافي وتأهيلهم وصولاً إلى خلق الأجواء المناسبة للاندماج بشكل أسرع في حياة المجتمع المحلي[4].

يظهر تأثير التيار المستنير في حياة الطائفة اليهودية في بغداد واضحاً، ويؤكد سرعة العمل الذي قاموا به. ففي العام الذي ظهرت فيه جمعية التعاون تأسست مدرسة تابعة لها عرفت باسم (**مدرسة التعاون**)، وهي أول مدرسة أهلية يهودية، أقيمت وفق مناهج وزارة المعارف العثمانية[5]، فضلاً عن فتح دراسات مسائية بنية رفع مستوى مؤهلات العمال والموظفين اليهود وغيرها من الأنشطة، التي كانت تنصب في فك قيود العزلة التي فرضتها عليهم المؤسسة الدينية[6].

---

(1) **الهسكلا**: هي حركة ظهرت بوادرها في القرن الثامن عشر في أوربا الغربية تهدف إلى استعمال منطق العقل، ورفضت هذه الحركة التزام الفرد اليهودي بالتقاليد الدينية السائدة. وأعلنت ان كل فرد حر في اختيار عقيدته الدينية التي يؤمن بها. وعارضت كل حكم قائم على الاستبداد والحكم المطلق ومطالبين بالحرية والمساواة لجميع المواطنين. ينظر/ إسماعيل راجي الفاروقي ، **الملل المعاصرة في الدين اليهودي** ، القاهرة، 1968، ص 39 – 41.

(2) إبراهام بن يعقوب، المصدر السابق، ص 94.

(3) ميخال أفيطبول، المصدر السابق، ص 89.

(4) إبراهام بن يعقوب، المصدر السابق، ص 94.

(5) تقرير عن المدارس الإسرائيلية، ص 1.

(6) إبراهام بن يعقوب، المصدر السابق، ص 94.

ومن الدلائل على المكانة التي حققها الشباب اليهودي المستنير ما تحقق في اعتماد سلطات الاحتلال البريطاني على قدراتهم في أشغال الوظائف والأعمال التي وجدت في إثر قيام الإدارة المدنية البريطانية في العراق[1].

من خلال ما تقدم، نلاحظ أن كان لمدارس الأليانس أثراً فعالاً في ترجيح كفة الصراع الذي كان يدور بين التيار الديني المحافظ والتيار المستنير لصالح الأخير،وذلك بعدما تغير محور هذا الصراع الذي كان في الأساس قوامة التنافس للسيطرة على مراكز النفوذ داخل الطائفة اليهودية في بغداد، إلا انه مع بداية نشاط الأليانس في بغداد أخذ -كما يعْلم- منحىً جديداً يقوم على أساس رفع قيمة الطائفة من الناحية الاقتصادية والاجتماعية. وما كان هذا الأمر ليتحقق إلا من خلال تطوير قدرات أبنائها ثقافياً، إلى جانب ذلك بدَا تأثير الأليانس واضحاً في رفْدِ التيار المستنير المؤيد للحداثة في حياة الطائفة عبر سنوات عملها في القرن التاسع عشر.

3 – اتساع شبكة مدارس الأليانس:

لما أن انشغلت الأليانس في ترسيخ جذورها في بغداد، حيث يتركز أكبر تجمع يهودي في العراق طوال فترة عملها في القرن التاسع عشر الميلادي، فقد تجاهلت بقية التجمعات اليهودية الأخرى المتواجدة خارج المدينة[2]. بيد أنه سرعان ما تحول هذا الإهمال والتجاهل إلى اهتمام ورغبة أكيدة في تحقيق طموحات ممن حرموا من فرص التعليم،مستثمرة في ذلك النجاح الذي حققته في بغداد بفتح أفاق جديدة أمامها عبر توسيع شبكة خدماتها التي تقدمها لتغطي التجمعات اليهودية في بقية المدن العراقية الأخرى.وكان–ساعتئذ-الوقت مناسباً جداً للقيام بهذه المهمة،خاصة، بعد ان استقرت أوضاعها في بغداد[3].والراجح، على ما نعتقد، إلى تركز الغالبية العظمى من اليهود في مدينة بغداد.

---

[1] خلدون ناجي معروف، **الأقلية اليهودية**، ج1، ص 81 – 82.

[2] Sara manasseh**, aspects of babylonian jewish in Iraq And india during the 19th and 20th centuries** ;In Internet :www.midrash.org/ babyloniannewsletters/archive 09/page 2,html.**أنظر جدول رقم (10)**

[3] Encyclopedia Judaica, vol. 8, P. 1300.

على الرغم من إدراك إدارة الأليانس[1] بان الوقت قد حان للعمل من أجل تغيير الواقع الاجتماعي والثقافي لبقية أبناء الطائفة اليهودية في العراق من المقيمين خارج بغداد، ألا إن تحركها لم يكن ذاتيا. وإنما جاء من قناعة يهود بغداد بأهمية العمل على مساعدة أبناء جلدتهم ممن كانوا يعانون التخلف والجهل. وشعورهم نبع من حالة النضج والإدراك الذي وصلوا أليه بمساعدة الأليانس. فقد ارتأى العديد منهم أن بقاء الأوضاع على حالها سوف يحدث شرخا في أواصر العلاقة التي تربطهم ببعض. ففي حين كانت تغيرات جذرية قد طرأت على حياة يهود بغداد فان بقيه هؤلاء كانت تلفهم حالة من التقوقع والسبات.لقد دفعت الظروف السيئة التي كان يعيشها اليهود المقيميون خارج بغداد ، لاسيما في شمال العراق، أعداء الاليانس، الطلب منها تقديم يد العون لهم، كما فعل الحاخام يوسف حاييم[2]، لاسيما وأن كانت كل الظروف تشير إلى اتساع الهوة بين الطرفين. فقد ذكرت بعض الإحصائيات أن أعلى مستويات الفقر سجلت في أوساط اليهود في الموصل و كركوك[3]. وعلى هذا الأساس، تداخلت الظروف والأسباب مع بعضها لتساهم مد الأليانس نشاطها إلى بقية المدن العراقية ، أي: أينما تتواجد تجمعات يهودية.

وقد لايغرب عن البال أن بقاء تدهور أحوال هؤلاء اليهود سينعكس سلبا على أوضاع اخوتهم في بغداد نتيجة تصاعد معدلات الهجرة من جانب الفقراء منهم مع أواخر القرن التاسع عشر الميلادي نحو المدينة. وقد شعر يهود بغداد بخطورة الآثار الاجتماعية والثقافية ،بل وحتى الاقتصادية، التي تغييرت عما كانت عليه من ذي قبل في لأستمرار هذه الظاهرة[4].

ولقد زاد هذا الوضع المتردي من قناعة أنصار التيار المستنير، يعاضدهم في ذلك أثرياء اليهود، من عملهم على اجتثاث ظاهرة الأمية والتخلف من بين صفوف بقية يهود العراق، الأمر الذي يعجل في سرعة اندماجهم في المجتمع، وبما يعطي لهم فرصاً أكبر في الارتقاء بظروفهم الحياتية التي ضمنتها الحقوق التي أقرتها السلطات العثمانية، لاسيما بعد حكم الاتحاديين عام

---

[1] يرجع الفضل في اتساع نشاط الأليانس خارج حدود بغداد إلى شخص مديرها المسيو (**البالا**) حيث شهد عهده افتتاح غالبية المدارس التي أقامتها الأليانس في العراق. وقد أشادت قيادة الأليانس بهذا الدور الذي قام به. ينظر: **Bulletin de I. A. I. N.,** n° 37 (1912), P. 98 .

[2] Zvi yehuda , **jews of Iraq in recent generations… public activities of rabbi yosef hayyim** ; In Internet : www.bsz.org/airaqijews.htm.

[3] **F.O**. 371. 1007. 2537, From Sir G. Lowther to Sir Edward Grey, in March 30, 1910.

[4] Elie kedourie, op.cit , p.356.

1908م. وقد أجمع هؤلاء على أن الأليانس هي خير من يتولى القيام بهذه المهمة، نظرا للخبرة التي اكتسبتها في بغداد من ذي قبل . كما انهم وجدوا في هذا الأمر ضربة جديدة تقوض هيمنة المؤسسة الدينية على الطائفة اليهودية في العراق[1].

جدول رقم (10)

التوزيع السكاني لليهود في العراق مطلع القرن العشرين[2]

أسم الولاية	اسم المدينة	عدد السكان اليهود
بغداد	بغداد	50.000
	سامراء	300
	ديالى	1689
	كوت الأمارة	381
	الديوانية	6000
	الشامية	530
	الحلة	1065

(1) Hayyim Cohen, op. cit., P. 121 ; Abdul Wahab Abbas Al-Qaysi, op. cit., P. 78.

(2) يوسف رزق ا غنيمة، المصدر السابق، ص 210.

	الدليم	2600
	المجموع	62565
الموصل	الموصل	7635
	أربيل	4800
	كركوك	1400
	السليمانية	1000
	المجموع	14835
البصرة	البصرة	6928
	العمارة	3000
	المنتفق	160
	المجموع	10088
المجموع الكلي		87487

هكذا وجدت الأليانس نفسها أمام تحدٍ جديدٍ فرضته الظروف التي كانت تَعيشها التجمعات اليهودية خارج بغداد. ولم تترك تداعيات هذا الوضع أمامها إلا خوض التجربة مهما تكون النتائج، مع الأخذ بعين الاعتبار، أن النجاح سيضفي عليها بُعداً إيجابياً في نفوس يهود العراق[1]، فضلا عن الصيت والشهرة التي سوف تتحقق من وراء ذلك أيضا[2]. بطبيعة الحال ، نالت الأليانس دعما قويا من جانب الأثرياء اليهود الذين كانوا قادرين على تقديم كل المساعدة الممكنة لها بهدف نشر التعليم الحديث بين أبناء الطائفة اليهودية في العراق بلا استثناء[3].

---

(1) يشير **وليد خدوري** إلى كون مدارس الأليانس في بغداد ساهمت في تخريج نحو 60% من مجموع الطلبة خريجي المدارس الحديثة خلال القرن التاسع عشر. للتفاصيل ينظر/ Walid Khaduri, op. cit., P. 205.

(2) خلدون ناجي معروف، **جوانب من التعليم اليهودي ببغداد**، مجلة مركـز الدراسات الفلسطينية، بغداد، العدد 18، السنة 1976، ص 56 و 58.

(3) Hayyim Cohen, op. cit., P. 121.

ومما عجل في انهماك الأليانس في هذه المهمة الجديدة، رغبة اليهود ممن كانوا يقيمون خارج بغداد في أخذ نصيبهم من التطور والرقي الذي حققته لابناء جلدتهم في بغداد . واخذ هؤلاء يتقدمون بطلبات تدعو الاليانس، لتتبنى رغبتهم تلك وترجمتها الى حقيقة قائمه. ولم تلق هذه الدعوات لسنوات خلت آذاناً صاغية من جانب إدارة الأليانس نظرا لانشغالها في ترسيخ قواعد تجربتها في بغداد، وعدم رغبتها في تشتيت جهودها في اكثر من مكان[1]. ألا أن نجاح تجربتها في بغداد واستقرارها جردها من الحجج التي تذرعت بها من قبل ، الأمر الذي وضعها هذه المرة أمام التزام أخلاقي للقيام بواجبها نحوهم[2].وكان يهود البصرة أول من تقدم بمثل هذا الطلب، وذلك أواخر القرن التاسع عشر، وكانوا في اكثر من مناسبة يتقدمون بمثل هذه الطلبات طمعا في تلبيتها من جانب الاليانس[3] .

ولابد من الإشارة هنا، إلى انه على الرغم من موافقة الاليانس على توسيع قاعدة نشاطها خارج حدود بغداد وتحقيقها نجاحات اضافيه في إطار نشر التعليم الحديث بين صفوف يهود العراق، ألا أن ما قامت به لم يرتق لمستوى الجهد الذي بذلته في بغداد كما سنلاحظ في الصفحات القادمة [4].

أ- مدارس الأليانس في البصرة:

تعد البصرة أول مدينة باشرت فيها الأليانس تقديم خدماتها ليهودها بعد بغداد، وهي بذلك تسبق غيرها من المدن العراقية، بما فيها الموصل، وذلك رغم من وجود تجمع يهودي يفوق في تعداده ماهو موجود في البصرة[5]. وخضعت عملية الاختيار هذه للأهمية الاقتصادية التي اكتسبتها المدينة منذ الربع الأخير من القرن التاسع عشر. فقد ساعد افتتاح قناة السويس عام 1869م على تغيير طرق التجارة التي كانت تمر بشمال العراق. وكانت الموصل جزءاً مهماً فيه إلى أن تَحَول إلى جنوبه، حيث شكلت مدينة البصرة محوره الرئيس. وساهم اتساع دور البصرة كميناء تجاري مهم في اندفاع أعداد من يهود العراق للانتقال والإقامة فيها، نظراً لتوفر

---

(1) Encyclopedia Judaica, vol. 8, P. 1300.

(2) Hayyim Cohen, op. cit., P. 121.

(3) Encyclopedia Judaica, vol. 8, P. 1300.

(4) **مجلة الصباح**، العدد 107 في 1926/10/22 ؛ جميل موسى النجار، المصدر السابق، ص 243.

(5) جميل موسى النجار، المصدر السابق، ص 245.

فرص الثراء[1]. وبالمحصلة ساعد هذا الوضع على تزايد أعدادهم، فضلاً عن المكانة التجارية الكبيرة التي حققوها، الأمر الذي جعلهم يؤدون دوراً مؤثراً في حياة المدينة الاقتصادية [2].

بطبيعة الحال، خلق هذا الازدهار والاستقرار الاقتصادي ليهود المدينة حافزاً للأليانس كي تبدأ عملها انطلاقاً من هذه المينة، لاسيما أن أثرياءَها من اليهود أعربوا عن رغبتهم مراراً في أن تأخذ على عاتقها مساعدة يهود المدينة بما ينعكس إيجاباً على حياتهم[3].

ولا بد من الإشارة هنا إلى، أن اختيار البصرة كأول مركز تعمل به الأليانس خارج بغداد يعكس البعد الستراتيجي للأليانس في إطار تنفيذ أهدافها التي تسطرها. فالأليانس وجدت في مدينة البصرة منفذاً نحو مناطق أخرى على اعتبار أنها ميناء تجاري مهم في المنطقة. وكان من المُحَتمِ توافد عشرات التجار اليهود، كما غيرهم من التجار، اليها. مما يعني بث دعاية لها في أوساط الطوائف اليهودية المتواجدة في مناطق عدة من الشرق، لا سيما الهند.

عُد نجاح إدارة الأليانس في تحديد الزمان والمكان لبدء مرحلة جديدة من العمل في إطار تطوير التعليم اليهودي في العراق عاملاً مهماً في تحقيق الأهداف التي سطرتها، وعلى ما نعتقد، كان اختيارها لمدينة البصرة بدْءَاً نوعاً من ذلكم التحدي لأنها راهنت على رغبة أثريائها من اليهود في تطوير القدرات الذاتية ليهود المدينة مما سيعود بالفائدة عليهم مستقبلاً. وفي هذا الصدد كتب الكسندر أداموف[4] يقول: "**وهكذا فلا يزال أمام الاتحاد الإسرائيلي العالمي [يقصد الأليانس] في العراق الجنوبي عملاً كثيراً في ميدان تحسن التعليم المدرسي الذي يتلقاه اليهود في هذه المنطقة**"[5].

---

[1] Abbas Shibtak, **The Lure of Zion The Case of The Iraqi Jews**, London, 1985, P. 20.

[2] حسين محمد القهواتي، **دور البصرة التجاري في الخليج العربي1869–1914**، بغداد، 198، ص 295.

[3] يحزقيل يفتح، المصدر السابق، ص 52.

[4] كان يعمل قنصلاً لروسيا القيصرية في البصرة مطلع القرن العشرين.

[5] الكسندر أداموف، المصدر السابق، ص 236.

مما يذكر أن، فتحت مدرسة الأليانس أبوابها في البصرة لأول مرة في عام 1903م[1]. ويعد اليهودي **بنيامين هارون** أول من كلف بتولي مسؤولية إدارتها ، وكان يتبع إدارياً إلى مدير الأليانس في بغداد ويتلقى كل تعليماته منه[2]. وساهم تجاوب أبناء الطائفة اليهودية، باستثناء أنصار التيار الديني المحافظ في المدينة، مع جهود الأليانس في نشر التعليم الحديث بين صفوفهم في تحقيق قفزات نوعية من حيث الأداء والإنجاز، وذلك على العكس مما واجهته في بغداد عند تأسيسها لأول مدرسة فيها. وهذا، كما أشرنا من قبل، يرجع إلى تنامي الرغبة لدى يهود المدينة في تطوير قدراتهم الذاتية وبما ينعكس إيجاباً على حالة الرقي الاقتصادي الذي اخذوا يحققونه خلال هذه المرحلة[3]. ومن مؤشرات التفاعل هذا، سرعة تطور السلم التعليمي فيها. فبعد ثلاث سنوات من تأسيسها، شهدت المدرسة افتتاح القسم الرشدي فيها[4]. وكان لافتتاح هذا القسم الأثر الإيجابي في تجنيب الطلبة اليهود من سكان البصرة والمناطق المجاورة من التنقل الى بغداد طلبا للتعلم في مدرسة الأليانس في بغداد، كما كان يحدث منذ سنوات طويلة[5].

ومن الأحداث المميزة للأليانس في مدينة البصرة، الخطوة الجريئة التي أقدمت عليها إدارة مدرستها عندما سمحت بالتحاق الفتيات بها. وبذلك أصبحت الدراسة فيها مختلطة[6]. وهي خطوة لم تجرؤ أي مؤسسة تعليمية في تلك المرحلة من الأقدام عليها نظراً لما كان يسود من علاقات اجتماعية قائمة على أساس عدم إباحة الاختلاط بين الرجال والنساء. وربما يرجع سبب اتخاذ هذه الخطوة من جانب الأليانس إلى رغبتها في نشر التعليم بين الفتيات؛ ألا أن متطلبات فتح مدرسة خاصة بهن كانت غير متوفرة، فارتأت اتخاذ هذا الأجراء لحين افتتاح مدرسة

---

(1) يخالف **الكسندر أداموف** كل الباحثين بخصوص تاريخ افتتاح هذه المدرسة عندما يشير إلى أن افتتاحها تم في عام 1906. والأمر فيه غرابة على اعتبار انه كان معاصراً لهذا الحدث، وإنني أرجح هناك خطأ في الطباعة أو الترجمة.

(2) باسم حمزة عباس، **تاريخ التربية والتعليم في البصرة 1921– 1958**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب /جامعة البصرة، 1992، ص 19.

(3) **مجلة المصباح**، العدد 77 في 1925/11/21.

(4) **سالنامة الدولة العلية العثمانية**، السنة 1324هـ/ 1906م، ص 958 – 959.

(5) **مجلة الصباح**، العدد 107 في 1926/10/22.

(6) المصدر نفسه.

مُخَصَصَاً لهن. وتشير الإحصائيات إلى التحاق تسع فتيات إلى جانب(141) فتىً عام 1906م، وهو العام الأول من نشاطها[1].

بمرور الوقت، شهدت المدرسة إقبالاً من قبل العوائل على إلحاق بناتهن للدراسة فيها. وهذا بطبيعة الحال، مما شكل ضغطاً متزايداً واختناقات داخل القاعات الدراسية عبر منافسة الفتيات للأولاد. ولتجنب وقوع مشاكل أو محاولة استغلال المعارضين لنشاطها في المدينة فقد بذل مدير الأليانس في العراق (**البالا**) جهوداً متميزة من أجل توفير كافة المستلزمات اللازمة لافتتاح مدرسة خاصة بالبنات في البصرة. وأَلَّحَ في إقناع أثرياء اليهود في تقديم المساعدة الممكنة لها، كما انه نجح في إقناع قيادة الأليانس في باريس بدعم هذه الفكرة وتقديم الدعم المطلوب من جانبها عبر توفير الكوادر المطلوبة والمستلزمات الأخرى[2]. وبالفعل شهدت مدينة البصرة افتتاح أول مدرسة يهودية للبنات فيها عام 1912م [3].

لم تؤثر ظروف الحرب العالمية الأولى وبداية الحملة البريطانية لاحتلال العراق في نشاط الأليانس في البصرة، كما هو الحال في بغداد. فبعد انسحاب العثمانيين من المدينة ودخول الإنكليزفي أواخرعام 1914م، واصلت الأليانس نشاطها بدون انقطاع،بعكس المدارس الحكومية التي أغلقت أبوابها بسبب هروب معلميها[4].ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد، وإنما نالت الأليانس مثل بقية المؤسسات التعليمية الأجنبية عناية واهتماماً من جانب السلطات البريطانية في المدينة. حيث خصصت لها منحاً مالية من أجل ديمومتها، شرط أن تقوم بتدريس اللغة الإنكليزية بشكل أوسع مما هو موجود فيها آنذاك[5].

إن التقييدُ المُطْلَق بما سطرته الأليانس من أهداف في مدينة البصرة، جعلها تحوز على شهرة واسعة بين أوساط يهود المدينة، فضلاً عن دعم منقطع النظير أيضاً. وقد شجعها ذلك في

---

(1) **سالنامة الدولة العلية العثمانية**، السنة1324هـ/ 1906م، ص 959.

(2) **Bulltin de I. A. U.,** n° 38 (1913), P. 250.

(3) حاييم كوهين، المصدر السابق، ص 8.

(4) عبد الرزاق الهلالي، **تاريخ التعليم في العراق في عهـد الاحتلال البريطانـي 1914 – 1921**، بغداد، 1975، ص 34 – 38.

(5) حميد حمدان التميمي، **البصرة في ظل الاحتلال البريطاني 1914– 1921**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب /جامعة بغداد ، 1975، ص 417.

توفير مقاعد دراسية مجانية لأبناء الأسر الفقيرة، فضلاً عما كانت تقدمه من دعم مادي ومعنوي لهؤلاء تشجيعاً لهم على مواصلة التحصيل العلمي. وساهمت هذه التسهيلات التي كانت تقدم للطلبة في ارتفاع معدلات الطلبة المسجلين فيها.

وتشير الإحصائيات إلى كون عدد الطلبة عام 1910م بلغ (350) طالباً[1]، بَيْدَ أنه أرتفع ليصل إلى (750) طالباً عام 1917م[2]، ليقفز فيما بعد إلى (975) طالباً عام 1921م[3]. وشهدت مدرسة البنات، هي الأخرى، ازدياداً في عدد طالباتها، حيث وصل عددهن إلى (230) في عام 1917م[4]، ليعود ويرتفع في عام 1921م إلى (420) طالباً[5].

لقد نالت جهود الأليانس في البصرة من أجل نشر التعليم الحديث استحسان يهود المدينة، وهؤلاء بدورهم سارعوا إلى تقديم كل دعم يمكن تقديمه لها. وكانت حملة التبرعات تجري بشكل دوري من أجل تدعيم أنشطتها[6]، فيما كانت رئاسة الطائفة اليهودية، هي الأخرى، تقدم منحة سنوية مساهمة منها في دعم أنشطتها[7]. كانت سلطات المعارف هي الأخرى تقدم مساعدات مالية، كما هو الحال مع بقية المدارس في المدينة[8]. ويعد اليعازر خضوري من أكثر اليهود تبرعاً لمدارس الأليانس في البصرة، وقد تكفل بشراء بناية مجاورة لمدرسة الأولاد لكي تكون روضة للأطفال، مع تبرعه بمستلزماتها كافة[9].

ليس بخاف أن كانت مدارس الأليانس في البصرة تحظى برعاية كبار أعيان اليهود. وكان هؤلاء باستمرار بزيارات دورية لها للاطلاع على أوضاعها، وتقديم المساعدات الممكنة لها بما يمكنها مواصلة جهودها الرائدة في مجال التعليم. كذلك حظيت بزيارات كبار المسؤولين

---

(1) فيصل محمد ألا رحيم ، المصدر السابق، ص 139.

(2) **Review of The Reports on The Administration of The Basrah Viloy at April to December**, 1917, P. 208.

(3) **F. O**. 371. 17478. 5628, From Sir. P. Cox To F. O. in 27^{th} December 1921.

(4) **Review of The Reports on The Administration of The Basrah**, P. 208.

(5) **F. O**. 371. 17478. 5628.

(6) **مجلة المصباح**، العدد 77 في 1925/11/21 والعدد107 في 1926/10/22.

(7) المصدر نفسه، العدد 102 في 1926/9/17.

(8) باسم حمزة عباس، المصدر السابق، ص 167.

(9) **مجلة المصباح**، العدد 102 في 1926/9/17.

العراقيين في العهد الملكي، على غرار مدارس بغداد، ومن أشهرها كانت زيارة الملـك **غازي الاول**(1933–1939م) لمدرستي الأليانس في15 نيسان/أفريل 1934م، وقد حظى باستقبال حافل. وفي حفل الاستقبال في مدرسة البنات ألقت إحدى الطالبات قصيدة حيت بها الملك مطلعها[1]:

لبست أرضنا الفخار افتخاراً وتجلت فكـان ذاك منـاراً

ختاماً؛ نستطيع القول بان الأليانس بواسطة جهودها المبذولة في البصرة تكون قد ساهمت في أحداث نهضة ثقافية على مستوى أبناء الطائفة، فضلاً عن مساهمتها في تطوير قدراتهم العلمية، وإتقانهم للغات الأجنبية مما فتح أمامهم آفاقاً جديدة للعمل.

ب – مدارس الأليانس في الموصل:

في أثر فَـقْد مدينة الموصل لأهميتها التجارية بعد افتتاح قناة السويس عام 1869م، وتغير الطرق التجارية وانتقالها نحو جنوب العراق، وما تبعها عن ذلك من نزوح الكثير من العوائل اليهودية نحو بغداد ومناطق أخرى من العراق، لاسيما الأثرياء منهم، سعياً وراء فرص أفضل[2]. تراجع مستوى النشاط التجاري في الموصل، الأمر الذي أدى إلى تردي الأوضاع الاجتماعية والمهنية ليهودها. مما ساهم ذلك في ارتفاع معدلات الفقر وشيوع حالات التخاف بين صفوفهم. وهذه الظروف الصعبة التي كانت تحيط بهم شكلت حافزاً في تحريك أفراد منهم على مفاتحة الأليانس كي تتدخل سريعاً. خاصة بعد اطلاعهم على الجهود التي كانت تقوم بها في بغداد، للعمل جادة من أجل إيصال خدماتها إلى يهود المدينة، قصد توفير قسط من المعرفة ينعكس ايجاباً في تغيير الظروف المعاشية القاسية التي يعيشونها. وقد تجسدت هذه الرغبة في البدء بمراسلات

---

(1) باسم حمزة، المصدر السابق، ص 167.

(2) **F. O.,** 371,1007, 2537.

ودعوات أرسلت إلى مدير الأليانس في بغداد استمرت عام 1906م[1]؛ العام الذي وافقت فيه الأليانس على فتح مدرسة لها في الموصل، غير أن فتح المدرسة واجه معارضة **مصطفى بك** (والي الموصل)، مما أدى إلى تأجيل افتتاحها[2]، إلى أن قامت ثورة الاتحاديين عام 1908م، بعد قيامها أصدرت وزارة المعارف العثمانية تعميماً إلى مديريات المعارف في ولاياتها بعدم إلزام المدارس الأجنبية والأهلية بالحصول على إجازة عمل. وبذاك تركت للمدارس الحرية التامة في انتهاج السياسة التي تراها مناسبة من دون قيد أو شرط[3]. لذا لم تجد إدارة الأليانس ما يحول دون افتتاح مدرستها في المدينة.ولما أنها كانت مستكملة كافة مستلزمات عملها ، كان لها ذلك في ذات العام ، أي: العام 1908م[4].

لم يكن في مدينة الموصل قبل عام 1908م، أي مؤسسة تعليمية يهودية قائمة وفق أسس التعليم الحديث. وإنما كانت هناك مؤسسات تعليمية دينية فقط، كانت تعرف باسم (**الحيدر**)[5]، والتي فشلت في تقديم أي فائدة لأبناء الطائفة اليهودية في المدينة تمكنهم من الاندماج بشكل أفضل وأسرع في ثنايا المجتمع المحلي[6]. وفي ظل الظروف الصعبة التي كانت تحيط بأبناء الطائفة اليهودية في المدينة، وسيطرت المؤسسات التعليمية الدينية، فرض على الأليانس بذل جهود مكثفة واستثنائية في خدماتها المقدمة لتقدرعلى تغيير طبيعة نظام التعليم القائم على أساس ديني. وفي إطار هذا المسعى بذل الفرنسي **موريس سيدور**، أول مدير لمدرسة الأليانس في الموصل، جهوداً متميزة في هذا الاتجاه. وقد أشادت إحدى التقارير البريطانية المعاصرة بكفاءته ونجاحه في إدارة شؤون المدرسة، فضلاً عن كسب دعم الأهالي لما تقوم به الأليانس في المدينة[7].

شغلت المدرسة مبنى كبيراً يقع في الحي اليهودي في المدينة، تم شراؤه بعد جمع تبرعات من أثرياء الطائفة اليهودية إلى جانب مساعدات مالية قدمتها رئاسة الطائفة اليهودية في بغداد. وقد صنفت المدرسة على أنهـا مدرسة ابتدائية فقط، واستمرت هكذا حتى توقفهـا عن العمـل

(1) Nissim Rejwan, op. cit., P. 190.

(2) **F. O**. 195, 2308, 4817, From W. Young To F. O. in January 28. 1909.

(3) عباس العزاوي ، المصدر السابق، **العهد العثماني الأخير 1872– 1917**، ج 7، ص 172.

(4) **F. O.** 195, 2308, 4817.

(5) للإطلاع على هذه المؤسسات أنظر الفصل الأول، ص 12.

(6) للتفاصيل عن المدارس الدينية في الموصل ينظر/ جميل موسى النجار، المصدر السابق، ص 24 – 243.

(7) **F. O**. 195. 2308. 4817.

أواسط القرن العشرين[1].

وعلى الرغم من التوسع الذي أصاب التعليم الحديث في المدينة، إلا أن مدرسة الأليانس للفتيان بقيت واحدة من أشهر مدارس مدينة الموصل. وكانت تعرف باسم (**مدرسة اليهود**). وتميزها حسب رواية أحد شهود العيان الذين عاصروها، لإتقان طلبتها للغات الأجنبية فضلاً عن تحررهم في السلوك والملبس[2].

حظيت مدرسة الأليانس بدعم متواصل من جانب أبناء الطائفة اليهودية في المدينة، لاسيما الأثرياء منهم. وقد أَوْقَفَ هؤلاء لها العديد من الأوقاف، مما مكنها من الاستمرار في عملها دون معوقات، إلا أن المدرسة، لم تشهد أي تطور في إطار سلمها التعليمي. فقد بقي تصنيفها ابتدائياً فقط طوال فترة عملها التي قاربت النصف قرن من الزمن. وعادة كان الطلبة اليهود الذين يرغبون في مواصلة دراستهم من بُعْدُ السفرَ إلى بغداد والالتحاق بمدرسة الأليانس فيها[3].

وفي عام 1912م، قامت إدارة الأليانس بافتتاح مدرسة أخرى خصصت للبنات. وهي واحدة من الخطوات الجريئة التي تحسب لصالح الأليانس، لأنها تعكس تحدياً حقيقياً للظروف التي كانت تسود حياة المرأة العراقية عموماً، واليهودية على وجه التحديد- يومئذ-[4].

ويشير الكاتب نسيم رجوان، في إطار الإشارة إلى اهتمام الأليانس بإنشاء مدارس للبنات خارج بغداد، بأنها جاءت متوافقة مع التغيرات السياسية التي طرأت على الدولة العثمانية بعد عام 1908م، وجعلها لا تتردد في أن تخطو خطوات جريئة لافتتاح مدارس خاصة بالبنات خارج

---

[1] Nissim Rejwan, op. cit., P. 190.

لم يبقَ من أبنية مدارس الأليانس في العراق إلا بناية مدرستي الأليانس في الموصل وكركوك. وقام الباحث بزيارة مبنى مدرسة الأليانس خلال فترة أعداد البحث، وذلك في يوم 2001/5/15. وهي في حالة يرثى لها لأنها أهملت منذ غلقها أواسط القرن الماضي، مما جعلها بناية آيلة للسقوط.

[2] **الحاج محمد حسين الأعرجي** (الموصل) مقابلة في 2001/5/16.

[3] **توفيق شاؤول سوفير** (بغداد) مقابلة في 2001/6/25.

[4] Hayyim Cohen, op. cit., P. 125.

بغداد، بعكس ما كان يحدث في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، من معارضة شديدة من جانب أنصار التيار الديني المحافظ[(1)].

ج – مدارس الأليانس في الحلة:

الحِلـةُ من المدن التي حظيت باهتمام الأليانس، لتواجد تجمع يهودي صغير نوعاً ما فيها[(2)]، الا انه كان مؤثر بسبب المكان الاجتماعية والاقتصادية في المدينة[(3)]. وفي عام 1907م تم فيها افتتاح أول مدرسة تابعة للأليانس، مدرسة ابتدائية خاصة بالفتيان. ونظراً لضآلة التجمع اليهودي، فقد اتصفت المدرسة بمحدودية نشاطها قياساً بمدارس الأليانس الأخرى[(4)]. وبعد أربعة أعوام، أي: في عام1910م، جرى افتتاح مدرسة خاصة ابتدائية بالبنات [(5)]. وكانتا تتبعان إدارياً إلى مدير الأليانس في بغداد.ولقد نجحت المدرستان في تقديم خدماتهما لأبناء الطائفة اليهودية في المدينة، واستطاعتا أن تترجما طموحاتهم إلى حقائق شاخصة، ببروز العديد منهم في الحياة العامة العراقية.

د– مدرسة الأليانس في العمارة:

افتتحت الأليانس مدرسة أبتدائية للفتيان في مدينة العمارة في عام1910م[(6)]. وأقتصر التعليم فيها على المستوى الابتدائي،أذ كانت مدرسة متواضعة المستوى من حيث الإمكانيات والدور الذي قامت به. ويعد الياهو حسون أول من تولى مسؤولية الإدارة والتعليم فيها[(7)].

---

(1) Nissim Rejwan, op. cit., P. 190.

(2) **أنظر جدول رقم (10).**

(2) حنا بطاطو ، المصدر السابق، ص 286 ,

(4) جميل موسى النجار، المصدر السابق، ص 241.

(5) Nissim Rejwan, op. cit., P. 190.

(6) خلدون ناجي معروف، **الأقلية اليهودية**، ج1، ص 79.

(7) شريف يوسف، المصدر السابق، ص 49.

وشهدت مدرسة الأليانس في العمارة بعدما أغلقت المدارس الحكومية وأعتقل معلموها إبان فترة الاحتلال البريطاني للمدينة ازدهاراً وإقبالاً من جانب الطلبة من غير اليهود. ويضيف **شريف يوسف**، أحد طلبتها آنذاك، تأثير الثقافة الفرنسية في مديرها، بقوله: "**كان هذا المدير شديداً مع الطلاب يستعمل الضرب المبرح لأتفه الأسباب، ويقاص كل طالب يتكلم العربية، ويجبرهم على التكلم باللغة الفرنسية داخل المدرسة**"[1].

لم تبد إدارة الأليانس اهتماماً بمدرسة العمارة يوازي اهتمامها ببقية المدارس، وكان لذلك أثر كثير في أداءها. كما انعكس سلبا على مستوى طلبتها .ونادرا ما كانت المدرسة تكتمل في مراحلها الدراسية نظراً لقدم البناية وعدم صلاحيتها، أضف إلى ذلك نزوح سكان المدينة من اليهود نحو بغداد والبصرة خلال النصف الأول من القرن العشرين. ورافق ذلك قلة مصادر تمويلها مما انعكس- أيضا- سلبا على عملها وأضعف من فرص بقـاءها. وكادت في عام 1936م أن تغلق المدرسة أبوابها نظراً للظروف الصعبة التي واجهتها. ولولا الدعم الذي قدمه (**النادي العراقي التجاري**)[2]، أحد الجمعيات اليهودية، عندما تفاقمت مشاكلها لدرجة أصبح غلقها أمر لا بد منه لما تأجل أغلاقها حتى عام 1939م [3].وكانت هذه أول مدرسة من مدارس الأليانس تغلق أبوابها في العراق خلال القرن الماضي.

و- مدرسة الأليانس في كركوك:

افتتحت مدرسة الأليانس في مدينة كركوك في عام1912م [4]. وقد عانت من مشاكل مادية باستمرار، كما أنها لم تشهد إقبالاً من جانب أبناء الطائفة اليهودية في المدينة، بسبب ظروفهم

---

(1) شريف يوسف،المصدر السابق، ص 49.

(2) أسس النادي مجموعة من يهود العمارة عام 1931. وأخذ على عاتقه نشر الوعي الثقافي ودعم لأنشطة التعليمية بما يعود بالفائدة على أبناء الطائفة اليهودية في المدينة. للتفاصيل ينظر/**م.و.د.**، ملفة رقـم م/6/هـ/5، اسم الملفة /النادي العراقي التجاري، كتاب متصرفية لواء العمارة إلى وزارة الداخلية برقم س/93 في 1931/4/20.

(3) **م.و.د.**، الملفة السابقة، كتـاب متصرفيـة لواء العمارة إلـى وزارة الداخليـة برقم 14404/ع في 1933/12/23.

(4) Encyclopedia Judaica, vol. 8, P. 1300.

الاقتصادية الصعبة التي كانوا يعانون منها. وكما أشرنا من قبل تصنيف يهود كركوك من الفئات الفقيرة، لم يمنع من مساهمة الأليانس من خلق جيل مثقف وواع منهم. وكان الطلبه رغم تدني مستواهم الاقتصادي يقبلون على الالتحاق بها، لأنهم كانوا يرونها تهدف الى النهوض بهم قبل كل شي[1]. ونتيجة لظروف الجالية السيء لم تستطع المدرسة مواصلة نشاطها بشكل مريح، فأغلقت أبوابها في عام 1935م[2].

ز- مدرسة الأليانس في خانقين:

تعد مدينة خانقين المتاخمة للحدود الإيرانية، من المدن الحدودية. وقد تواجدت فيها طائفة يهودية صغيرة جداً إذا ما قورنت بأعدادهم في بعض المدن العراقية التي لم تفتح الأليانس بها مدارس تابعة لها، من مثل مدينة الديوانية التي كان يوجد فيها قرابة (6000) يهودي حسب إحصائيات عام 1910م،ومدينة أربيل التي يقدر عدد يهودها بحوالي (1400) نسمة[3]. فيما لم يتجاوز عدد السكان اليهود في خانقين قرابة (400) نسمة وفق الإحصائيات العثمانية[4].

إذن ما الأسس التي جعلت الأليانس تهتم بيهود خانقين متجاهلة في ذات الوقت تجمعات يهودية أخرى تستحق الدعم والرعاية ؟.

يكمن سر الاهتمام هذا في الخطوة التي اتخذها الياهو روبين،أحد أثرياء اليهود في بغداد، الذي تبرع في عام1912م بكل ما تحتاجه المدرسة من مستلزمات كشراء البناية وكافة المتطلبات التي تجعل المدرسة قادرة على استقبال الطلبة [5]. وربما يعود تصرف هذا الثري اليهودي إلى كون جذوره نابعة من مدينة خانقين قبيل انتقالها إلى بغداد، فأراد بهذه الخطوة تقديم خدمة لأبناء جلدته.

---

[1] **Judaaism in kurdistan** (The Encyclopaedia of Kurdistan) In internet: www.kurdweb.humanrights.de/keo/index.html.

[2] حاييم كوهين، المصدر السابق، ص 166.

[3] يوسف رزق ا غنيمة، المصدر السابق، ص 210.

[4] **سالنامة ولاية بغداد**، السنة 1329 هـ /1911 م ، ص 329 – 330.

[5] **مجلة لغة العرب**، بغداد، ج1، السنة 1912، ص 279.

افتتحت مدرسة خانقين الابتدائية أبوابها في عام 1913م.غير أن أبرز المعوقات التي واجهتها، تتمثل في عدم قدرتها على استكمال المراحل الدراسية، وذلك راجع إلى قلة أعداد الطلبة الملتحقين بها. مما أجبرها فيما بعد في أن تتخذ إدارة الأليانس قرارها في إيقاف الدراسة وإغلاقها نهائياً في عام 1926م [1] .

خلاصة القول، على الرغم من الجهود التي بذلتها الأليانس في فتح مدارس تابعة لها في المدن العراقية التي يوجد فيها يهود، بعد أن سبقتها سمعتها وشهرتها التي حققتها في بغداد وما ساهمت به من إدخال تغييرات جذرية على أحوال أبناء الطائفة اليهودية في بغداد، إلا أن جهودها تلك لم تكن بذات المستوى الذي كانت عليه في بغداد من حيث الإمكانيات والجهود التي بذلتها. ويمكن استثناء مدارس البصرة من هذا الوضع نوعاً ما. ومن خلال الاستعراض السابق يمكن تسجيل بعض الملاحظات على مدارس الأليانس خارج بغداد، وهي كالآتي:

1 – تواضع الإمكانيات المتوفرة للمدارس من حيث المنشآت والمستلزمات الدراسية.

2 – لم تتجاوز هذه المدارس المستوى الابتدائي، باستثناء مدرسة البصرة، حتى ان بعضها لم يتمكن من إكمال مراحل الدراسة الابتدائية حتى تتوقف عن العمل.

3 – افتقار هذه المدارس إلى التقاليد التربوية التي كانت تتسم بها مدارس بغداد، كما هو الحال في مدرسة العمارة حيث كان الضرب أمراً طبيعياً، وهو ما يعني ضعف الرقابة عليها من جانب إدارة الأليانس في بغداد.

4 – أغلب هذه المدارس كانت تعاني من مشاكل التمويل مما كان يعرقل أداءها بما يتلاءم والأهداف التي افتتحت من اجلها، كما هو الحال في مدارس العمارة وكركوك وخانقين.

5 – تركت التغييرات السكانية التي شهدتها التجمعات اليهودية في العراق أثرها في تراجع مستوى الدور الذي قامت به هذه المدارس، لاسيما غالبية الطائفة تركزت في مدينة بغداد خلال النصف الأول من القرن العشرين، مما عجل في غلق العديد من هذه المدارس لأبوابها خلال ثلاثينيات القرن المذكور لانتفاء الحاجة إليها.

---

[1] Encyclopedia Judaica, vol. 8, P. 1300.

4- إشراف الأليانس على مدارس الوقف:

إن الريادة التي حققتها الأليانس في تحسين ظروف التعليم اليهودي في العراق جعلها تحظى باحترام أبناء الطائفة اليهودية وتقديرهم. وأخذت أواصر الثقة بينهما تتوثق يوماً بعد آخر، فإلى جانب الدعم المادي اللامتناهي الذي أخذوا يقدمونه لمدارسها، بادر البعض منهم للعمل على الاستفادة من خبرة الأليانس في مجال الإدارة والتنظيم بهدف فتح مؤسسات تعليمية جديدة في بغداد، وذلك أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، مساهمة منهم في تطوير وتوسيع شبكة المؤسسات التعليمية؛ مما يؤدي الى الارتقاء بهم مادياً ومعنوياً يساعدهم على الاندماج أسرع في ثنايا المجتمع العراقي بشكل أفضل.

أبدت الأليانس استجابتها لهذه التوجهات لأنها كانت تتلاقى مع الأهداف التي سطرتها في إطار خدمة أبناء الطائفة اليهودية في العراق، وبما يعزز من اتساع قاعدة التعليم اليهودي الحديث أكثر فأكثر مما يمكن أكبر عدد ممكن من يهود العراق من نيل قسط من التعليم بما يؤمن لهم مستقبلاً أفضل.

أ – مدرسة رفقة نورائيل:

تعد اليهودية رفقة نورائيل، أول من بادر في توسيع قاعدة التعليم اليهودي الحديث في العراق الذي سعت إليه الأليانس من قبل. ووجدت رفقة أن خير من يساعدها على تحقيق هذا المطلب هي الأليانس نظراً لتجربتها الطويلة والشهرة التي حازتها في هذا الجانب. وفي عام 1896م فاتحت الأليانس، عبر إدارتها في بغداد، للموافقة على توليها الإشراف على الأوقاف التي أوقفتها من أجل صرفها على تعليم أبناء الطائفة اليهودية في بغداد. وتم رفع هذا المقترح إلى قيادة الأليانس في باريس، وافقت الأخيرة على هذا المقترح وكلفت مدير الأليانس في بغداد بوضع الترتيبات اللازمة لإنشاء مدرسة تمول بواسطة هذه الأوقاف، وذلك عام 1897م[1].

وبعد وصول نبأ الموافقة، باشرت إدارة الأليانس في المدينة على اختيار موقع المدرسة ووضع المخطط اللازم للبدء في عملية البناء بالتعاون مع صاحبة الوقف، وكان أن الم خصصت المدرسة للذكور فقط وتحمل اسم (**مدرسة رفقة نورائيل**)، وذلك كي تستوعب الزيادة المطردة في أعداد الطلبة الملتحقين بمدرسة الأليانس في بغداد[2].

ولم تعرقل وفاة المتبرعة رفقة نورائيل عام 1899م مراحل العمل كثيراً. فبعد حسم مسألة الإرث نهائيا؛ أخذت أختا المتبرعة (**نوعم وطوبة**) على عاتقهما استكمال المشروع الخيري الذي أوقفت إليه (**رفقة**) غالبية ثروتها، حسب الوصية التي تركتها[3]. وعلى أثر ذلك بوشر العمل من جديد في إنجاز المبنى المخصص للمدرسة من دون أي معوقات تذكر.

بعد الانتهاء من إنجاز المبنى الكائن في منطقة سوق حنون، المطل على الشارع المعروف باسم (**ينكيجة**)[4]. فتحت المدرسة أبوابها في عام 1902م في احتفال حضره كبار أعيان الطائفة اليهودية في بغداد ومدير الأليانس في المدينة[5]. وكانت ثالث مدرسة ابتدائية يهودية في بغداد بعد

---

[1] تقرير عن المدارس الإسرائيلية، ص21 – 22؛ Zvi Yehuda, Op. Cit., P. 60 .

[2] Nissim Rejwan, op. cit., P. 191.

[3] تقرير عن المدارس الإسرائيلية، ص 22.

[4] المصدر نفسه، ص 22.

[5] Nissim Rejwan, op. cit., P. 191.

مدرستي الأليانس للأولاد والفتيات تعمل وفق أسس تربوية حديثة. وقد ضمت المدرسة في سنتها الأولى قرابة (350) طالباً، فيما كان عدد معلميها ثمانية[1].

حسب الاتفاق الذي تم بين ورثة رفقة نورائيل والأليانس فقد خضعت المدرسة إدارياً ومالياً كلياً للتعليمات والأوامر التي كانت تصدر من إدارة الأليانس في بغداد[2]. وليس هذا فحسب، وإنما كانت تطبق ذات المنهاج الدراسي الذي يتبع في مدارس الأليانس[3].

وللتشابه القائم بين مدارس الأليانس ومدرسة رفقة نورائيل في مختلف الجوانب، تم اندماجها الطبيعي عام 1935م، في أثر استملاك أمانة العاصمة (**بغداد**) جزءاً من مبنى المدرسة لوقوعه ضمن مخطط إنشاء شارع جديد في بغداد. إلا أن الحال لم يطل كثيراً، إذ سرعان ما تم شراء مبنى جديـداً للمدرسة في منطقة السنك عـام 1936م، فعادت المدرسة من جديـد تعمل مستقلة[4].

وفي عام 1941م، شهد انفصال مدرسة رفقة نورائيل إدارياً عن إدارة الأليانس في بغداد، وعين لها مديراً يتولى مسؤولية إدارتها بعدما كان مدير الأليانس هو الذي يتولى منصب المدير. مع أنها بقيت تابعة مالياً للأليانس حتى إغلاقها نهائياً عام 1951م[5].

لقد استطاعت الأليانس، عبر خبرتها المكتسبة من خلال عملها في العراق لسنوات طويلة، من أن تجعل مدرسة **رفقة نورائيل** واحدة من المدارس الرائدة التي تمكنت، عبر الإدارة والمنهاج المطبق فيها، من تقديم خدمات ذات أثر فعَال في الارتقاء بأحوال الطائفة اليهودية في بغداد. ويشير تقرير بريطاني في إطار حديثه عن أوضاع الطائفة اليهودية إلى الدور الذي قامت به هذه المدرسة، إلى جانب بقية المؤسسات التعليمية الأخرى، في نقل يهود المدينة من حالة التخلف

---

[1] جميل موسى النجار، المصدر السابق، ص 24.

[2] خلدون ناجي معروف، **الأقلية اليهودية**، ج1، ص 158.،

[3] **مجلة المصباح**، العدد 77 في 1925/11/21.

[4] تقرير عن المدارس الإسرائيلية، ص 22 – 23.

[5] إبراهام بن يعقوب، المصدر السابق، ص 104 ؛ فاضل البراك، المصدر السابق، ص 30.

والجهل إلى حياة جديدة قائمة على أساس التمدن والانفتاح وآفاق واسعة في تطوير القابليات والمهارات الذاتية[1].

خلاصة القول، استطاعت هذه المدرسة عبر سنوات عملها التي امتدت على مدى النصف الأول من القرن الماضي من تشجيع أبناء الطائفة اليهودية على الاهتمام بالتعليم، والعمل على افتتاح مؤسسات تعليمية أخرى[2]. وقد ساهم ذلك في دعم الرؤى التي كانت الأليانس قد تبتنها في إطار النهوض بالمستوى الثقافي والاجتماعي ليهود العراق، إلى جانب ما كانت تخطوه نحو تخفيف حجم الضغط الذي كانت تشهده مدارس الأليانس أمام تزايد رغبتهم في الاستزادة من العلم والمعرفة.

ب – مدرسة مناحيم صالح دانيال:

ساهم نجاح تجربة الأليانس في العراق في خلق انطباع يدعو إلى أهمية التعليم وحتمية تطوره، ففي سنوات عملها الطويلة خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر خرجت أجيالاً من الطلبة اليهود. وقد اصبح هؤلاء الأكثر تحسساً بأهمية نيل كل شخص حقه في التعليم لأنه يفتح آفاقاً جديدة لم تكن موجودة من ذي قبل. وبذلك، تكون الأليانس قد نجحت في جني ثمار ما زرعته في نفوس أبناء الطائفة اليهودية من رغبة كبيرة في التحصيل الدراسي، وتفاعل هؤلاء مع جهودها التي كانت تصب في مصلحتهم. في ذات الوقت كان ليهود العراق ردود فعل إيجابية عندما عبروا عن رغبتهم في دعم هذا التوجه من جانب الأليانس، وقدموا الدعم والمساعدة لها بما يعزز من حجم الدور الذي كانت تقوم به. وهذا التفاعل بين الأليانس ويهود العراق، ساهم في خلق رغبة ملحة من جانب البعض منهم بأهمية بناء منظومة تربوية محلية تعكس حالة الرقي

---

[1] **F. O**. 371. 3387. E. 655, From Sir P. Cox **To** F. O. , In 22 April 1918.

[2] Manaf W. Abdul Ghani, op. cit., P. 20.

الذي وصلوا إليه[1]، إلى جانب الرغبة الشخصية في تخليد ذكراهم ويرفع من مكانتهم بين صفوف أبناء طائفتهم عبر إنشاء المؤسسات التعليمية.

كما أن نجاح تجربة مدرسة رفقة نورائيل كأول مؤسسة تعليمية يهودية، وان كانت تحت وصاية الأليانس، شكل نموذجاً متميزاً يساعد على أن ولوج أبناء الطائفة اليهودية في هذا المضمار دون خوف. و النجاح ذاك حرك المدعو **مناحيم صالح دانيال**، أحد أغنى أغنياء اليهود في بغداد، في العمل من أجل تأسيس مدرسة تكون تحت إشراف إدارة الأليانس في بغداد. لم تبد قيادة الأليانس اعتراضاً ما دام ذلك الاقتراح ينصب في الأهداف التي كانت تعمل من أجلها. وبعد إجراء الترتيبات اللازمة لافتتاح المدرسة من حيث تهيئة المبنى الخاص بها، والمستلزمات الدراسية الأخرى، شهدت بغداد في عام 1909م افتتاحها حيث حملت اسم المتبرع (**مناحيم صالح دانيال**)[2].

لقد عملت مدرسة مناحيم صالح دانيال، كسر الظروف الاجتماعية التي كانت قائمة آنذاك، أذ قوضت فكرة عدم الاختلاط بين الرجال والنساء، عندما تقرر أن تكون هذه المدرسة ابتدائية مختلطة. وهي بذلك تكون أول مدرسة تعمل في بغداد تسمح بالاختلاط ما بين الفتيان والفتيات[3]. وان دل هذا على شيء، فإنما يدل على الأثر الكبير الذي تركته الأليانس في غرس روح السلوك الغربي في أوساط الطائفة اليهودية في المدينة.

ولم تعان مدرسة مناحيم دانيال من أي مشاكل مادية تعيقها عن أداء واجبها. وهذا يرجع إلى كون مناحيم صالح دانيال قد أوقف لها الكثير من الأوقاف، كالمباني والأراضي الزراعية بما

---

[1] ينعكس هذا الرقي في نسبة أعداد المتعلمين من يهود العراق قياساً ببقية العراقيين، ففي عام 1913م لم يكن في العراق بولاياته الثلاث سوى (160) مدرسة بلغ عدد طلبتها (600) طالب أي بمعدل (37.5) طالب لكل مدرسة، في حين نجد أعداد الطلبة اليهود في العام ذاته قد تجاوز الثلاثة آلاف طالب في مدارس لم يتجاوز عدد الاثنتي عشر مدرسة. للمقارنة ينظـــر/ البرت متشاشفيلي، **العراق في سنوات الانتداب البريطاني**، ترجمة:هاشم التكريتي،بغداد،1987، ص195؛ عبد الرزاق الهلالي، **التعليم في العراق في العهد العثماني**، ص 250 – 251.

[2] إبراهام بن يعقوب، المصدر السابق، ص 105.

[3] يوسف رزق ا غنيمة، المصدر السابق، ص 211.

يجعلها قادرة على تغطية نفقاتها[1]. أضف إلى ذلك، انه خصص مبلغاً قـدره (100) ليرة عثمانية سنوياً تدفع نقداً من أمواله الخاصة لصرفها على شؤون المدرسة[2].

اتبعت مدرسة مناحيم صالح دانيال نفس المناهج الدراسية التي كانت تطبقها مدارس الأليانس بحكم كونها تعمل تحت إشراف إدارة الأليانس في بغداد[3]. واستمرت على هذا المنوال حتى عام1947م عندها انفصلت المدرسة نهائياً عن وصاية الأليانس وأصبحت تعمل بشكل مستقل حتى توقفها عن العمل نهائياً عام 1951م [4].

ختاماً، لا بد من الإشارة هنا، إلى تمكن مدرسة مناحيم صالح دانيال من أخذ دورها في استيعاب الأعداد المتزايدة من الطلبة اليهود الراغبين في التعليم إلى جانب المدارس اليهودية الأخرى.

ج – مدرسة نوعم وطوبة نورائيل:

تأسست مدرسة **نوعم وطوبه نورائيل** الابتدائية للبنات في بغداد عام 1924م[5]، وكانت تعرف خطأً باسم مدرسة هارون صالح لكون مبناها كان من أملاكه المستأجرة، وبعد اكتمال

---

[1] يعقوب يوسف كورية، **يهود العراق ... تاريخهم، أموالهم، هجرتهم**، بيروت، 1998، ط1، ص 82.

[2] Nissim Rejwan, op. cit., P. 197.

[3] يوسف رزق الله غنيمة، المصدر السابق، ص 211.

[4] تقرير عن المدارس الإسرائيلية، ص 23.

[5] فاضل البراك، المصدر السابق، ص 32؛ خلدون ناجي معروف، **الأقلية اليهودية** ، ص 158.

المبنى الخاص انتقلت هذه المدرسة إليه، وذلك بعد سنة من افتتاحها[1]. وقد اتفقت الأختان نوعم وطوبه، أختا رفقة نورائيل، مع الأليانس على ان تتولى الأخيرة الإشراف والإدارة فيما يخص شؤون هذه المدرسة[2].

وفي عام 1946م، استقلت المدرسة إدارياً وأصبح لها مدير يُدير شؤونها، إلا انها، كما هو الحال مع مدرسة رفقة نورائيل، بقيت مرتبطة مالياً بالأليانس[3].

---

[1] تقرير عن المدارس الإسرائيلية، ص 23.

[2] خلدون ناجي معروف، **الأقلية اليهودية**، ج1، ص 158.

[3] المصدر نفسه، ص 158.

ثانياً: المناهـج الدراسيـة :

1ـ أدخال العلوم الصرفة :

آمنت قيادة الأليانس بأن افضل وسيلة للنهوض بواقع حال الطوائف اليهودية، مادياً ومعنوياً، لا يتم إلا عبر إقامة نظام تعليمي حديث. وان ذلك يتطلب، بطبيعة الحال، أن يكون التعليم وفقاً للمعرفة العلمانية، التي تستند على الدراسات التقنية والعلمية واللغوية[1]. ومن هنا، فان الارتقاء بالطائفة اليهودية في العراق، وانتشا لها من التخلف اجتماعياً واقتصادياً، لا يتم من دون معرفة علمانية بعيدة عن الأساليب التقليدية التي كانت قائمة[2].ووفق هذه الرؤية، عملت الأليانس في العراق، منذ البداية، على تلقين طلباتها كل ما هو حديث من العلوم بغرض تطوير قابليتهم الذاتية مع أفضلية إتقان لغات عدة[3]، في ضوء الإمكانيات المتوفرة[4].

تبعا لذلك، مرت المناهج الدراسية المطبقة في مدارس الأليانس في العراق بمراحل تطور عدة. وهذه المراحل كانت تعكس مستوى التطور الذي بدأت تمر به الطائفة اليهودية من الناحية الثقافية والاجتماعية وحتى الاقتصادية. وبناءاً عليه، نلاحظ أن إدارة الأليانس في بغداد اخذت بعين الاعتبار، عند انطلاقتها الأولى، الواقع المتخلف الذي كان عليه يهود العراق. لذا نهجت خلال سنوات عملها الأولى منهاجاً قائماً على أساس مفاهيم مبسطه من الحساب والمحاسبة والعلوم التطبيقية(**المهنية**) والتاريخ والجغرافية، فضلاً عن اللغة الفرنسية إلى جانب دراسة العلوم الدينية التي لها علاقة بالديانة اليهودية[5]. واللغة العبرية التي فرضتها الظروف المحيطة

---

[1] Poul Domant , op. cit., p. 220.

[2] ميخال أفيطبول، المصدر السابق، ص94.

[3] سيجري مناقشة موضوع دراسة اللغات في مدارس الأليانس في بحث مستقل.

[4] David Solomon Sassoon, op. cit., p. 171.

[5] يبدو أن قلة المعلومات وتناثرها في المصادر، قد جعلت الكثير من الكتاب يتركون العنان لخيالاتهم في الإشارة للأحداث التاريخية فيما يتعلق بمدارس الأليانس.فعلى سبيل المثال، يشير الكاتب يعقوب يوسف كوريه إلا أن الأليانس:(**عملت أولاً على تخصيص حصص دراسية لتعليم الكتب الدينية عند اليهود والتبشير**

بالطائفة آنذاك. وبمرور الوقت، بدء يتصاعد مستوى البرنامج التعليمي كلما وجدت الأليانس هناك حاجة لتطويره بما يتلاءم مع المتغيرات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية التي كانت تشهدها الطائفة[1].

لقد أعطى التطور الطبيعي الذي شهدته المناهج الدراسية في مدارس الأليانس صفة النضوج والتكامل، لأنها كانت تقوم على أساس عال من العلوم بشتى صنوفها الصرفة والاجتماعية والتطبيقية.فلا نستغرب حينما نسمع عن تدريس علم الهندسة والجبر والفيزياء والكيمياء والطبيعيات والرياضيات والأحياء إلى جانب تدريس التاريخ والجغرافية[2].وهي بذلك أرادت أن تمكن طلبتها من الحصول على معرفة شاملة وان كانت مبسطة[3]. وبذلك كان الزمن وحده كفيلاً في أن تحتوي سجلات مدارس الأليانس على الكم المتزايد من الدروس بما يتلاءم مع اتساع مستوى الدراسة فيها لتشمل مرحلتي الدراسة الرشدية والإعدادية[4].

ومع التطور الذي شهدته حياة الطائفة اليهودية في العراق خلال النصف الأول من القرن الماضي لم يكن مستغرباً أن يتم إضافة دروس لها علاقة مع حالة الرقي الاجتماعي والثقافي لليهودي، تغطي الأنشطة الفنية كالمسرح والموسيقى والغناء والرياضة بشتى أشكالها وأنواعها[5].

بمفاهيمها خاصة التلمود، كما خصصت حصصاً أخرى لتدريس التوراة) لو كان توجه الأليانس هكذا، إذن لماذا عارضتها المؤسسة الدينية،والأكثر من هذا لكان يهود العراق اكتفوا بما كان متوفر عندهم من مؤسسات تعليمية يهودية، وهي على مستوى عال جداً من السمعة والرقي. ينظر/ يعقوب يوسف كوريه، المصدر السابق، ص65.

(1) Polat Haydar Oglu, op. cit., p185-186.

(2) **انظر جدول رقـم(11)**

(3) The Jewish Encyclopidia, vol.1, p. 420.

(4) Encyclopidia Judiaca, vol.8, p. 1301.

(5) David solomon sassoon, op. cit, p. 171;137 بدر مصطفى عباس، المصدر السابق، ص

جدول رقـم(11)

الدروس المقررة في مدارس الأليانس

ثانوي وابتدائي/بنيـن وبنـات

ثانوي بنيـن	ثانوي بنـات	ابتدائي
اللغة الفرنسية	اللغة الفرنسية	اللغة الفرنسية
اللغة العربية	اللغة العربية	اللغة العربية
اللغة الإنكليزية	اللغة العبرية	اللغة العبرية
اللغة التركية	علم الأشياء	مبادئ الحساب
اللغة العبرية	جغرافية	جغرافية
ترجمة F/A	علوم رياضية	تاريخ
علم الأشياء	تاريخ	العلوم الدينية
جغرافية	الكيمياء	الأعمال اليدوية**
علوم رياضية	الرسم	الأعمال المنزلية**
تاريخ	الأعمال اليدوية	-
أصول مسك الدفاتر	الأعمال المنزلية	-
الرسم	العلوم الدينية	-

(* *) تدريبات خاصة بالفتيات.

العلوم الدينية	-	-
العلوم التطبيقية*	-	-

واما فيما يخص الفتيات، فقد نالت المناهج الخاصة بهن عناية مميزة بعض الشي، أذ أخذت بعين الاعتبار استجابتها للارتقاء بقدراتهن الذاتية. وجاءت هذه العناية من نظرة المجتمع للبنت إذ كانت نظرة ازدراء. لذا وجدت الأليانس بأنه لا يمكن للفتاة اليهودية في أن تحظى بالمكانة التي يجب أن تحتلها ما لم تصبح بدرجة مساوية للرجل في المعرفة والثقافة[1]. لذا جرى التركيز في مدارس البنات على تعليمهن كل ما يمكن أن يطور من إمكانياتهن الذاتية ويجعلهن ذوات اثر في مجتمعهن. فإلى جانب اللغات والعلوم المختلفة أدخلت دروس تنمي من قدراتهن كالحياكة والخياطة وصناعة اللوازم المنزلية، فضلاً عن كل ماله علاقة بتدبير الشؤون المنزلية،، لكي تكون امرأة عصرية[2].

خلقت هذه الرعاية الاستثنائية من جانب الأليانس بمناهج مدارس البنات حافزاً للآباء على إلحاق بناتهم في الأليانس للاستفادة مما تقدمه من فائدة بما يضمن لهن مستقبلاً افضل مما هن عليه. كما انه في ذات الوقت، كانت خطوة مؤثرة في تطور عقلية يهود العراق في إدراك أهمية التعليم عبر غرس روحية حب العلم والتعلم في نفوس الأمهات التي سوف تنتقل تلقائياً إلى نفوس أطفالهن، بما يعني مستقبلاً جيداً ينتظرهم[3].

(*) المهن التي كانت تعلم لطلبة الأليانس.

(1) The Jewish Encyclopidea, vol. 1, 420.

(2) بدر مصطفى عباس، المصدر السابق،ص139.

(3) **توفيق شاؤول سوفير**، مقابلة في 2001/5/17 .

لم تكن مسالة تطور المناهج الدراسية المتبعة في مدارس الأليانس لتأخذ مجراها الطبيعي من دون معوقات.وكاد عدم اعتياد طلبتها في بغداد على هكذا نوعية من المناهج أن يكون المعوق الوحيد، مما شكل ضغطاً كبيراً عليهم. وكان لكثافة الدروس التي يتلقاها الطلبة خلال اليوم الواحد، فضلاً عن عدم معرفتهم باللغة الفرنسية بما يؤهلهم على استيعاب الدروس التي يتلقوها من أساتذتهم الفرنسيين، أثارها السلبية على سمعة المدرسة، خاصة عندما أخذت معدلات النجاح تعرف انخفاضاً مستمراً. وانعكس ذلك في تراجع مستوى الإقبال نتيجة امتناع بعض الآباء عن إرسال أبنائهم إلى المدرسة في أواخر عقد الثمانينات من القرن التاسع عشر الميلادي؛ وذلك لكثرة شكوى الطلبة من صعوبة الدراسة فيها. وقد أثار ذلك استغراب جريدة الزوراء، فأعربت عن دهشتها في تفضيل إرسال الأباء لأبنائهم إلى المدارس التقليدية من دون إرسالهم إلى الأليانس[1].ويعزو الكاتب **نسيم رجوان** سبب هذا التراجع في معدلات إقبال الطلبة للضغط النفسي الكبير الذي يحدثه منهاج المدرسة على الطلبة، لكثافته وصعوبته ، في إحجامهم عن الأنتظام في الذهاب إلى المدرسة[2].

وجد أنصار التيار المستنير،الذي يدعم الأليانس في بغداد، في ارتفاع معدلات الرسوب بين الطلبة وانخفاض إقبال الطلبة على الالتحاق بالمدرسة خطراً قد يهدد تجربة الأليانس، بعدما تجاوزت كل الصعاب السابقة التي اعترضت وجودها. ولابد من إيجاد مخرج من هذا المأزق التي هي فيه. ومن هذا المنطلق فاتحوا قيادة الأليانس مطالبين إياها بضرورة إعادة النظر في المنهاج الدراسي الذي تتبعه المدرسة والذي لم يعتد عليه الطلبة لصعوبته[3]. مذكريهم بان أنصار التيار الديني المحافظ اخذوا يشددون من ضغطهم عبر الدعاية المعارضة للمدرسة وتحريض الآباء على عدم إرسال أبنائهم للمدرسة مدعين أن ذلك لايجدي نفعاً، ومضيعة للوقت[4].

لكن الذي حدث هو رفض قيادة الأليانس الاستجابة لهذا المطلب، واعتبرت في ذات الوقت أن أي تراجع في هذا الاتجاه يعني عرقلة للخطوات التي حددتها الجمعية بخصوص النهوض

---

[1] **جريدة الزوراء** ، العدد 433 في 20 **صفر** 1289هـ/1872م.

[2] Nissim Rejwan, op,cit, p. 187.

[3] Ibid, p.187.

[4] ميخال افيطبول، المصدر السابق، ص182.

بالمستوى الاجتماعي والثقافي لليهود. وقد أبلغتهم بان ما يجري تعليمه للطلبة، لاسيما اللغات، ضرورية ومطلوبة في مناطق الشرق من اجل كسر حاجز العزلة النفسية والثقافية التي تقوقع فيها اليهود بما يؤمن لهم مستقبلاً افضل مما هم عليه[1]. إزاء هذا الموقف من جانب قيادة الأليانس وقناعة مؤيديها بأهمية الرؤية التي تتبناها، وجدت دعماً إضافياً لها في اجتياز هذا الظرف الاستثنائي الذي فرض عليها. وبهذا التعاضد تمكنت الأليانس من تحقيق الأهم، كما أكدت على مدى السنوات تلت هذه الأزمه انتقال الطائفة اليهودية في العراق من حالة الانغلاق والتخلف إلى حالة متصاعدة من التطور والتغيير ظهرت نتائجه بشكل لا يقبل الشك طوال النصف الأول من القرن الماضي[2].

وفي إطار الحديث عن الحداثة والتجديد في مجال المناهج الدراسية، لابد من الإشارة هنا، إلى كون الأليانس أول من أبدى عناية بالتعليم المهني وادخله ضمن مناهجها الدراسية. أذ اردات من وراء هذه الخطوة تغيير توجه الطوائف نحو العمل الحرفي المنتج على العكس من المهن التي عرفوا بها كأعمال الصيرفة والمال،لأنها تعجل في سرعة الاندماج في مجتمعاتهم[3]. وهي في ذات الوقت جزء من مخطط يهدف إلى مواجهة الإغراء المادي من جانب الإرساليات التبشيرية،لقد وجدت، الأليانس، أن افضل السبل التي تستطيع من خلالها تحسين الوضع المادي لفقراء اليهود هو تطور مهاراتهم بما يمكنهم من كسب قوتهم اليومي من دون صعوبة أو معاناة. وهي بذلك تتمكن من إبعادهم عن تأثير النشاط الخيري الذي يتخفى من وراءه المبشرون المسيح بهدف تنصيرهم[4].

لم يُثْن ضيق مبنى المدرسة عن استيعاب الورشات المناسبة الأليانس من تنفيذ منهاجها المهني. فقد أهتدت إلى فكرة، تقوم على أساس الاتفاق مع أصحاب الورش من يهود المدينة بالقيام بمهمة تدريب الطلبة على نفقتها مع متابعة وأشراف مباشر من قبل مدير الأليانس شخصياً[5]. ولم تكتف عند هذا الحد، وإنما تكفلت بتحمل نفقات الملبس والمأكل وكل ما يحفزهم

---

[1] Nissim Rejwan, op. cit, p.187.

[2] **مجلة المصباح**، العدد 29 في3 /1924/10.

[3] Narcess Leven, op. cit, p. 291.

[4] الكسندر اداموف، المصدر السابق،ص235.

[5] Narcess Leven, op. cit, p. 291; Nissim Rejwan,op. cit, p. 190.

على استيعاب هذه الدروس بشكل جيد[1]. وعلى الرغم من الضغط الذي شكله هذا التدريب على الطلبة وقضائهم اغلب ساعات النهار في الدراسة، إلا أنها وجدت إقبالا وتفاعلاً منهم مع هذه الخطوة، لاسيما الطلبة من ذوي القدرات الذهنية الضعيفة من الاستفادة من هذه التدريبات المجانية التي توفرها الأليانس لتعينهم على رسم مستقبل افضل[2].

احدث انتقال مدرسة الأليانس إلى بنايتها الجديدة عام 1874م نقله نوعية في تطور مستوى التعليم المهني. فبعدما كانت التدريبات تجري على شكل دورات مصغرة ومحدودة، اصبحت تتم بشكل دائم، وعلى مدار السنة. وبعد إنشاء ورشات خاصة بها يتولى التدريب فيها امهر الحرفيين اليهود. أضف إلى ذلك ربط التدريب، بدروس نظرية لتسهل من استيعاب الطلبة للتدريبات التي يتلقونها. على اثر ذلك نجد الطلبة من يتدرب على حرفة النجارة أو الحدادة أو صناعة الأحذية أو الصياغة أو صناعة السجاد وغيرها من المهن المنتشرة آنذاك[3].وقد بلغ عدد المجامع المهنية في عام1881م، في إطار التعليـم المهني، قرابـة 22 مجموعة[4].

لقد ساهم اتساع حجم التعليم المهني، الذي كرست له الأليانس الكثير من الإمكانيات المادية والمعنوية، في كسب ثقة أبناء الطائفة اليهودية واقتناع المتشككين منهم بأنها تعمل على تطوير قدراتهم الذاتية سعياً لحياة افضل مما هم عليها.وعبر جسور الثقة والرغبة المشتركة هذه، لم تتوان الأليانس من الإقدام على خطوة جريئة في وقتها،أذ افتتحت مؤسسة تعليمية للبنات عام 1890م عنيت بالتدريبات المهنية[5]. وجرى التركيز فيها على تعليمهن ما يطور من قدراتهن الذاتية عبر امتلاك خبرات أولية في بعض المهن التي تتناسب مع قابلياتهن.

وبعد افتتاح مدرسة الأليانس للبنات ألحقت هذه المؤسسة بالمدرسة، لتتمكن الأخيرة من توحيد الجهود وتقديم كافة الخدمات التي تمكن الطالبات من امتلاك القدرات العلمية والثقافية وحتى المهنية. وأمام إحساس الأليانس بأهمية دور المرأة في المجتمع، فان التعليم المهني

---

(1) الكسندر ادdespite اداموف، المصدر السابق، ص236.

(2) Zvi Yehuda, op. cit, p.65;Polat Haydrogin, op. cit, p.187.

(3) الكسندر اداموف، المصدر السابق، ص236.

(4) Polat Haydarglu, op. cit, p. 187.

(5) Nissim Rejwan, op. cit, p.195.

الخاص بالفتيات قد لقي اهتماماً متزايداً جعلها تقدم على افتتاح مشغل كبير ضمن مدرسة البنات عام 1895م [1].

لم يتوقف اهتمام الأليانس بالتعليم المهني للفتيات عند تلك حدود، وانما لم تترك فرصة مواتية حتى استثمرتها سعياً منها في الارتقاء بحياة يهود العراق. فعلى سبيل المثال اصبح المشغل الذي ألحقته من قبل بمدرسة البنات مطلع القرن العشرين معهداً مستقلاً حاز على شهرة واسعة في بغداد. وكان يعرف باسم (**معهد لورا خضوري**) بناءا على رغبة المتبرع اليهودي **اليعازر خضوري**[2]. وقد نجح هذا المعهد في تقديم خدمات كبيرة للفتيات اليهوديات فيما يخص تعليمهن مهن كثيرة مثل: الخياطة ،التطريز ،الصناعات المنزلية وبعض الحرف التي تتلاءم مع قدراتهن الجسدية فضلاً عن الأعمال المنزلية. وقد كن حريصات على المواظبة وحضور الدروس التي تقدم فيه[3].

بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى وزوال الحكم العثماني القائم على أساس التخلف الاجتماعي والاقتصادي في العراق، ومجيء بريطانيا المستعمر الجديد الذي سعى لاستغلال موارده، فضلاً عن نشره الثقافة والتقاليد الغربية بهدف تغريب المجتمع العراق عن واقعة العربي الإسلامي، فتحت الأبواب مشرعه أمام الطائفة اليهودية لترتشف من هذه الثقافة بما يؤمن لها فرص نجاح جديدة.

لقد كانت مدارس الأليانس في العراق مرآة تعكس حالة الانسلاخ التي أخذت تعيشها الطائفة اليهودية من واقعها الشرقي لتتبنى الحياة والسلوك الاجتماعي الغربي[4]، فلم تعد مناهج الأليانس، لاسيما مدارس بغداد، تقتصر على الدروس العلمية والاجتماعية واللغات والتعليم المهني، وإنما أضيفت لها دروس أخرى تعكس جوانب من حالة الرقي الاجتماعي والرخاء الاقتصادي بما يحاكي الثقافة الغربية[5].

---

(1) الكسندر ادamوف، المصدر السابق، ص236.

(2) تقرير عن المدارس الإسرائيلية، ص5.

(3) **توفيق شاؤول سوفير**، مقابلة في 2001/7/23.

(4) ميخال افيطبول، المصدر السابق، ص65.

(5) Abdulwahad Abbas Al-Qaysi, op.cit, p.181.

من هنا، لم يعد مستغرباً أن تحتوي المناهج دروساً في تعليم الموسيقى والرقص والمسرح وإقامة الأنشطة العامة التي تروج لهذا التوجه، وهي بطبيعة الحال تعكس انفتاح هذه الطائفة على حياة جديدة تختلف عما كانت تعيشه[1].

وانعكس هذا التغيير على سلوك الفتيات اليهوديات حيث اصبحن اكثر انفتاحاً وتحرراً من بقية الفتيات الأخريات. وهذا الاندماج ساهم في أن يدخلن مجالات كانت العادات والتقاليد تحول دون ولوجها[2].

وفي سياق الحديث عن التمييز الذي حازته الأليانس فيما يخص المناهج الدراسية التي اتبعتها، لابد من الإشارة هنا إلى؛ أنها أولت اللغة الفرنسية اهتماماً كبيراً. وفي هذا الاتجاه، أقرت منهاجاً خاصاً بالفرنسية يحصل من يجتـازه في نهاية السنة الأولى رشدية على شهـادة(**شهادة الدراسة Certificat d'Etudes**).وفي نهاية السنة الأخيرة من الدراسة الرشدية يحصل الطالب على شهادة(**العضوية الخاصة Brevet Elémentaire**). وكان على الراغبين في اجتياز هذا المنهاج البقاء سنة إضافية في المرحلة الابتدائية لكي يتمكنوا من استيعابه[3]. وكان الطلبة المتميزون في دراستهم يرشحون للدراسة في المعاهد الفرنسية، أسوة بطلبة المدارس التي أسستها البعثات التبشيرية الفرنسية في العراق[4].

مما سبق، يمكن القول أن المناهج الدراسية التي اتبعتها مدارس الأليانس في العراق كانت اكثر تقدماً، مما كان في بقية المدارس الأخرى،لأنها اتصفت بالشمول وتلبيتها لمتطلبات الحياة اليومية[5].

---

[1] فاضل البراك، المصدر السابق، ص305.

يرجع ليهود بغداد الفضل في نشر الفنون المسرحية عبر تشكل فرق تمثيل مسرحية قدمت اعمال مسرحية عالميةوحققت نجاحاً كبيراً آنذاك. ينظر/ **مجلة الصباح**، العدد11 في1924/6/19.

[2] **الأستاذ نعيم شهرباني** ،مقابلة في 2001/4/24.

[3] تقرير عن المدارس الإسرائيلية، ص4.

[4] رودريك مايثوس ومتي عقراوي ، **التربية في الشرق الأوسط العربي**، بيروت، د.ت، ص16.

[5] Slyvia Haim, op.cit, p. 190.

وكتب أيلي خضوري يصف مناهج الأليانس قائلاً: " **إن المناهج التربوية التي أدخلتها كانت بإيحاء من النظام التربوي الفرنسي. وكانت أهم هذه المناهج كفوءه على نحـو استثنائي**" [1].وهناك شهادة على تميز التعليم في مدارس الإليانس صدرت من شخصية تربوية معاصرة، وهو سليمان فيضي، الذي أشار إلى تفوق هذه المدارس فيما تقدمه من تعليم يفوق التعليم الحكومي أيام العثمانيين[2].

إن الشهرة التعليمية التي حققتها مدارس الأليانس في العراق لم تأت اعتباطاً، وإنما جاءت بما امتازت به من جدية ودقة في تنفيذ مقررات مناهجها الدراسية عبر اعتمادها على كتب منهجية معدة لهذا الغرض إلى جانب تواجد هيئات تدريسية كان اغلبها على مستوى عال من الكفاءة والخبرة.

ثانياً ـ تعليـم اللغـات :

أولت قيادة الأليانس مسالة إدخال تعليم اللغات اهتماماً كبيراً إلى جانب العلـوم الـصرفة والاجتماعية في مناهجها الدراسية. وأكدت أهمية ذلك في مناسبات عدة، وعدت إتقانها أمـراً لا يقل أهمية عن حصول الطلبة على العلوم الأخرى، لما في ذلك من اثر إيجـابي فـي تطـوير حياتهم بشتى جوانبها[3]. وبطبيعة الحال، لم يكن إدخال هذه اللغات قد جرى دفعة واحدة، وإنمـا جاءت حسب الظروف التي دفعتها،أي الاليانس ، لإدخال كل واحد منها في مناهجها الدراسـية.

---

[1] Elie kedourie , op.cit, p.355.

[2] سليمان فيضي، **مذكرات سليمان فيض في غمرة النضال**، بيروت، 1947، ط4، ص62.

[3] Encyclopaedia Judaica, vol. 8, p. 1299.

من هنا كان لابد من تتبع دراسة هذه اللغات لمعرفة الدوافع التي حركت إدارة الأليـانس فـي إدخالها ضمن مناهجها الدراسية:

1 – اللغة الفرنسية:

نالت اللغة الفرنسية حصة الأسد من الاهتمام فاقت أي لغة أخرى. فقد عدها قياديو الأليانس لغة العصر والحضارة التي لا تباري نظراً لهويتهـا الفرنسية،أي الجمعية(1). فأتخذوها، أي اللغـة الفرنسية، لغة التدريس والتخاطب داخل أروقة مدارسها(2).وبذلك اعتبرت مدارس الأليانس أداة من أدوات الدعاية للغة والثقافة الفرنسية بين أوساط يهود العراق(3)، لا سيما أن إدارة الأليانس لم تتردد في توفير كافة المستلزمات التي تمكن طلبتها من إتقانها بسرعة، خصوصاً خلال سنوات عملها في النصف الثاني من القرن التاسع عشر(4).ومن مظاهر شيوع الطابع الفرنسي في مدارس الأليانس إصرار إداراتها على إلزام الطلبة قراءة نشيد (**المارسليز**)، وهو النشيد الوطني الفرنسي، في التعداد الصباحي (5).

ويتضح الوفاء للغة الفرنسية من جانب الأليانس في إصرار مدراءها على مدى سنوات عملها على إلقاء خطبهم في الاحتفالات والمناسبات التي تقام في مدارسها باللغة الفرنسية(6). ولم ينقطع ذلك حتى بعد الاحتلال البريطاني للعراق وقيام الحكم الوطني فيه، وما أعقب ذلك من مساندة الحكومة العراقية لمسالة إدخال اللغة الإنجليزية كلغة ثانوية في مدارسها، والذي جاء متوافقاً مع توجهاتها نحو الثقافة الأنجلو سكسونية التي كانت سائدة من قبل(7).فقد كانت اللغة

---

(1)Poul Domant, op. cit, p. 226.

(2) Sylvia Haim, **Aspects of Jewish Life in Baghdad Under The Monarchy**, in : Middle Eastern Studies, vol.twelvp , no. 2, may 1976, london, p. 189 ;

داود سمره، المصدر السابق، ص 11.

(3) ساطع الحصري، المصدر السابق، ص164.

(4) Sara Manasseh**, Aspects of Bapyloonian jewish life**, In Internet : www.midrash.Ory/ babyloniand news letters/ archive 09/ p.03. html

(5) شريف يوسف، المصدر السابق، ص 49.

(6) Rachel Mahlab- Goren, **The Late Jacob Mahlab** ; In Internet : www.dangoor.com/ page22/html.

علما بان **يعقوب مهلاب** كان قد عمل في الاليانس في العراق قرابة الـ **45** عاما بدء كمحاسب ثم رقيه الى منصب نائب مدير الاليانس في العراق. وهو من خريجي معهد الاليانس في باريس.

الفرنسية قبل الاحتلال تتمتع باهتمام من جانب فئات كثيرة في المجتمع العراقي لأنها لغة الاقتصاد ومفضلة من جانب السلطات العثمانية آنذاك[1].

لقد تمكن يهود العراق بفضل الجهود التي بذلتها الأليانس في إطار نشر اللغة الفرنسية، من إتقان هذه اللغة قراءة وكتابة. ففي غضون عقود قليلة من العمل تزايدت بشكل كبير أعداد الناطقين بها من اليهود. أن هذه الفرنسة للطائفة اليهودية لم تشجع على نشر الثقافة الفرنسية في العراق فحسب، بل أتاحت لعدد كبير منهم المشاركة بصورة اكثر فاعلية في الحياة الاقتصادية للبلاد على سبيل المثال[2]. في هذا الاتجاه ، حظي العديد من اليهود العراقيين بتكريم الحكومة الفرنسية نظرا لقدراتهم العالية في مجال إتقان اللغة الفرنسية والعمل على نشرها بين أوساط اليهود ، كما هو الحال مع اليهودي العراقي يعقوب مهلاب الذي نال في أواخر العقد الخامس من القرن الماضي وسام جوقة الشرف الفرنسي، وذلك نظرا للخدمات التي قدمها في تطوير مستوى تعليم اللغة الفرنسية في مدارس اللأليانس في العراق[3].

لم تستمر الأليانس في الترويج لصالح اللغة والثقافة الفرنسية بعد الإجراءات التي بدأت تتخذها السلطات المعارف العراقية منذ أواسط العقد الثالث من القرن الماضي باتجاه تعريب المؤسسات التعليمية في العراق، وتوحيد المناهج بما يخدم مصلحة الطلبة والبلد معاً. وقد ألزمت مدارس الأليانس، مثل بقية المدارس الأخرى، بان تكون لغة التدريس هي اللغة العربية. وخصصت وزارة المعارف عدداً من المعلمين لتعليم الهيئات التدريسية العاملة فيها اللغة العربية[4]، لاسيما أن أغلب هؤلاء كانوا من الفرنسيين أو خريجي المعاهد الفرنسية المتشبعين بالثقافة الفرنسية[5]. وبمرور الوقت، وبفعل هذه الإجراءات، شهدت اللغة الفرنسية تراجعاً ملموساً

---

(7) غانم سعيد العبيدي، المصدر السابق، ص75.

(1) جميل موسى النجار، المصدر السابق، ص147؛ عبد الرزاق الحسني، **ثورة النجف...بعد مقتل حاكمها الكابتن مارشال**، بغداد، 1982، ط5، ص127.

(2) Narceess Leven, op .cit., p. 165 ; Sara Manasseh, **Aspects of Bapyloonian jewish life**, In Internet : www.midrash.Ory/ babyloniand news letters/ archive 09/ p.03. html

(3) ينظر على سبيل المثال:
Rachel Mahlab- Goren, **The Late Jacob Mahlab** ; In Internet : www.dangoor.com/ page22/html

(4) **مجلة المصباح**، العدد 30 في 1924/11/3.

(5) Paul Domant , op. cit., P. 189.

لتحل محلها اللغة العربية كلغة تدريس وتخاطب بين الطلبة داخل أروقة مدارسها[1]. وليس هذا فحسب، وإنما فقدت مكانتها كلغة ثانوية تعلم في المدارس أمام اللغة الإنكليزية[2].

2 – اللغة العربية:

لم يَعْنِ القول بـ: حلول اللغة العربية محل اللغة الفرنسية، كلغة تدريس وتخاطب في مدارس الأليانس في العراق، من أنها كانت لغة مهملة من قبل. فقد كانت اللغة العربية من اللغات التي حرصت قيادة الأليانس على تدريسها في مدارسها لأبناء الطائفة اليهودية في العراق لأنها اللغة الأم. ويظهر الاهتمام بهذه اللغة في تعليق كتبه صحفي بريطاني زار مدرسة الأليانس في بغداد، يدعى **كراتن جيري Grattan Geary**[3]،عام 1878م، حيث جاء فيه:"**...كانت العربية هي اللسان الأم ليهود بغداد.وتعلم التلاميذ كيف يكتبـون ويتحدثـون بتلك اللغة قواعدياً** " [4]. وهذا ما لم تقم به المدارس الحكومية في عهد الدولة العثمانية، التي أصرت على أن تكون اللغة التركية هي لغة التعليم في مدارسها[5]. إن الدافع الذي حرك الأليانس في إدخال تدريس اللغة العربية في مناهجها منذ سنوات عملها الأولى، نابع من قناعتها التامة بأنها لغة البلاد التي لا يمكن الاستغناء عنها[6]. أضف إلى ذلك أن إدارة الأليانس وجدت في تطوير قدرات يهود العراق في إتقان اللغة العربية يسهل من مهمة اندماجهم في ثنايا المجتمع المحلي، لاسيما أن إتقان هذه اللغة في ظل انتشار الأمية والجهل سوف يزيد من أهمية هؤلاء اكثر فاكثر، ويعزز من فرص ثرائهم اكثر. ولم تكتفِ إدارة الأليانس عند هذا الحد من الاهتمام، وإنما خطت خطوة جريئة آنذاك،عندما تم إدراج تدريس مادة الترجمة(**الفرنسية/العربية**)ضمن

---

[1] Sylvia Haim , op. cit., P. 189.

[2] **توفيق شاؤول سوفير** ، مقابلة في 2001/7/23.

[3] صحفي بريطاني كان يعمل في صحيفة ألتا يمز (**Times**) زار بغداد عام1878، ومن بين الأماكن التي زارها في بغداد كانت مدرسة الأليانس.

[4] Elie kedourie, **The Jews of Baghdad in 1910** : Middle Eastern Studies, Vol. 7, no. 3, October 1971, London, p. 355.

[5] داود سمره، المصدر السابق، ص12.

[6] في نفس الوقت الذي خطت فيه الأليانس خطوتها الاولى في إدخال تـدريس اللغـة العربيـة ضـمن مناهجها، كانت السلطات العثمانية تسعى جاهدة لترويج اللغة التركية وجعلها لغة الإدارة والمجتمع على العكس مما كان يرغب به اهل البلاد .

مناهجها بما يعزز من كفاءة الطلبة في إتقان هاتين اللغتين والربط بينهما بشكل سلس[1]. وهذه الخطوة بحد ذاتها تدل دلالة واضحة على إتقان الطلبة اليهود للغة العربية بما يمكنهم من الترجمة من والى اللغة الفرنسية.

وساهم تدريس اللغة العربية في مدارس الأليانس في سهولة تنفيذ قرار وزارة المعارف العراقية بخصوص جعل اللغة العربية هي لغة التدريس في كافة المدارس العاملة في العراق، حيث لم يجد طلبة الأليانس صعوبة في الاستجابة لهذا التغيير، لأنهم اعتادوا التعامل بها في حياتهم اليومية، فضلاً عن دراستها في مدارسهم ، وكان ذلك على العكس من معلميهم من ذوي الثقافة الفرنسية، الذين شعروا بصعوبة التحول، لأنهم لم يكونوا يجيدون اللغة العربية[2].

3- اللغة الإنكليزية:

حظيت مسألة تدريس اللغة الإنكليزية في مدارس الأليانس في العراق بالاهتمام من جانب إدارتها، ما دام ذلك ينصب في خدمة الطائفة اليهودية. وقد أدخلت ضمن مناهجها لأول مرة مطلع العقد الثامن من القرن التاسع عشر[3]. لقد جاءت هذه الالتفاتة، استجابه للجهود التي بذلتها الجمعية الانكلويهودية[4]، عندما تعهدت بأن تأخذ على عاتقها تقديم التسهيلات الممكنة من اجل إدخالها كأحد الدروس التي يتلقاها الطلبة في مدارس الاليانس. وبطبيعة الحال جاء اهتمام الجمعية **الانكلويهودية** بدعم هذه الفكرة متوافقاً مع تزايد النفوذ البريطاني في العراق[5].

نال تدريس اللغة الإنكليزية في مدرسة الاليانس لأول مرة استجابة كبيرة من جانب الطلبة اليهود، شجع إدارتها على إقرارها كأحد الدروس بشكل دائم. وتمكن الكثير من الطلبة من إتقان

---

(1) **سالنامة ولاية بغداد**، السنة1318هـ/ 1900م، ص248؛ السنة 1323هـ/1905م، ص108.

(2) **م. و. م**، ملفه رقم 167/12/5، اسم الملف/ **المدارس الأجنبية لسنة 1925**، تقرير مدير التفتيش الى مدير المعارف العام في1925/11/29.

(3) Elie Kedourie, op. cit, p. 355.

(4) سبق الإشارة إلى كون **الجمعية الانكلويهودية** كانت تعمل لصالح خدمة المصالح البريطانية فضلاً عن كونها تعمل ضمن مناطق نفوذها.

(5) الكسندر اداموف، المصدر السابق، ص236.

هذه اللغة بشكل متميز. وفي هذا الاتجاه، تشير الدكتورة **سلفيا حاييم** إلى كون جدها المدعـ ـو **أبراهام حاييم حاخام إسحاق** قد حصل على ميدالية تقديرية من **الميجرنيومن**[1] في نيسان/أفريل 1881م نظراً لكفاءَتِهِ العاليـة وإلمامه بقواعد اللغة[2].

ونظراً لتزايد أهمية العراق في الستراتيجية البريطانية، تحرك موظفو القنصلية البريطانية في بغداد بكل الاتجاهات للعمل على تعزيز النفوذ البريطاني في العراق، ومواجهة أي محاولة من الدول الاستعمارية الأخرى في أن تجد لها موطئ قدم على حساب مصالحهم. وفي إطار هذا التوجه، ترسخت قناعة تامة لدى هؤلاء بأهمية الدور الذي تقوم به الطائفة اليهودية في العراق، لاسيما انهم أصبحوا يحتكرون أغلب الأنشطة الاقتصادية، وإمكانيات الاعتماد عليهم في ترسيخ نفوذهم في المنطقة. فبذل هؤلاء الموظفون منذ أواخر القرن التاسع عشر الميلادي جهوداً مكثفة لإقناع حكومة الهند البريطانية[3] بتقديم الدعم المادي والمعنوي للاليانس بما يخدم المصالح البريطانية في العراق بهدف توسيع قاعدة تعليم اللغة الإنكليزية فيها تمهيدا لنشر الثقافة **الانكلوسكسونية** [4].

لقد وجد مسؤولو القنصلية البريطانية في توسيع قاعدة تعليم اللغة الإنكليزية في الاليانس خطوة تستحق الرعاية والاهتمام. وليس هذا فحسب، وإنما خطوة لابد منها، لأنه سيجري ضرب عصفورين بحجر واحد، كما يقال، **الأول؛** أنها خطوة نحو تعزيز الدعاية لصالح الثقافة الانكلوسكونية. **والثاني؛** يدخل في إطار الصراع بين المصالح الفرنسية والبريطانية في العراق، إذا ما أخذنا بعين الاعتبار أن الجهود التي تبذلها الأليانس، عبر مدارسها، في نشر الثقافة واللغة الفرنسيتين في المنطقة التي عدها الإنكليز منطقة نفوذ خاصة بهم لابد من حرمان الآخرين من دخولها[5]. وهي القضية التي أثارها القنصل البريطاني في بغداد صراحةً في إحدى مراسلاته مع الحكومة الهند في إطار كشف الأساليب التي تحاول من خلالها فرنسا إيجاد موطئ قدم لها

---

[1] القنصل العام البريطاني في بغداد.

[2] Sylvia Haim, op.cit, p. 189.

[3] كان القنصل البريطاني في العراق مرتبط إدارياً بحكومة الهند البريطانية.

[4] Sylvia Haim, op. cit, p. 185

[5] عبد الوهاب المسيري، الاقليات اليهودية، ص107.

في العراق، عندما كتب يقول:" **ثمة سلاح آخر للنفوذ الفرنسي في العراق، وهو مدارس الاليانس الإسرائيلي العالمي في بغداد**" [1].

ومما زاد من قناعة مسؤولي القنصلية البريطانية في ضرورة توسيع تدريس اللغة الإنكليزية في مدارس الاليانس، تأييد الكثير من يهود العراق خطوة كهذه[2]، عبر تقديمهم طلبات بخصوص ذلك للقنصلية البريطانية. وقد علق القنصل البريطاني في بغداد على هذه الخطوة، قائلاً:" **يبدو أن مطلب تعليم الإنكليزية في تزايد، وقد قام أعضاء من الطائفة اليهودية بالإلحاح علي للطلب من حكومة الهند المساهمة في دفع نفقات مدرسي اللغة الإنكليزية، على أساس أن انتشار الإنكليزية سيكون ذا فائدة للتجارة الإنكليزية...أنا أظن أن حجتهم سليمة، لان كثيراً من التجارة في بغداد واقعة في أيدي اليهود**" [3]. وفي ضوء ذلك، كان إلحاح القنصل البريطاني على حكومة الهند في تقديم الدعم المادي لمدارس الاليانس ينصب في إطار الدعاية لصالح بريطانيا بين صفوف الطائفة اليهودية أولا، والمجتمع العراقي عموماً.

لم تكتف القنصلية البريطانية في بغداد على حث الدوائر البريطانية المختصة على دعـم الجهود التي تقوم بها الاليانس في إطار تعليم اللغة الإنكليزية في مدارسها، وإنما نجد في الاتجاه ذاته، الموظفين الإنكليز يشجعون ويساندون الجهود التي تقوم بها الجمعية الانكلويهودية الهادفة إلى دعم عملية توسيع قاعدة تعليم اللغة الإنكليزية في هذه المدارس من خلال تمويـل عمليـة إرسال المدرسين من لندن للقيام بمهام التدريـس[4]. فضلاً عن حثهم لجمعية على تقديم الـدعم المادي، لاسيما أنها كانت تتولى إدارة العديد من الأوقاف فـي العراق بما يمكنها مـن تغطيـة توجههـا هذا[5].

---

[1] **F.o.**371.346.9948(Tel:56), From major Ramsay **To** secretary of Government of India, Baghdad, 8th December 1905.

[2] نابع من تطور تجارتهم مع الشركات البريطانية وعملهم كوكلاء لهم في العراق.

[3] **F.o.**371.348.9199.(Tel:e.b.434), From major Ramsa **To** assistant secretary to Government of India, baghdad .5 February 1907.

[4] **F.o.**371. 348. 9945.(Tel: 487) From mr. Cartwright **To** sir Edward Grey, June 1, 1907.

[5] حامد مصطفى، **مدد الصهيونية من الأوقاف العراقية**؛ مجلة آفاق عربية، العدد9 السنة 1978 ، بغـداد، ص74.

يمكن تفسير الدعم الذي كان يقدمه البريطانيون لمدارس الاليانس على انه جزء من سياسة الغزل التي كانت تقوم بها بريطانيا تجاه الطوائف والاقليات ، ومنها الطائفة اليهودية، بهدف الاستفادة منها لترسيخ نفوذها في العراق. فقد أدرك البريطانيون المكانة الاقتصادية التي بدأت تعرف بها هذه الطائفة عبر سيطرتها على مفاصل حيوية من السوق العراقية،أضف إلى ذلك كان يوجد بين صفوفها من يحسب على انه من كبار الأثرياء حسب مقاييس تلك الحقبة[1].

وبعد الاحتلال البريطاني للعراق، على اثر دخول القوات البريطانية بغداد فـي 11 آذار/مارس 1917م، أبدى يهودها ترحيباً حاراً بالقوات الغازية[2]. وسرعان ما تحول هذا الترحيب إلى ولاء مطلق، في ذات الوقت شعر الإنكليز بأهمية إدامة هذا الولاء عبر تقدم مختلف أشكال الدعم لهم. ويتضح ذلك في تقرير الحاكم البريطاني في بغداد السير **برسي كوكس Sir Percy Cox** الذي أكـد: " **أن العناصر التي نحن بحاجة ماسة لتشجيعها هم أولا: الطائفة اليهودية في العراق** " [3]. وأكدتها بكل وضوح **المس بيل**، السكرتيرة الشرقية لدى الحاكم الملكي المدني البريطاني في العراق، في رسالة بعثتها إلى والدها في 25 تشرين الثاني/نوفمبر1917م، حيث كتبت تقول:" **سوف أقوم من الآن فصاعداً برعاية الطائفة اليهودية والتعرف اكثر على أحوال أفرادها... فليس هناك شك بان هؤلاء اليهود سيصبحون قوة كبرى هنا في يوم من الأيام** " [4].

وفي إطار الاهتمام والرعاية البريطانية بالطائفة اليهودية في العراق، نجد أن الاليانس نالت نصيبها من ذلك الاهتمام، عندما تركتها سلطات الاحتلال البريطاني تتمتع بحريتها في إدارة شؤونها من دون أي تدخل يذكر[5]. والأكثر من هذا، فقد حظيت بالدعم المادي الذي

---

[1] علي عبد القادر العبيدي ومحمد كامل محمد، **موقف بريطاني من النشاط الصهيوني في العراق خلال فترة الانتداب البريطاني 1920-1932**، مجلة دراسات تاريخيـة، العـدد2 لـسنة1999، بغـداد، ص57.

[2] حاييم كوهين، المصدر السابق، ص73.

[3] **F. o.** 371. 3307. E. 657, From Sir. P. Cox to f. o, April 22, 1918.

[4] مس بيل، **العراق في رسائل المس بيل** ، ترجمة: جعفر الخياط ، بغداد ، 1977، ص56 .

[5] غانم سعيد العبيدي، المصدر السابق، ص69.

ساهم ارتفاع معدلات الأشخاص المتعلمين من يهود العراق، بفضل جهود الاليانس في نشر التعليم الحديث، في تعزيز أواصر العلاقة بين الطرفين. فقد سد إليهود المتعلمين نقص الكوادر التي عانت منه

مكنها من تجاوزات ظروف الحرب التي كادت تحول دون استمرارها في مواصلة عملها[1]. ولكنها في ذات الوقت اشترطت عليها توسيع مستوى تعليم اللغة الإنكليزية. وعللوا ذلك في إطار الدعاية لصالح بريطانيا ومصالحها في العراق[2].

لم تقتصر الرعاية البريطانية لمدارس الاليانس عند حدود الدعم المادي فقط، وإنما حظيت مدارس الاليانس في بغداد، بزيارات تفقدية من جانب المسؤولين الإنكليز في مختلف المناسبات[3]. فقد زارها **الجنرال مود،** قائد القوات المحتلة لبغداد، وأقيم له حفل تكريم في مدرسة لورا خضوري يوم 14 تشرين الثاني/نوفمبر1917م، وألقت إحدى طالبات المدرسة كلمة ترحيب مكتوبة باللغة الإنكليزية امتدحت فيها الجنرال مود والبريطانيين جميعاً[4]. كما أنها عكست مدى التطور الذي حدث في إطار تعليم اللغة الإنكليزية. وقد عبر الجنرال مود عن إعجابه بقدرات الفتاة في استخدام مفردات هذه اللغة بالشكل السليم[5]. ونفس عبارة الإعجاب عبر عنها الحاكم العسكري البريطاني **الجنرال هوكر** عندما قام بزيارة مدرستين في بغداد يوم 28 كانون الثاني/فيفري 1918م. واثناء زيارته قام بامتحان الكثير من الطلبة في قواعد اللغة الإنكليزية[6]. كذلك زارها القائد العام للقوات البريطانية فـي العراق **الجنـرال مرشال** ونائب الحاكم العام **السير أرنولد ولسن** في يوم 19 آذار/مارس 1918م، وبعد إطلاعهما على مناهج تعليم اللغة الإنكليزية في المدارس عبرا عن إعجابهما بالأساليب المتطورة في تعليم الطلبة لما

الإدارة المدنية البريطانية خلال فترة الاحتلال، حيث عملوا في دوائر الجمارك والقضاء والمالية والشرطة ووظائف عمومية أخرى، أضف إلى ذلك ساهم إتقانهم للغة الإنكليزية بان عملوا كمترجمين أيضاً.ينظـر/ يوسف مئير، **خلف الصحراء... قصة الحركة السرية الطلائعية في العراق**، ترجمة:حلمي عبد الكريم الزغبي، بغداد، 1976، ص19.

[1] كان البريطانيون خلال فترة الاحتلال يكيلون بمكيالين تجاه أبناء العراق، فمن جهة كانوا يقدمون كل ما يستطيعون من خدمات ومساعدة لمدارس الاقليات. ومن جهة أخرى كانت سلطات الاحتلال تتذرع بشتى الأعذار وهي تقطع المساعدات عن مدارس المسلمين. وقد شكل هذا الأمر عبء على الأخيرة. ينظـر/ غانم سعيد العبيدي ، المصدر السابق ، ص82 .

[2] **F. o.** 371. 3307. E. 657.

[3] غانم سعيد العبيدي ، المصدر السابق ، ص 69.

[4] علي الوردي ، **لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث** ، ج4 ، بغداد ، 1968 ، ص300.

[5] **F. o.** 371. 3305. E. 657 ; **مجلة المصباح** ، العدد101 في 10/9/ 1926 .

[6] خلدون ناجي معروف، **جوانب من التعليم اليهودي في العراق**، ص60.

احتوته من وسائل مشوقة تشد الطلبة نحو معلميهم[1]. وهذا الإعجاب تحول إلى مطلب أساس لتغيير حياة يهود العراق، عبرت عنه المس بيل في أحد رسائلها، عندما إشارت إلى ضرورة أن تأخذ هذه اللغة دورها في تغيير أسلوب حياة الطائفة اليهودية[2].

لقد أعطى هذا الاهتمام في تطوير قابليات طلبة الاليانس في إتقان اللغة الإنكليزية نتائجه الإيجابية، عندما اصبح الحديث بها لا يشوبه أي خلل. ومما يدل على صحة ذلك، تقديمهم لبعض الأعمال الفنية المقتبسة من الأدب المسرحي الإنكليزي في الاحتفالات التي كانت تقيمها مدارس الاليانس[3]. وقد إشارت صحيفة العالم العربي، إلى أن إعجاب المسؤولين الإنكليز بإتقان الطلبة للإنكليزية جعلتهم يحرصون على دعم أنشطة هذه المدارس باستمرار، إلى جانب الدفاع عنها لدى السلطات العراقية[4]. ساهم تغلب الثقافة الانكلوسكونية في العراق، واحتلال اللغة الإنكليزية الموقع الأول كلغة أجنبية يجري التداول فيها محلياً، ولاسيما في التعاملات التجارية، في خلق قناعة لدى أعداد متزايدة من أبناء الطائفة اليهودية في العراق بضرورة أن تعيد الاليانس النظر في مسالة إصرارها على نشر اللغة الفرنسية والدعاية لها عبر إقرارها في مناهجها الدراسية على الرغم من تراجع مكانتها عالمياً. وقد عبرت مجلة **المصباح** عن هذا الرأي في أحد مقالاتها، عندما شنت هجومـاً لاذعـاً على إدارة الاليانس، حيـث كتبت تقـول:"**... الجمعية (تقصد الأليانس) لم تؤسس إلا لاستفادة الجمهور منها وتخفيف وطأة المشاق التي يعاونونها في سبيل الحصول على معيشتهم وليس قصدها تدريس لغة لا تجـد نفعاً في هذه البـلاد، لاسيما وان اللغة الإنكليزية قد عم انتشارها وأصبحت لغـة رائجـة** "[5].

ختاماً، لابد من القول بأنه: على الرغم من الأهمية التي احتلتها اللغة الإنكليزية في مناهج مدارس الاليانس، ألا أنها لم ترتق في يوم من الأيام لتغدو لغة التدريس فيها، فضلاً عن أنها، على الرغم من إتقان اليهود لها وكفاءتهم في استخدامها، لم تحل بأي حال من الأحوال محل

---

[1] المصدر نفسه، ص61.

[2] مس بيل، المصدر السابق، ص315.

[3] **مجلة المصباح**، العدد 24 في 29/ 8/1924.

[4] **صحيفة العالم العربي**(بغداد) العدد 680 في 1926/6/8؛ و العدد 682في 1926/6/11 .

[5] **مجلة المصباح**، العدد41 في 1925/3/12.

اللغة العربية كلغة حديث يومية لهم، كما حدث في لبنان ومصر على سبيل المثال[1]. وهو نفس الشي ينطبق على اللغة الفرنسية من قبل.

4- اللغـة العبـريـة:

ادخل تدريس اللغة العبرية ضمن مناهج مدارس الاليانس في العراق منذ افتتاح أول مدرسة لها ، ألا أنها لم تتعد اكثر من كونها لغة الدروس الخاصة بالعلوم الدينية اليهودية[2]. لقد جاءت عناية الاليانس باللغة العبرية والدروس الدينية لغرض مكافحة الدعاية التبشيرية من جانب الإرساليات التبشيرية المسيحية التي كانت تمارس ضد اليهود. فأرادت بذلك رفع الوعي الديني حتى لا يكونوا تحت تأثير هذه الدعاية[3]. إلى جانب ذلك، أرادت إضعاف الحجج التي استندت إليها الأطراف المعارضة لأنشطتها من كونها تسعى إلى إضعاف ارتباط اليهود بدينهم[4].

ترك استخدام اللغة العبرية كلغة للدروس الدينية انطباعاً خاطئاً لدى بعض الباحثين من كون الاليانس نحت منحى يدعم الحركة الصهيونية وأهدافها. فعلى سبيل المثال، يشير الدكتور فاضل البراك إلى كون مدارس الاليانس انفردت عن بقية المدارس اليهودية بإدخال تدريس مادة (**التاريخ اليهودي**) ضمن مناهجها التعليمية عام1920م[5]. وهذا غير صحيح، لان تدريس التاريخ اليهودي كان منذ البداية كجزء من العلوم الدينية التي يتم تدريسها باللغة العبرية [6]. وليس منذ عام 1920م كما يشير هو لذلك. وعلى هذا الأساس، يعلق الكاتب يعقوب يوسف كوريه، خطأ، عن جدوى هذه الخطوة، بقوله:" **ما هي الدوافع التي ألزمت تدريس هذه المادة**

---

(1) Sylvia Haim , op. Cit , p. 189.

(2) علي إبراهيم عبده وخيريه قاسميه، المصدر السابق، ص60.

(3) الكسندر ادdespite اداموف، المصدر السابق، ص235.

(4) أبرا هام بن يعقوب، المصدر السابق، ص75.

(5) فاضل البراك، المصدر السابق، ص46.

(6) **توفيق شاؤول سوفير**. مقابلة في 2001/3/27 .

وقد مر على تأسيس المدرسة ما يقارب الستين عاماً دون أن تتطرق في موادها التدريسية إلى التاريخ العبري" [1].

ولا بد من الإشارة هنا، إلى أن كلاً من الدكتور فاضل البراك ويعقوب يوسف لم يحددا المصادر التي استقوا منها هذه المعلومة. ومن خلال البحث والتدقيق لم نجد في المصادر التي درست تاريخ يهود العراق عموماً، و بغداد على وجه التحديد، ما يؤكد هذه المسالة من قريب أو بعيد.والطريف هنا، إن الحقبة التي يرجح البراك فيها إدخال تعليم التاريخ اليهودي لتوجهات صهيونية ،كانت الأليانس تخوض صراعاً وتتبادل الاتهامات مع الحركة الصهيونية، حيث اتهمت الجمعية بأنها كانت تعمل على إبعاد الطوائف اليهودية عن التوجهات والدعاية الصهيونية[2]. وما ينفي هذه العلاقة بين الاليانس والحركة الصهيونية، هو اعتراف مسؤولو الاليانس بأنهم قد أعطوا تعليمات مشددة إلى موظفيهم من مدراء ومعلمين تلزمهم بعدم التدخل بالشؤون التي قد تثير المشاكل بما يعرقل الدور الذي تسعى إليه، والقائم على أساس نشر التعليم الحديث[3]. وهذه التعليمات جسدها بدقة مدير مدرسة الاليانس في البصرة الذي حرض يهود المدينة ضد تحركات بعض الشبان اليهود تجاه إنشاء تنظيم صهيوني في المدينة[4]. وسرعة تعاملها مع موقف أحد مد رائها في بغداد الذي أبدى تعاطفاً مع الدعاية الصهيونية، عندما تقرر نقله من المدينة بسب ذلك[5].

لقد ذهب ميخال أفيطبول الى أبعد من ذلك، عندما أشار صراحة إلى ابتعاد مدارس الاليانس عن أي نشاط له علاقة بالصهيونية، فكتب يقول:" **إن التلاميذ اليهود في هذه المدارس لم يتلقوا أي مـواد تعليمية تؤهلهم للمساهمة فـي النشاط القومي(الصهيوني) أو التعاطـف معه** "[6]، وفي نفس الاتجاه هاجمت مجلة المصباح توجهات الاليانس في عدم عنايتها بالتثقيف القومي ونشر

---

(1) يعقوب يوسف كوريه، المصدر السابق، ص65.

(2) ميخال افيطبول، المصدر السابق، ص116.

(3) **انظر المبحث الاول من الفصل الاول.**

(4) حاييم كوهين، المصدر السابق، ص21.

(5) Nissim Rejwan, op. cit, 201; Hayyim Cohen, op. cit, p.cit, p. 120.

(6) ميخال افيطبول، المصدر السابق، ص80.

اللغة العبرية، مستنكرة محاولاتها في:" **تثبيت روح الانسلاخ والانفصال التام في نفوس الطلبة تجاه التزاماتهم الدينية وتراثهم الفكري والأدبي** " [1].

على أية حال، توقف تدريس اللغة العبرية في مدارس الاليانس أواسط الثلاثينات من القرن الماضي بسبب الإجراءات الحكومية[2]، نظراً لاستغلالها من جانب مبعوثي المنظمات الصهيونية كأداة من أدوات نشر الدعاية الصهيونية في العراق[3].

5 – اللغـة التـركيـة:

لم تجد اللغة التركية عناية على الرغم من اعتمادها من جانب إدارة الأليانس، ألا بقدر محدود جداً. فقد جاء إدراجها ضمن مناهجها منذ البداية[4]، لكن الوقائع تشير إلى عدم استجابة الطلبة لها لكونها لغة غريبة عنهم. ولكن، على ما يبدو؛ أن إصرار الاليانس في إلزام طلبتها بتعليم هذه اللغة نابع من كونها لغة الإدارة والحكم، وإتقانها يعني سهولة الحصول على الوظائف الحكومية.إن عدم استجابة الطلبة لهذه اللغة لا يمكن مقارنته بإتقانهم اللغة الفرنسية أو الإنكليزية، لأنهما كانتا مهمتين في حياتهم المهنية. ويؤكد **داود سمره** عدم إتقان الطلبة للغة التركية ومعاناتهم معها لاسيما قبل افتتاح القسم الثانوي في الاليانس، حيث كان يطلب من الراغبين بإكمال دراستهم الثانوية الالتحاق بالمدرسة الحكومية التي يدرس فيها باللغة التركية[5].

أما نحن فيمكن أن نعزو أسباب إهمال وتراجع مستوى تعليم اللغة التركية إلى استخدام معلمين محليين، حيث لم يكونوا مؤهلين علمياً لأداء عملهم بالشكل المطلوب. وهذا الأمر، ساهم في فقدان الحافز الذي يحتاجه الطالب عند دراسة أي لغة، كما هو الحال في دراسة اللغتين الفرنسية والإنكليزية[6].

---

[1] **مجلة المصباح**، العدد52 في 1925/5/29.

[2] Slyvia Haim, op.cit, p. 190.

[3] Marion Wolfsoon, op. cit, p. 145.

[4] Elie Kedourie, op. cit? P. 355.

[5] داود سمره، المصدر السابق، ص12.

[6] Poul Domant, op. cit, p. 227.

زادت قيمة اللغة التركية في مدارس الأليانس فجأة بعد تولي جماعة الاتحاد والترقي الحكم في الدولة العثمانية منذ عام1908م[1]، أي:عندما ألزمت كافة المدارس في الولايات العثمانية، بان تكون لغة الدراسـة فيها هي اللغـة التركية وفي سياق ماعـرف بـ:(**سياسة التتريك**)[2]. وعلى الرغم من عناية الأليانس بتدريس هذه اللغة في مدارسها بشكل أكبر مما كانت عليه من قبل، ألا أنها لم تكن لغة التدريس فيها مطلقاً، وذلك؛ لانشغال السلطات العثمانية بمشاكل أكبر وأصعب من متابعة أمر كهذا. وعلى إثر أندلاع الحرب العالمية الأولى واحتلال القوات البريطانية للعراق أنتهى الحكم العثماني نهائياً وبلا رجعة، رافقة توقف الدراسة باللغة التركية لانتهاء الأسباب التي كانت تدعو إلى ذلك.

خلاصة القول، نستطيع تلمس الأثر الذي تركته الأليانس في حياة يهود العراق، فإلى جانب رغبتها الكبيرة في إطلاع طلبتها من اليهود على كل ما هو حديث من علوم حديثه، فإنها نجحت أيضاً عبر اهتمامها بتعليم اللغات من فتح آفاق وحدود كانت مغلقة أمام خريجها من ذي قبل. وشكل هذا الانفتاح المتسارع فرص جديدة من الثراء والتطور الذي كان يسعى خلفه أبناء الطائفة اليهودية في حياتهم العملية. وبذلك تكون الأليانس قد نجحت في الارتقاء بهم نحو حياة افضل مما كانوا هم أنفسهم يتوقعونها.

---

(1) Sylvia Haim, op. cit, p. 189.

(2) Poul Domant, op. cit, p. 227.

ثالثاً: سير العمليـة التعليميـة:

عندما حددت الأليانس أهدافها، وجدت أن اقصر السبل لتحقيقها يكمن في إنشاء شبكة من المدارس الحديثة تعمل على تخريج جيل من الشباب اليهودي المتعلم تعليماً عصرياً يمكنه من خلال المعرفة التي يحملها من الارتقاء بأوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية والثقافية. وأدركت قيادة الأليانس أن نجاح مسعاها هذا لا يمكن أن يتحقق إلا عبر استقرار سير العملية التربوية، أي: ستكون مسألة النجاح النهاية الحتمية لما تقوم به من عمل والاستقرار هذا يستدعي توفير مستلزمات عدة يمكن حصرها فيما يلي:

1 – توفير المستلزمات الدراسية:

سعت إدارة الأليانس في بغداد منذ انطلاقتها الأولى في إطار تغير اوجه التعليم اليهودي الذي كان قائماً قبل افتتاح أول مدرسة لها في العراق إلى تهيئة كافة المستلزمات التي تمكنها في إنجاح تجربتها التي كانت تخوض غمارها في مجتمع أقل ما يمكن وصفه بأنه كان متخلفاً. وهذه المستلزمات أخذت أوجه عدة، بدءاً من تهيئة الكوادر التدريسية وانتظام مواعيد الدراسة عبر استقرار تقويمها الدراسي وصولاً إلى توفير الكتب وكافة الأمور التي تسهل من العملية التربوية فيها.

لقد أدركت الأليانس أن مسالة توفير كوادر تدريسية على قدر عال من الكفـاءة هـو بيت القصيد في نجاح أي مؤسسة تعليمية في أداء واجباتها على أحسن ما يرام، وان أي تراجع في هذا المجال سوف ينعكس سلباً على أهدافها التي سطرت من قبل، لأنه بمثل هذه الخطوة سوف تفتقد

لحلقة من الحلقات المهمة في تغيير أوجه حياة الطائفة اليهودية. من هنا نستطيع القول بان: الأليانس استخدمت في مدارسها معلمين اقل ما يمكن وصفهم بأنهم كانوا على مستوى عال من الكفاءة والخبرة في مجال العمل التربوي[1].

جاء تميز معلمي مدارس الأليانس عموماً ونجاحهم في عملهم ثمرة خطوة ذكية قامت بها قيادة الجمعية منذ سنوات عملها الأولى. فبعد ثلاث سنوات من تأسيسها، أي: في عام1862م، نجحت في افتتاح معهد للمعلمين في باريس، أوكلت له مهمة تأهيل الكوادر اللازمة للقيام بمهمة التعليم في مدارس الأليانس المنتشرة في مختلف أنحاء العالم[2]. وقد ذهبت قيادة الأليانس إلى ابعد من ذلك، عندما غرست في نفوس طلبة مدارسها حالة من الحماس والتنافس بمنح المتفوقين منهم منحاً دراسية لإكمال دراستهم فيه[3]. وكانت الجمعية تتولى النفقات الدراسية كافة على شرط أن يقوم هؤلاء بعد انتهاء دراستهم بالعمل في مدارسها المنتشرة في مختلف أنحاء العالم على وفق ما تراه إدارة الجمعية[4]. وقد حققت بهذه الخطوة إكتفاءاً بالنسبة لهيئات التدريس واطمئنانها بان المعلمين يعملون على تحقيق أهدافها باندفاع ذاتي قبل كل شيء، لمعرفتهم المسبقه لقيمة هذه المهمة أولاً، وكما أنها حفزت طلبتها على التفوق والاجتهاد طمعاً في الحصول على أحد هذه المقاعد الدراسيـة في المعهد ثانياً، مما ساهم في رفـع مستوى الدراسة فيها.

سهل استخدام اللغة الفرنسية كلغة تدريس في مدارس الأليانس المنتشرة في شتى أرجاء العالم حرية المناورة من جانبها في سد النواقص التي كانت تحدث في الهيئات التدريسية من حينٍ لآخر، وكان العجز يُسَد بمعلمين من جنسيات مختلفة في مدارس العراق. وهذا الحال، مكن الأليانس من إبقاء طلبتها تحت تأثير الثقافة الفرنسية ولغتها من خلال معلميها الذين كانوا يسبحون في أجواء هذا الفضاء[5].

إن اهتمام الأليانس بإعداد كوادرها التدريسية المؤهلة تأهيلاً متكاملاً جعل مسالة الاستعانة بمعلمين لا يحملون مؤهلات عالية أمراً صعباً جداً. وهناك بعض الاستثناءات حدثت. ففي بغداد

---

(1) Narcess Leven, op. cit, p. 162.

(2) Narcess Leven, op. cit, p. 163.

(3) داود سمره، المصدر السابق، ص12.

(4) Poul Domant, op. cit, p. 277.

(5) **مجلة المصباح**، العدد 8 في 1942/5/29.

ذات حين ، استعانت مضطرة ببعض موظفي الإدارة العثمانية من الأتراك للقيام بمهمة تدريس اللغة التركية نظراً لعدم توفر معلمين قادرين على القيام بهذه المهمة من خريجي معهدها في باريس[1].وكان لهذه التجربة آثارها السلبية عندما كان مدراء المدارس يشتكون من عدم أهلية هؤلاء . وكان أن أنعكس سلباً على مستوى استيعاب طلبتهم لهذه اللغة لدرجة أن الطلبة كانوا لا يرغبون في دراستها، وحتى حضور الحصص الخاصة بها[2].

ولابد من الإشارة هنا، إلى أن أبناء الطائفة اليهودية في العراق كانوا حريصين على بقاء مستوى التعليم في مدارس الاليانس بالمستوى المطلوب ، لدا كانوا دائما يطالبون قيادة الاليانس في باريس بضرورة إرسال أحسن المعلمين والمدرسين الى العراق،ودلك للحفاظ على المستوى المتقدم الذي كانت عليه مدارسها[3].

ولم تواجه مدارس البنات هي الأخرى صعوبة في توفير الهيئات التدريسية منذ تأسيس أول مدرسة لها في بغداد عام1893م. فقد كانت قيادة الأليانس حريصة على إرسال معلمات ذوات خبرة ودراية كبيرة في مجال عملهن. وقبل هذا عكفت إدارة الاليانس في العراق على تشجيع زوجات المعلمين الأجانب الذين كانوا يعملون في مدرستها في بغداد على ممارسة التعليم، تحديدا ممن كان لديهن مؤهل علمي،في مدرسة البنات بعد فترة من التدريبات البسيطة . وكان بعضهن قد أظهرهن قدرات عالية في هذا الجانب [4]. ولابد من الإشارة هنا، عند الحديث عن الهيئات التدريسية لمدارس البنات إلى ظاهرة تثير الانتباه وهي كون مديرات مدرسة الأليانس للبنات في بغداد كن في ذات الوقت زوجات لمدراء الأليانس في بغداد[5].

وفي إطار الحديث عن دور المرأة في العملية التربوية، فقد حققت الاليانس قصب السبق في إقحامها بممارسة التعليم في مدارس الأولاد ، فلم يكن مستساغا ان تقوم المرأة بهذا الدور نظرا للواقع الاجتماعي القائم آنذاك، ألا أن الاليانس نجحت في إقحامها في هذه المهمة، ولم تلاق

---

(1) **سالنامة ولاية بغداد**، السنة1328 هـ/ 1910م، ص122–123.

(2) داود سمره، المصدر السابق، ص14.

(3) Daniel khazzoom, **Aman ahea Of his Time** ; In Internet :www.nospank.net/khazzoom.htm.

(4) Rachel Mahlab-Goren ,**T he late Jacob Mahlab** ; In Internet : www.dangoor.com/page22.html

(5) **مجلة المصباح**، العدد 8 في 1925/5/29.

خطوتها أي معارضة تذكر من جانب أبناء الطائفة اليهودية أو الحاخامات اليهود. وهدا بطبيعة الحال يدل على روحية الانفتاح التي غرستها الاليانس في نفوس يهود العراق[1].

بناءاً عليه، تمكنت الأليانس من توفير كوادر تدريسية قادرة على نقل العلوم والمعرفة المتطورة التي تلقوها خلال سنوات دراستهم إلى طلبتهم بما يمكنهم من التفوق والارتقاء. كما ارتبط نجاح العملية التربوية في مدارس الأليانس، إلى جانب توفر هيئات تدريسية ذات خبرة وتجربة، بوجود إدارة كانت قادرة على توفير مستلزمات النجاح. فبحكم الارتباط المباشر بين الأليانس في بغداد وقيادتها في باريس، تمكنت الأولى من إيصال صوتها إلى هناك لبيان احتياجاتها وشكواها من أي معوق قد يؤثر في آداء عملها[2]، لاسيما أن أغلب كوادر الأليانس التي تعمل في الخارج على قناعة تامة بالأهداف التي تطرحها الجمعية فيما يخص تطوير القدرات الذاتية لليهود في العالم، بما يمكنهم من الاندماج في مجتمعاتهم. لهذا كانوا حريصين على تذليل الصعوبات أوالمشاكل التي تواجه سير العملية التربوية.

فقد كانت مشاكل الطلبة تلقى الإذن الصاغية لإيجاد أسرع الحلول لها بما يمكنها من مواصلة مسيرتها التعليمية على العكس مما كان يحدث في المدارس الحكومية العثمانية التي وجدت ضعفاً وإهمالاً من جانب القائمين عليها، الأمر الذي مما شجع الطلبة على التغيب عن مدارسهم لأوقات طويلة من دون أي متابعة أو محاسبة[3]، على العكس مما كان يحدث في مدارس الأليانس؛ حيث كان الطلبة يخضعون لمتابعة مباشرة من جانب إدارة المدرسة. ونورد هنا حادثة أشار إليها المحامي داود سمرة في مذكراته، وكان أحد طلبة الأليانس في بغداد، بأنه عندما انقطع ذات مرة عن الدراسة لأسباب صحية أرسل مدير المدرسة نائبه للاطمئنان عليه، وبيان أسباب تغيبه عن المدرسة[4]. وهذه الحادثة تشير إلى تشدد إدارة الأليانس في متابعة طلبتها وإشعار عوائلهم بان أي تلكؤ لأبنائهم ربما يعرض مستقبلهم للخطر، درجت الأليانس على ألا تسمح بوجود طلبة مهملين فيها. وعلى هذا الأساس ساهمت كفاءة الإدارة والمعلمين وخبراتهم في تطوير قدرات مدارس الأليانس وتميزها في شتى المجالات، وجعلها مدار إعجاب الآخرين[5].

---

[1] Rachel Mahlab-Goren ; in Internet : www.dangoor.com/page22.html .

[2] Polat Haydaroglu, op. cit, p. 209.

[3] مس بيل، المصدر السابق، ص23.

[4] داود سمرة، المصدر السابق، ص14.

[5] بدر مصطفى عباس ، المصدر السابق، ص138.

أعطى تفاني وحرص الإدارة والهيئات التدريسية في مدارس الأليانس في عملهم نتائجه الإيجابية. ولما تميزت به مؤسساتها من انتظام في الدراسة واستقرار في التقويم الدراسي، وعدم تأثرها بأي عوامل خارجية قد تحول دون استمرارها في تحقيق أهدافها كانت النتائج المحققه أعظم. فقد عرف عن إدارة الأليانس في بغداد حرصها على العمل وفق خطط مرسومة ومعدة بناءاً على التعليمات والتوجيهات التي تصلها من باريس. لذا ساهمت هذه التقاليد في نجاح مؤسساتها التعليمية في عملها على مدى سنوات طويلة ومكنها من تحقيق أهدافها التي سطرتها. ومن الدلائل التي تؤكد هذا النجاح، بلوغ مدرستيها في بغداد أعلى درجات السلم التعليمي، وهو ما لم تبلغه أي مؤسسة تعليمية أخرى في العراق منذ مطلع القرن المنصرم[1]. وذلك عائد لامكان دخول الطلبه إليها في مرحلة الروضة (**الاستعدادية**) وصولاً إلى المرحلة الثانوية من دون الحاجة للالتحاق بأي مؤسسة تعليمية أخرى. وكانت سنوات الدراسة تتوزع وفـق ما يلـي[2]:

ت	المرحلة الدراسية	مدة الدراسة
1	الإستعدادية (الروضة)	سنتنان
2	الابتدائية	أربع سنوات
3	الرشدية (المتوسطة)	سنتان
4	الإعدادية	سنتان

على الرغم من كثافة التقويم الدراسي وطول فترة مكوث الطلبة التي تمتد لأغلب أشهر السنة، حيث لا يتمتع الطلبة بالعطلة السنوية إلا لمدة لا تتجاوز أثنتين وعشرين يوماً، تبدأ من الأول من شهرآب/اوت وتنتهي في الثالث والعشرين منه[3]، بالاضافة إلى إغلاق أبوابها في

(1) **سالنامة ولاية بغداد،** السنة 1329هـ/1911م، ص 326 – 327.

(2) **مجلة المصباح**، العدد 30 في 1924/11/3.

(3) بدر مصطفى عباس، المصدر السابق، ص 75.

الأعياد والمناسبات الدينية اليهودية[1]، إلا أن الطلبة كانوا يجدون متعة وفائدة كبيرة خلال فترة بقاءهم بما يطور قدراتهم الفكرية والثقافية[2].

لم يتوقف تميز مدارس الأليانس عند هذه حدود، وإنما شملت جوانب عدة. ومن هذه الجوانب، ما ابتدعته من جديد في الامتحانات والتقييم السنوي للطلبة. فإلى جانب إلزام الطلبة بأداء الامتحانات الفصلية فضلاً عن الامتحان النهائي ليتمكن الطالب الناجح من الانتقال إلى مرحلة دراسية أعلى[3]، كانت تقيم بعد انتهاء العام الدراسي حفلاً تدعو إليه كبار الشخصيات الحكومية واليهودية، ويجري امتحان طلبة الصفوف المنتهية في مختلف الدروس التي كانوا يتلقونها على مدار العام لأختبار قدراتهم في استيعاب المناهج الدراسية أمام الضيوف[4]. وقد أرادت من وراء ذلك بيان حالة الرقي والمستوى المتطور الذي وصلته العملية التربوية في مؤسساتها بما ينعكس إيجاباً على سمعتها ومكانتها التي حققتها في قطاع التعليم[5].

ومن الأمور التي جعلت أوضاع التعليم داخل مؤسسات الأليانس تشهد استقراراً وهدوءاً بما يخدم الأهداف التي تعمل من أجلها، حرص قيادة الأليانس على بقاء ارتباطها بمؤسساتها وثيقاً وإخضاعها لمشورتها وتعليماتها. وهذه المركزية في الإدارة، ساهمت إلى حدٍ كبير في نجاح تجربة الأليانس. أضف إلى ذلك، عدم تأخرها عن تلبية احتياجات مؤسساتها بما يديم عطاء أي واحدة منهن، سواء كانت مساعدات مادية أم عينية[6]. وقد ساهم هذا التنسيق بين الطرفين في سرعة مواجهة أي طارئ قد يعطل عمل أياً من مدارسها عن أداء الواجب الذي تقوم به بالشكل المطلوب، أويضعف تأثيرها في أبناء الطائفة اليهودية[7]. وهذه الأمور جعلت مدارس الأليانس لا تعاني بأي حال من الأحوال من تأثيرات وضغوط خارجية قد تعرقلها عن أداء عملها على أحسن وجه.

---

[1] **مجلة المصباح**، العدد 21 في 1924/8/8.

[2] **توفيق شاؤول سوفير** ، مقابلة في 4 /8 /2001.

[3] بدر مصطفى عباس، المصدر السابق، ص 74.

[4] **توفيق شاؤول سوفير**، مقابلة في 4 /8 /2001.

[5] **مجلة المصباح**، العدد 22 في 1924/8/15.

[6] Paul Domant, op. cit, P. 209.

[7] Bernard Lewis, op. cit., P. 168.

لقد ساعد انضباط مدارس الأليانس في عملها وقوة ارتباطها بقيادتها بباريس في نجاح تجربتها في إطار نشر التعليم الحديث بين صفوف أبناء الطائفة اليهودية في العراق. لقد أصبحت هذه الصورة المثالية في الإدارة والاهتمام والعمل محط إعجابهم وحفزت أثرياءهم على العمل بجدية لدعم هذه الجهود في إطار تطوير قدرات مدارس الأليانس وإمكانياتها لكي تتمكن من الاستمرار في مواصلة نهجها الذي اختطته لها دون أدنى؛ خلل لأن نجاحها يعني رقي وتطور أكبر في حياة أبناء طائفتهم[1]. وهذا الترابط في الأهداف والتوجهات هو الآخر ساهم هو الآخر في تعزيز استقرار سير العلمية التربوية في مدارس الأليانس.

إن التميز في الأداء الذي وصفت به مدارس الأليانس في العراق، يدفعنا إلى مقارنتها مع نظيراتها من المدارس الحكومية، لاسيما في العهد العثماني، التي كانت تعمل إلى جانبها. ومن خلال ذلك، نلاحظ أن الأخيرة كانت تفتقر إلى الحد الأدنى من المستلزمات والظروف التي توفرت لمدارس الأليانس مما يجعلها غير قادرة على آداء واجبها بالشكل المطلوب، فهي على سبيل المثال:لا تحتوي على معلمين أكفاء أو الكتب المدرسية وحتى الأثاث اللائق كان شيئاً نادر الوجود فيها. بالمقابل وصفت مباني مدارس الأليانس في بغداد، بأنها كانت على جانب كبير من المظهر الجيد والسعة. وكانت تشهد توسعات إضافية تستجيب لمتطلبات التطور والاتساع الذي كانت لا تشهده المدارس الحكومية. كما جرى على نحو دائم استيراد ما كانت تحتاجه مدارس الأليانس من مستلزمات عملها، فقد كانت قيادة الأليانس ترسل الكتب المنهجية من أوربا، إلى جانب الأثاث المدرسي من: مقاعد دراسية ،وسبورات،وخرائط، ووسائل إيضاح وحتى مختبرات علمية. ومن المؤشرات التي تدل على تميز هذه المدارس امتلاكها للمكتبات المدرسية التي ساهمت في رفع المستوى الثقافي للطلبة عبر توفير مختلف الكتب العلمية والأدبية وبمختلف اللغات[2]. وتشير آخر إحصائية أعدتها لجنة المدارس الإسرائيلية في بغداد إلى أن مكتبة الأليانس في بغداد كانت تحتوي حتى عام 1950م على (3817) كتاباً، وهو كم لا بأس به قياساً بظروف ذلك الوقت، وكانت موزعة كالآتـي[3]:

اسم المكتبة	لكتب العربية	الكتب	الكتب	كتب الأطفال	المجموع

[1] F. O. 371. 348 – 9199 (tel: 987).

[2] Manaf A. Abdul Gahne, op. cit., P. 18; Daved Solomon Sassoon, op. cit., P. 171.

[3] تقرير عن المدارس الإسرائيلية، ص 39.

		الإنكليزية	الفرنسية		
مكتبة لورا خضوري	--	168	570	150	888
مكتبة ألبرت ساسون	874	--	1691	364	2929
المجمـ ـوع	874	168	2261	514	3817

لقد ساهمت المكتبات التي وفرتها الاليانس لمدارسها، وتحديدا في بغداد، في رفع المستوى الثقافي لطلبتها بشكل واضح وملموس ، لاسيما في تطوير قدراتهم اللغوية ، لأنها كانت تعكف دائما على توفير احدث الإصدارات التي ترفع من مستوى القدرات بما ينعكس ايجابا على مسيرة طلبتها في المستقبل[1]. وقد ثبت ذلك فعلا عندما نجح العديد من اليهود في إتقان اكثر من لغة بفعل القاعدة المتينة التي وضعت الاليانس أسسها.

<u>2 – سياسة قبول الطلبة:</u>

منذ سنوات عملها الأولى في العراق، لم تضع إدارة الأليانس أي شروط أو عراقيل أمام أبناء الطائفة اليهودية من أجل الالتحاق بمدارسها، بل على العكس، كانت تقدم الكثير من التسهيلات قصد تشجيع الشباب اليهودي على أخذ فرصتهم في التعليم. فإلى جانب عدم استيفاء أي أجور دراسية منهم، وقيامها بتوزيع مستلزمات دراستهم من كتب ولوازم دراسية أخرى، فإنها كانت تقدم الإعانات المادية والعينية، لا سيما للطلبة الفقراء منهم[2]. وبهذه الإجراءات كانت إدارة الأليانس تحفز الأسر اليهودية على إلحاق أطفالها بمدارسها، مادام ذلك لا يكلفهم شيئا، وسعياً منها وراء تسريع عملية إشاعة الثقافة والمعرفة بين صفوف أبناء الطائفة اليهودية في العراق بما يفتح أمامها آفاق جديدة في شتى المجالات الحياتية.

على الرغم من المغريات التي كانت تقدمها إدارة الأليانس في العراق لتشجيع الشباب اليهودي على الالتحاق بها، إلا أننا نلاحظ بان معدلات التحاقهم كانت دون مستوى التوقعات إذا ما قورنت بمؤسسة (**المدراش تلمود توراه**) التي كانت تسجل معدلات إقبال كبيرة كانت تتجاوز أعداد الطلبة فيها ألفي طالب. ويمكن أن نعزو سبب هذا التراجع في الإقبال إلى ما يلي:

---

(1) Shmuel Moreh, **Atribute To Elie Kedourie**, in Internet : www.dangoor.com/75033.html.

(2) داود سمره، المصدر السابق، ص 13 ؛ إبراهام بن يعقوب، المصدر السابق، ص 93.

1– استمرار الصراع المستمر بين التيار المستنير الذي كان يدعم الأليانس والتيار الديني المحافظ الذي كان يعارض أنشطتها ويستخدم شتى السبل لإضعاف أي رغبة للعوائل اليهودية في إلحاق أولادهم بها.

2– تردد الآباء في إلحاق أولادهم خوفاً مما كان يثار بخصوص الدروس التي يتلقاها الطلبة في مدرسة الأليانس.

3– تواضع طموح الكثير من العوائل في تعليم أولادهم؛ حيث كانوا يرون أن تعلم أولادهم بعض المبادئ البسيطة بما يساعدهم في حياتهم المهنية هو أبعد درجات الطموح عندهم، لاسيما أن النخبة المثقفة لم تكن قادرة على أخذ دورها في نشر الأفكار والمفاهيم الحديثة وتشجيع أبناء جلدتهم على الأخذ بفكرة أن التعليم هو أسهل الطرق نحو التطور العلمي بما يحقق لهم الفائدة المثلى.

على أية حال، إن انخفاض معدلات الطلبة الملتحقين بالأليانس خلال سنوات عملها في القرن التاسع عشر لم يكن يعني فشل تجربتها،بل العكس. ومع ذلك فأن أعداد الملتحقين لم تكن تعكس طموحاتها في هذا الجانب قياساً بالتقديرات السكانية لليهود في العراق. ومقارنة بأعداد الملتحقين بالمؤسسات التعليمية الدينية المنافسة لها أيضاً.

بمرور الوقت، ومع اتساع قاعدة النخبة المثقفة اليهودية التي أخذت تلعب دوراً هاماً في مجال توعية الأسر اليهودية بأهمية التعليم عبر طرح نفسها نموذجاً لذلك وتشدديها على أهمية دعم الجهود التي تقوم بها الأليانس في إطار النهوض بالطائفة اليهودية في العراق، بما يجعلها قادرة على أخذ دورها الفاعل والحقيقي في المجتمع المحلي. ساهم الجهد الذي كان يقوم به هؤلاء، لاسيما وانهم خريجو الأليانس قبل كل شيء، في أن تستحوذ الأليانس على إعجاب متزايد بها من طرف العوائل اليهودية، التي أخذت تتهافت على إرسال أبنائها لالتحاق بها سعياً وراء تحقيق الفائدة المرجوة. فشهدت تزايداً في أعداد الطلبة المسجلين فيها.

فعلى مدى سنوات عملها خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر لم يتجاوز معدل الطلبة المسجلين بها على خمسمائة طالباً وطالبة الا قليلاً[1]، نجد أن هذا الرقم قد وصل قرابة

[1] **أنظر جدول رقم (12).**

الألف طالب بعد ثلاث سنوات من دخولها القرن العشرين[1]. وسرعان ما سجل قفزة نوعية وكبيرة بعد عقد من الزمن. أي: في عام 1914م، عندما أعلنت سجلات الأليانس عن التحاق أكثر من ألفي طالب وطالبة. وهذا الارتفاع كان يعكس حجم التطور الأفقي والعمودي الذي أخذت تشهده الأليانس لاسيما خلال الربع الأول من القرن العشرين[2].

إن الجهود التي بذلتها الأليانس خلال فترة عملها حتى مطلع القرن العشرين قد اثمرت، وأصبح يشار إليها بالاحترام والتقدير. أذ أخذت الأسر اليهودية تتهافت على إدخال أبنائها فيها للاستفادة مما تقدمه من معارف، ففاقت بذلك سمعتها الكثير من المؤسسات التعليمية التي عاصرتها. وساهم هذا الإقبال في أن تشهد أهداف الأليانس تحولاً ستراتيجياً. فهي لم تعد تعمل من أجل تطوير القدرات الذاتية لليهود لمواجهة أي تهديد تبشيري وانتشالهم من حالة التدهور الفكري الذي كانوا يعيشونه آنذاك فحسب، وإنما أصبحت سياستها تقوم على أساس تطوير القابليات الفكرية والعلمية بما يؤهل الطلبة لإكمال دراستهم العليا في أرقى المعاهد العلمية سواء كانت في اسطنبول أم في أي دولة أوربية[3]، إلى جانب الحافز الذي خلقته لدى طلبتها عندما كانت تمنح المتفوقين منهم منحاً دراسية لإكمال دراستهم في معهد المعلمين في باريس[4]. هذا الإقبال المتزايد من جانب الأسر اليهودية على إلحاق أولادهم في الأليانس تجاوز في مناسبات عدة الطاقة الاستيعابية والإمكانيات المتوفرة رغم التوسعات التي شهدتها من حيث السعة والانتشار[5]، وقد شكل ذلك ضغطاً فاق كل توقعاتها. فعلى سبيل المثال: اتخذت الإدارة قرار بجعل الدراسة في القسم الابتدائي على وجبتين. الأولى؛ صباحية، والأخرى مسائية، تلافياً لتزايد أعداد الطلبة الملتحقين بها[6].

ولم تقتصر شهرة الأليانس على مدينة بغداد، وإنما امتدت لتصل إلى بقية المدن العراقية الأخرى التي تتواجد فيها تجمعات يهودية، ولما أن حرصت العديد من الأسر اليهودية، لاسيما

---

(1) **سالنامة ولاية بغداد**، السنة 1903، ص 210.

(2) عبد الرزاق الهلالي، **تاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني**، ص 250 – 251.

(3) إبراهام بن يعقوب ، المصدر السابق ، ص 94.

(4) داود سمره ، المصدر السابق ، ص 12.

(5) **أنظر الفصل الثاني،المبحث الاول/3.**

(6) **سالنامة ولاية بغداد**، السنة 1329/ 1911م، ص 328 – 329.

الأغنياء منها، على إرسال أولادها إلى بغداد للالتحاق بمدرستها[1]، التي كانت حتى مطلع القرن العشرين تتواجد في بغداد دون غيرها. أجبرت الأليانس على أفتتاح شبكة من المدارس. وكنتيجة لذلك، انخفض ضغط الطلاب على مدرسة بغداد باستثناء من كانوا يرغبون في إكمال دراستهم الإعدادية فيها [2]، ما من شك في أن مما حققته مدارس الأليانس في بغداد من نجاح ، كان قد جعل شهرتها تطغي على بقية المؤسسات التعليمية الأخرى سواء كانت أجنبية أم حكومية. وهذه الشهرة حفزت الأسر البغدادية من غير اليهود على إرسال أبنائهم للدراسة فيها والاستفادة من الخدمات العلمية التي تقدمها. وعلى هذا الأساس فتحت الأليانس أبوابها أمام هؤلاء الطلبة حيث تخرج منها لاحقاً العديد من الشخصيات السياسية والاجتماعية والثقافية التي كان لها دور فعال في المجتمع العراقي. ومن هؤلاء على سبيل المثال نذكر **العلامة محمد بهجت الأثري والوزير يوسف رزق ا غنيمة**[3]، وغيرهم. وهذا القول يخالف الرأي الذي ذهب إليه الدكتور جميل موسى النجار في أن الأليانس لم تسمح للطلبة من غير اليهود بالدراسة فيها إلا بعد الاحتلال البريطاني لبغداد عام1917م[4].

ولكن، في أواسط العقد الثالث من العقد الماضي، ومع اتساع جهود الدولة العراقية لنشر التعليم، واهتمام أثرياء الطائفة اليهودية بإنشاء المدارس وقيام المقر الرئيسي للأليانس بقطع المساعدات المالية التي كان يقدمها واكتفائه بالإشراف الإداري فقط، شهدت سياسة إدارة الأليانس بخصوص التحاق الطلبة بمدارسها تغيراً جوهرياً[5]. فبدأت تفرض رسوماً دراسية على الطلبة فضلاً عن تقليص أعداد المقاعد المجانية الممنوحة لأبناء العوائل الفقيرة،بالاضافة إلى قطعها لأي مساعدات مادية وعينية كانت تقدم من قبل. وهكذا أصبحت مدارس الأليانس، لاسيما مدرستي بغداد، مدارس للأسر الغنية على حساب الأسر الفقيرة، مما جعل هذه الأخيرة تتردد في إرسال أولادها إلى الأليانس ذات التكاليف الباهظة[6]، مفضلة إرسالهم إلى المدارس الحكومية المجانية والأقرب إلى مناطق سكناهم[7].

---

[1] الكسندر اداموف، المصدر السابق، ص226.

[2] **توفيق شاؤول سوفير**، مقابلة في 2001/7/21.

[3] يوسف رزق ا غنيمة، المصدر السابق، ص201.

[4] جميل موسى النجار، المصدر السابق، ص237.

[5] **مجلة المصباح**، العدد30، في 1924/11/3.

[6] المصدر نفسه، العدد31 في 1924/11/10.

[7] Sylvia Hiam, op, cit, p, 190.

وقد دفع هذا التغير مجلة المصباح لشن هجوم لاذع على إدارة الأليانس، متهمة إياها بالخروج عن أهدافها التي عملت من اجلها سنوات طويلة، فكتبت تقول:" **كيف يمكن القبول بالحقيقة التي تشير إلى كون هذه المدارس التي تأسست قصد مساعدة الفقراء وإسعادهم في حياتهم، تغلق الآن في أوجههم** "[1].

أخيراً، لقد ساهمت التغيرات التي شهدها قطاع التعليم في العراق في اتساعه وتطوره خلال النصف الأول من القرن الماضي، كما أن، سياسة قبول الطلبة من جانب إدارة الأليانس عملت على انخفاض معدلات التحاق الطلبة بها[2]. وان كان ذلك لم يفقدها السمعة الجيدة التي حققتها من قبل، لأنها دأبت على المحافظة على التقاليد التي اختطتها منذ انطلاقتها الأولى[3].

جدول رقم(12)
أعداد الطلبة الملتحقين بمدارس الأليانس في العراق
خلال الفترة مابين 1865- 1950

السنه	أعداد طلبة الأليانس في العراق							المجموع
	بغداد	البصره	الموصل	الحله	العماره	كركوك	خانقين	
1865	45	-	-	-	-	-	-	45
1870	120	-	-	-	-	-	-	120
1875	250	-	-	-	-	-	-	250
1880	325	-	-	-	-	-	-	325
1885	400	-	-	-	-	-	-	400
1890	470	-	-	-	-	-	-	470
1895	605	-	-	-	-	-	-	605
1900	751	-	-	-	-	-	-	751
1905	800	-	-	-	-	-	-	800
1910	1129	350	120	150	50	-		1799

---

[1] **مجلة المصباح**، العدد 32 في 1924/11/17.

[2] **انظر جدول رقم (12).**

[3] **الاستاذ نعيم شهرباني** ، مقابلة في 2002/05/25.

1915	1570	910	165	170	67	45	30	2857
1920	2170	1250	290	350	95	135	45	4320
1925	2257	1420	320	355	100	164	67	4688
1930	2330	1500	450	370	125	150	-	4910
1935	2250	1700	485	399	137	110	-	4877
1940	2075	1750	600	450	-	-	-	44875
1945	1980	1680	675	490	-	-	-	4825
1950	1400	1329	595	425	-	-	-	3820

رابعاً: تمويـل مدارس الأليانس:

لم يكن نجاح الأليانس في إنشاء شبكة واسعة من المدارس في مناطق شاسعة في أوروبا وآسيا وأفريقيا، يتحقق دون اتباعها برنامجاً تنظيمياً مبتكراً قائماً على أساس دقيق من التخطيط يضمن انسيابية عملها من دون خلل مهما كان[1]. فعلى صعيد التنظيم المالي، اعتمدت الأليانس أسلوباً ذكياً في تمويل إنشاء مدارسها، وإدامة أنشطتها بلا ضغط في النفقات.فقد أخذت على تتحمل النفقات اللازمة لأي مدرسة تفتتحها كُلِيـةً، حتى تمكنها من نشر الوعي الثقافي والفكري بين أبناء الطائفة اليهودية في منطقة عملها، حسبما هو مخطط لها. بعدما يستشعر هؤلاء أهمية الدور الذي قامت به الأليانس وأهمية توسيع هذا النشاط لن يجدوا مفراً من تمويله تحمل عن

[1] Barnard Lewis, op, cit, p, 175.

طريق تقديم التبرعات العينية والنقدية، معبرين بذلك عن امتنانهم للجهد الذي تقوم به الجمعية وكرد للجميل الذي قدمته عبر توعيتهم بأهمية التعليم وما يحققه من آفاق جديدة في حياتهم[1].

لقد تمكنت الأليانس، عبر تصعيدها لدرجة الوعي لدى أبناء الطائفة اليهودية من أن تلقي على عاتقهم عملية تمويل شبكة مدارسها بالتدريج ،لاسيما الفئة الثرية منهم. وتلك ظاهرة في ذات الوقت عكست مدى الجهد الذي قامت به الجمعية في غرس روح التعاون ورفع مستوى الوعي بين صفوف اليهود[2]. فقد أخذ معدل مساهمة الطائفة اليهودية في العراق يتصاعد بمرور الزمن ليغطي القسم الأكبر من النفقات السنوية، فيما اقتصرت مساهمة الأليانس منذ أواخر العقد الثاني من القرن الماضي على تسديد رواتب مدير الأليانس في بغداد[3]. وحتى هذا الإجراء، كما أشرنا من قبل، لم تواظب عليه إلا كتعبير رمزي يعكس بقاء ارتباط مدارس الأليانس في العراق بالمقر الرئيسي للجمعية في باريس[4]. وهو، بطبيعة الحال، يعكس رؤية استراتيجية لقيادتها لضمان استمرار العلاقة القائمة بين الطرفين.

لقد أفْرَزَ الأسلوب الذي اتبعته الأليانس في تمويل مدارسها حقيقتين مهمتين، **الأولى**: نجاحها في غرس روح التحدي والاندفاع للمحافظة على ديمومة هذه المدارس التي عادت بالفائدة عليهم؛ **والثانيـة**: تمكينها من توظيف إمكانياتها المادية في إنشاء مدارس جديدة في مدن أخرى كانت بحاجة لأخذ نصيبها من التعليم الحديث الذي حرصت على نشره[5]. والدليل على ذلك نجاح الأليانس في إنشاء تسعين مدرسة بمختلف مستوياتها توزعت في ولايات الدولة العثمانية وبلاد فارس فقط حتى نهاية القرن التاسع عشر. وهذا الرقم يعكس مدى الجهد الذي بذلته في الإطار[6].

لقد قرأت الأليانس بدقة الطروحات التي أرادت معالجة مشكلة الطوائف اليهودية. فنجحت في خلق جو من التفاعل والاستجابة بينها وبين أبناء الطائفة اليهودية في العراق، فضلاً عن تطابقهما في الأهداف والرؤى. فالجمعية كانت تريد جني ثمار إجراءاتها العملية بتجسيد الأهداف

---

(1) شريف يوسف، المصدر السابق، ص51.

(2) **مجلة المصباح**، العدد 22 في 1924/8/15.

(3) شريف يوسف ، المصدر السابق ، ص 51 .

(4) Poul Domat , Op.cit , P.209.

(5) شريف يوسف ، المصدر السابق ، ص 51 .

(6) Encyclopaedia Judaica , vol.8, p.1300 .

التي وضعتها لخاق وعي ثقافي وفكري يعود بالإيجاب على أبناء الطائفة اليهودية. وفي المقابل أدرك يهود العراق ،لاسيما الأغنياء منهم، أهمية الدور الذي تقوم به الأليانس في تطوير قدراتهم قدر كبير من النجاح في حياتهم، لاسيما في الجانب الاقتصادي[1].

تشير المصادر إلى أن أولى مؤشرات التفاعل، والتعاون مع رؤية الأليانس جاءت سريعة جداً، وبعد فترة من بدءها في بغداد. ونعني الخطوة التي قام بها يهودي عراقي الأصل، بريطاني الجنسية، يدعى **البير داود ساسون**[2]، التي ما كانت رغبة شخصية فحسب، وإنما عكست مدى الثقة التي حازت عليها الأليانس من جانب اليهود على الرغم من سنوات عملها القصيرة، الثقة التي كانت الأليانس بأمس الحاجة إليها لتعزيز قدراتها في أحتدام الصراع مع معارضيها من أنصار التيار الديني المحافظ[3]. كما إنها شكلت دافعاً حرك الآخرين للعمل على تقديم الدعم والمساعدة الممكنة للأليانس في بغداد من دون خوف من غضب المؤسسة الدينية عليهم، حيث شمل هذا الدعم مجالات شتى، منها الإقدام على تسجيل أولادهم فيها، وكذلك تقديم المساعدات المالية والعينية أيضاً[4].

وهكذا نجد أن، كلما أحس أبناء الطائفة اليهودية في العراق بقيمة الجهد الذي تقوم به الأليانس يزداد تفاعلهم بتقديم كل ما هو ممكن من دعم ومؤازرة لإدامة هذا الجهد الذي تقوم به.ولم يعد مستغرباً منذ القرن العشرين ارتفاع معدلات التبرعات المقدمة من هؤلاء.لقد أخذ

---

[1] الكسندر اداموف، المصدر السابق، ص226.

[2] اسمه الحقيقي(**عبد ا داود ساسون**)، وكان جده ساسون لسنوات طويلة يشغل منصب صراف باش أيام حكم المماليك في بغداد، ويقال انه في سنة 1829م خشي انتقام الوالي داود باشا منه فهرب من بغداد نحو البصرة ومنها الى الهند .ومنذ عام 1822م تمكن ساسون من جمع ثروة كبيرة واصبح من أثرياء مدينة بومباي الهندية وأخذت علاقاته التجارية تمتد لتغطي العراق وبلاد فارس، وكان ألبير مسؤولاً عن نشاطات شركة والده التي ورثها عن جده في بلاد فارس والعراق. ومن هنا يتضح سر اهتمامه بشؤون الطائفة اليهودية في العراق أولاً لأنه من اصل عراقي بغدادي وثانياً لان أعماله التجارية كانت تتركز فيها، واصبح يدعى البير بعد حصوله على لقب سير وحمله للجنسية البريطانية. انظر/ حنا بطاطو، المصدر السابق، الكتاب الأول، ص229–230، وللمزيد من المعلومات عن **شركة ساسون**/ ينظر: **The Jews of Kolkata**, in Internet : www. India profile. Com/peopl/calcutta-jews.htm.

[3] Nissim Rejwan, op.cit,p.198.

[4] Sara Manasseh, **Aspects of Babylonian Jewish Life**,In Internet**:** www.Midrash.org/Babylonian/news letters/ archive 09/htlm.

أثرياء اليهود يتسابقون في تقديم التبرعات اللازمة قصد توسيع قاعدة عمل الأليانس، وقاسمتهم في ذلك رئاسة الطائفة اليهودية في بغداد، حيث نجد كل التوسعات التي شهدتها الأليانس في العراق كانت قد تمت من خلال تبرعات مالية قدمت لها. يتصدرها التبرع الذي قدمه اليهودي **مناحيم صالح دانيال**، أحد أغنى أغنياء العراق آنذاك،في عام1902م الذي وظف في إضافة أقسام دراسية جديدة لمبنى مدرسة الأولاد في بغداد نظرا لما تشهده المدرسة من إقبال شديد عليها[1]. كذلك؛ الحملة التي قام بها أثرياء اليهود عام1908م لجمع التبرعات اللازمة لدفع تكاليف شراء عدد من الدور المجاورة للمدرسة ذاتها من أجل إجراء توسيعات جديدة أيضاً[2]. فيما يعد تبرع اليهودي السير **اليعازر خضوري** من أهم وأكبر التبرعات التي قدمت للأليانس خلال فترة عملها في العراق. فقد تبرع بمبلغ قدر بعشرين ألف ليرة عثمانية. وهو مبلغ ليس بالهين آنذاك، وكان من أجل إنشاء بناية جديدة لمدرسة البنات في بغداد، والتي جرى افتتاحها، فِعْلاً، فـي عام1911م[3]. وعُدت من أجمل المباني المدرسية في العراق آنذاك، لما وصفت به من جمال التصميم وحسن التخطيط والسعة[4].بينما صعدت رئاسة الطائفة اليهودية في بغداد من نشاطها حاثةً يهود العراق على تقديم المساعدات الممكنة للأليانس تقديراً لدورها الكبير في تطوير مستوى التعليم اليهودي. ولم تقف عند هذا الحد، وإنما قامت في عام 1920م بدفع تكاليف شراء دار كبيرة تجاور مدرسة الأليانس للأولاد لجعلها ساحة ملحقة ليمارس فيها الأولاد ألعابهم في الهواء الطلق بعدما كانت المدرسة تفتقر إلى ذلك[5]. إلى جانب تخصيصها منذ نهاية القرن التاسع عشر مساعدة مالية كانت تدفع سنوياً لإدارة الأليانس[6].

وبمرور الوقت، كلما اتسعت قاعدة عمل الأليانس في العراق كلما حظيت بالاهتمام والإعجاب، وفتح آفاق جديدة كانت إلى وقت قريب لا يمكن ولوجها، لاسيما وان الدعم ببدء يهود العراق في تسجيل الكثير من ممتلكاتهم كأوقاف لصالح هذه المدارس حيث تصرف عائداتها لسد

---

[1] عبد الرزاق الهلالي، **تاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني**، ص 207.

[2] **F. O.** 371.348.9199.

[3] Nissim Rejwan, op. cit., P. 198.

[4] Sara Manasseh, op. cit., in Internet: www.Midrash.org/Babylonian/news letters/ archive 09/html.

[5] تقرير عن المدارس الإسرائيلية، ص 53.

[6] Nissim Rejwan, op. cit., P. 198.

نفقات واحتياجاتها بما يجعلها تستمر في عملها دون انقطاعأوجها جديدة. ومن هذه المساهمات نذكر:

1- وقف رفقة الياهو نورائيل، الذي هو عبارة عن تسعة عقارات في محلة باب الآغا ومحلة التوراة وقنبر علي في بغداد[1].
2- وقف منشي إبرا هام كرجي، الذي هو عبارة عن عقارات تقع في محلة التوراة في بغداد[2].
3- وقف السير اليعازر خضوري، الذي هو عبارة عن مجموعة من العقارات في مدينتي بغداد والموصل[3].
4- وقف ساسون صالح دانيال، الذي هوعبارة عن أرض في محلة الجباويين في مدينة الحلـة[4].
5- تبرعات نقدية قدمها حسقيل شاهمون، الذي كان أحد طلبة الأليانس[5]، إلى جانب قيامه بالتبرع بإنشاء جناح جديد لإدارة مدرسة الأليانس للأولاد في بغداد[6].
6- وقف ستافورد ساسون، المتمثل في مجموعة عقارات خصص ريعها على شكل جوائز مالية تقدم إلى الطلبة المتفوقين من طلبة مدارس الأليانس في الاحتفال السنوي الذي يقام عقب نهاية كل عام عرفت باسم (**جوائز ستافورد ساسون**)[7].

على العكس مما كان في الماضي، ساهمت استجابة أبناء الطائفة اليهودية في العراق وتفاعلهم مع الجهد الذي تقوم به الأليانس من أجل الارتقاء بهم ثقافياً وفكرياً، في تعزيز أواصر العلاقة والتقارب، والذي تجسد في اقتراح قيادة الأليانس على رئاسة الطائفة إشراكها في إدارة شؤون مدارسها في العراق بالتعاون مع مديرها في بغداد، على أن تبقى القرارات المصيرية من

---

(1) حامد مصطفى، المصدر السابق، ص 74 ؛ فاضل البراك، المصدر السابق، ص 294.

(2) المصدر نفسه، ص 75.

(3) المصدر نفسه، ص 75.

(4) حامد مصطفى، المصدر السابق، ص 75 ؛ شريف يوسف، المصدر السابق، ص 51.

(5) فاضل البراك، المصدر السابق، ص 294.

(6) تقرير عن المدارس الإسرائيلية، ص 3.

(7) تقرير عن المدارس الإسرائيلية، ص 47 – 48.

صلاحية قيادة الجمعية في باريس مع الالتزام بكل ما يصدر عنها من قرارات وتعليمات[1]. وتكون بذلك قد أعادت تجربتها التي سبق أن قامت بها عندما أشركت عدداً من أعيان الطائفـة فـي إدارة شؤون المدارس فـي عام 1907م[2].

على أثر موافقة رئاسة الطائفة اليهودية على مقترح الأليانس، بمشاركتها في إدارة شؤون مدارسها في العراق، تكفلت لجنة المدارس التابعة لرئاسة الطائفة بتوفير احتياجات الأليانس أسوة ببقية المؤسسات التعليمية اليهودية الأخرى وفق خطة متوازنة من الصرف في ضوء ما يتوفر لها من تخصيصات مالية[3]. وعلى مدى قرابة ثلاثة عقود امتدت ما بيـن عامـي 1921–1951م، ساهمت اللجنة بشكل فعّال في تدعيم جهود الأليانس في مجال نشر التعليم الحديث بين صفوف أبناء الطائفة اليهودية في العراق عبر التحسينات والتوسعات التي كانت تشهدها مدارس الأليانس، لاسيما مدارس بغداد، فهذه المدارس شهدت توسعات في مبانيها وأضيفت بعض المختبرات العلمية والورشات الحرفية وغيرها من الإضافات التي زادت من مكانة هذه المدارس سمعة وشهرة[4].لم يقتصر تمويل مدارس الأليانس على ما كان يقدم لها من تبرعات من جانب رئاسة الطائفة والأثرياء اليهود، وإنما اعتمدت أسلوباً جديداً، لم يكن مألوفاً من قبل، فقد أخذت تنشط في مجال تنظيم الحفلات الخيرية التي يحضرها كبار الشخصيات الرسمية واليهودية لجمع تبرعات نقدية توظف في سد جوانب من نفقات الأليانس. وقد نالت هذه الحفلات الخيرية، المقامة في المدن العراقية التي يتواجد فيها يهود، إعجاب الطائفة اليهودية لكونها تشكل رفداً هاماً للجهود التي تبذلها في إطار تطوير مستوى التعليم اليهودي في العراق[5]. كما أن إدارة الأليانس كانت تجري **(يانصيباً)**[*] دورياً من أجل الاستفادة من الموارد المالية المحصلة، وقد عد من الأبواب المهمة التي تغطي جانباً من نفقاتها المتزايدة[6]. كما حظيت مسألة الأجور باهتمام إدارة الأليانس في بغداد، حيث لم تكن الإدارة تبدي اهتماماً بعملية استيفاء الأجور من طلبتها، لاسيما أنها كانت تعمل من أجل أهداف أكبر من هذا الأمر. كانت الأليانس تستوفي أجوراً رمزية من الطلبة

---

[1] **دليل العراق الرسمي لسنة 1936**، ص 827 – 828.

[2] إبراهام بن يعقوب، المصدر السابق، ص 115.

[3] **مجلة المصباح**، العدد 107 في 1926/10/22.

[4] تقرير عن المدارس الإسرائيلية، ص 38 و58.

[5] **مجلة المصباح**، العدد 79 في 1925/11/29.

[*] مسابقة مالية تجري على شكل دوري، وهي تشبه مايعرف محليا هنا باسم (**اللوتو**).

[6] باسم حمزة عباس، المصدر السابق، ص 167.

الأغنياء فقط ، بينما كان الطلبة الفقراء يحصلون على مساعدات عينية ونقدية لتشجيعهم على مواصلة الدراسة دون انقطاع[1]، للعلم كان مقدار ما يستوفى من الطلبة طوال فترة الدراسة في العهد العثماني يتراوح ما بين10–20 قرشاً شهرياً[2]. ومع انتهاء العقد الثاني من القرن العشرين، اتسعت القاعدة الثقافية والفكرية لأبناء الطائفة اليهودية في العراق وتبلور دور النخبة المثقفة في العمل على توعية أبناء جلدتهم بأهمية أن ينال كل واحد منهم نصيبه من التعليم الذي يمكنه من التخلص من حالة التخلف والجهل المعيش من قبل. والأكثر من هذا، وجد البعض من هؤلاء المثقفين ضرورة صَبْغ حقل التعليم بالطابع المحلي، حيث شهدت الطائفة اليهودية جهوداً متميزة من أجل توسيع شبكة المدارس الخاصة بهم، فضلاً عن التحاقهم بالمدارس الحكومية التي أخذت هي الأخرى بالازدياد. وقد انعكس توسعها على مدارس الأليانس بالسلب مالياً تمثل فيما اقتطعته هذه المؤسسات من الاهتمام الذي كانت تحوز عليه الأليانس من ذي قبل. مما أنعكس بشكل سلبي على إدارتها المالية. وهذه المتغيرات جعلتها تعيد النظر في سياسة استيفاء الأجور مع مراعاة وضع حوافز تشجيعية للأسر اليهودية لدفعها على إدخال أبنائها في مدارسها.

على أي حال، تمكنت الأليانس بحكم تجربتها الطويلة في مجال التعليم من وضع صيغة تشجيعية للأسر اليهودية ليدفعها على إدخال أبنائها في هذه المدارس. وهذه الصيغة كانت تقوم على أساس سلم تنازلي للأجور.بحيث تهبط الأجور كلما ازداد عدد أفراد العائلة الواحدة الراغبين في التسجيل، فيستلزم تسديد الأجور كاملة لأول أثنين من الأبناء، وإذا التحق الثالث والرابع تدفع نصف الأجور السنوية للجميع، أما إذا التحق الابن الخامس ومن يعقبه فيتم تسجيلهم بالمجان[3]. وبهذه الخطوة تمكنت الأليانس من مواجهة التحدي الجديد القائم على أساس شيوع التعليم المجاني في العراق آنذاك ومـدُّ عمرها لسنوات أطول رغم التحديات هذه.

ولم تتوقف إدارة الأليانس عند هذا الحد من المغريات لاجتذاب الأسر اليهودية، بل أخضعت عملية تحديد الأجور لمرونة عالية بما يسهل على الأسر ذات المستوى المحدود إدخال أبنائها لهذه المدارس، والجدول التالي يوضح ذلك[4] :

[1] خلدون ناجي معروف، **الاقلية اليهودية**، ج1، ص 162 ؛ **مجلة المصباح**، العدد 30 في 1924/11/3.

[2] جميل موسى النجار، المصدر السابق، ص 237.

[3] **مجلة المصباح**، العدد 30 في 1924/11/3.

[4] المصدر نفسه.

ت	المرحلة الدراسية	الأسعار بالدينار		
		الحد الأدنى	الحد الأوسط	الحد الأعلى
1	الاستعدادية	15	30	50
2	الابتدائية	22	45	75
3	المتوسط	23	65	105
4	الثانوية	45	90	150

ومن الموارد المالية الأخرى التي كانت تحصل عليها الأليانس في عهد الدولة العراقية، المساعدات التي كانت تقدمها وزارة المعارف، لكونها تساهم في تدعيم المنظومة التربوية في البلاد.فكانت مدارسها تحصل على مساعدات مالية سنوية أسوة بالمدارس الأخرى. واستمرت هذه المساعدات حتى إغلاق آخر مدرسة تابعة للأليانس في العراق عام 1951م[1].

كما حظيت الأليانس بمساعدات سخية من جانب القنصلية الفرنسية في بغداد، دعماً لها على اعتبار أنها تعمل على نشر الثقافة واللغة الفرنسية في العراق، وقـد واظبت على ذلك طوال النصف الأول من القرن العشرين.وكانت المنحـة السنوية المقدمـه تصل أحيانـاً الـى (2000)دينار[2]، فضلاً عما تتسلمه من مساعدات عينية مختلفة كالأثاث والقرطاسية وتجهيز مكتبات مدارسها بالإصدارات الفرنسية من أجل الارتقاء بمستوى الثقافة الفرنسية فيها[3].

من خلال ما تقدم نستطيع القول: نجحت مدارس الأليانس في إدامة نشاطها وتوسيعه، وتلافي أي عقبة قد تعترضه. وهذا الأمر جعلها، لاسيما مدارس بغداد، لا تغلق أبوابها في أحلك الظروف التي مرت بها أنشطة الجمعية. فعلى سبيل المثال، استمرت مدارس بغداد تعمل على

---

(1) ينظر على سبيل المثال: وزارة المعارف، **التقرير السنوي عـن سير المعارف لسنة 1925-1926**، بغداد، 1926، ص 21 ؛ **التقريـر السنوي عن سير المعارف لسنة 1950 - 1951**، بغداد ، 1951، ص30.

(2) فاضل البراك، المصدر السابق، ص 55.

(3) يعقوب يوسف كورية، المصدر السابق، ص 68.

الرغم من حالة الفوضى وعدم الاستقرار التي سادت بغداد على أثر انسحاب القوات العثمانية ودخول القوات البريطانية للمدينة في آذار/مارس عام 1917م، على العكس من بقية المدارس الحكومية الأخرى منها والأهلية التي أغلقت أبوابها. وان دل هذا الأمر على شيء، فانه يدل على مقدرة هذه المدارس على تغطية نفقاتها دون انتظار ما كان يأتيها من الخارج.

خامساً: موقف سلطات المعارف العراقية من نشاط الأليانس:

1 – موقف سلطات المعارف العثمانية:

لم تول الدولة العثمانية الولايات العراقية أي اهتمام في مجال تطوير التعليم وإقامة المدارس الحديثة إلا بعد مدة طويلة من قيامها، أذ قامت بإنشاء مثل هذه المدارس في العاصمة أسطنبول، وفي بعض ولايات الأناضول الأخرى. وحتى بعد إقدام العثمانيين على إنشاء المدارس العسكرية والمدنية لم يعبر ذلك عن رغبتهم في إصلاح المجتمع ودفعه نحو الرقي والتقدم بقدر ما كان يعبر عن حاجة الدولة إلى إعادة تنظيم الجيش وفق النظم الحديثة ليمكنها من إحكام سيطرتها على ولاياتها والوقوف بوجه الطامع الأوربية، فضلاً عن إعداد الموظفين الإداريين لمؤسساتها الإدارية التي كانت في توسع ونمو مستمرين في النصف الأول من القرن التاسع عشر[1] .

لقد وقفت الأهداف المحددة التي وضعتها الدولة العثمانية في تنفيذ سياساتها التعليمية وراء الإهمال الذي عانت منه ولايات العراق. فالحافز الذاتي في عملية الإصلاح غير موجود بالمرة. من هنا، نلاحظ أن الإجراءات العثمانية في هذا الجانب غير مؤثرة وناقصة، مع أنها كانت تعتبر نفسها مسؤولة عن التعليم والإشراف عليه[2]، وهو ما أكده قانون المعارف العام الذي صدر في: 20 أيلول/ستمبر عام 1869م، إلا أننا نلمس عدم جدية العثمانيين في نشر التعليم من خلال قراءة مركزة لهذا القانون[3].فقد عدت عملية إنشاء المدارس الابتدائية، وهي الأساس الذي يرتكز عليه هيكل التعليم، من واجبات السكان،أذ نص القانون على أن نفقات إنشاء هذه المدارس وإداراتها تقع على عاتق الأهالي[4]. هذا التناقض بين الجانب النظري والتطبيقي جعل سلطات المعارف العثمانية تدور في فلك العجز وعدم القدرة على مواجهة متطلبات النهوض بواقع

---

[1] ابراهيم خليل احمد، **تطور التعليم** ، ص31؛مسارع الراوي، المصدر السابق،ص11؛ جميل موسى النجار، المصدر السابق، ص34 .

[2] غانم سعيد العبيدي ، المصدر السابق، ص 69.

[3] صدر القانون في عهد السلطان **عبد العزيز** (1861– 1876)، على عهد وزارة **عالي باشا**، لغرض تنظيم التعليم وتطويره في الدولة العثمانية. للإطلاع على نص القانون، ينظر/ **الدستور**، ترجمة نوفل أفندي نعمة ا نوفل، المجلد 2، بيروت، 1310 هـ، ص 156 – 187.

[4] جميل موسى النجار، المصدر السابق، ص 35.

التعليم المتدني في ولايات الدولة، لذا بقي تعليماً متخلفاً وعلى نطاق محدود جداً، وهو ما انعكس سلباً على المجتمعات المحلية عبر تزايد معدلات الأمية والجهل في العراق.

لم يتوقف عجز سلطات المعارف العثمانية عند حدود تغيير صورة الواقع التعليمي في العراق، وإنما تخطاها لتفشل في تنظيم علاقتها مع المؤسسات التعليمية الأجنبية، حيث وجدت تلك المؤسسات الأبواب مفتوحة على مصاريعها، لتعمل بكل حرية وتفتح ما تشاء من المدارس[1]. ويرجع سبب هذا الموقف من جانب السلطات العثمانية إلى انشغالها بمشاكلها السياسية والعسكرية وأزمتها المالية. وهذه الانشغالات جعلت مستوى الخدمات التعليمية التي تقدمها لرعاياها لا ترتقي لمستوى سد حاجاتهم في هذا القطاع[2]، لذا غضوا الطرف عن الإرساليات والجمعيات الأجنبية لكي تعمل بكل حرية في مجال التعليم في جميع ولايات الدولة، ومنها الولايات العراقية[3].

لم يطرأ أي تغيير على موقف السلطات العثمانية من نشاط المؤسسات التعليمية الأجنبية حتى بعد صدور قانون المعارف العثماني عام 1869م، والذي نصت أحد بنوده على إلزام المدارس الأجنبية كافة بضرورة استحصال موافقة مجلس معارف الولاية[4] لغرض ممارسة نشاطاتها[5]. فعلى الرغم من وجود فقرات تنظم شؤون المدارس الأجنبية من حيث: الضوابط،، وشروط تأسيسها، وإلزام مؤسسيها ضرورة إستحصال الموافقات الأصولية من مديرية المعارف في الولاية التي تقع فيها المدرسة، فإنه حظر استخدام المدراء والمعلمين ما لم تصادق شهاداتهم الدراسية. كما منعت تدريس المواد الدراسية المخالفة للآداب وسياسة الدولة، فضلاً عن إلزام المدارس بتصديق جداول الدروس وكتبهم المقررة في مديرية المعارف[6].

---

(1) غانم سعيد العبيدي ، المصدر السابق، ص 110.

(2) Bernard Lewis, **The Emergence of Modern Turkey**, London, 1962, P. 111-112.

(3) شفيق جحا ،المصدر السابق ، ص 135.

(4) لم يؤسس مجلس معارف ولاية بغداد إلا في عام 1883م. وطوال الفترة المحصورة ما بين صدور القانون وتأسيس مجلس المعارف، كان مجلس الولاية يتولى إدارة شؤون المعارف لكونها من جملة واجباته المنصوص عليها في الدستور. وهذا أضعف من قدرة إدارة المعارف في إلزام المؤسسات الأجنبية. ينظر/ عبد الرزاق الهلالي، المصدر السابق، ص 227. **أنظر جدول رقم**(13)

(5) إبراهيم خليل احمد، **تطور التعليم**، ص 35 ؛ ياسين شهاب شكري، ص 72.

(6) الدستور، **المجلد الأول**، ص 174.

ولانضيف جديداً، إذا ما قلنا بانه: ضعف سلطات المعارف العثمانية جعل الأليانس، مثل غيرها من المؤسسات الاجنبية، تعمل بحرية تامة في إدارة شؤونها في مختلف المجالات. وفي ضوء هذا الوضع لم تربط إدارة الأليانس في بغداد تربطها أي علاقة بسلطات المعارف العثمانية، فقد كانت تتلقى تعليماتها من المقر الرئيسي للجمعية في باريس إلى جانب تعيين المدير وهيئة التدريس من هناك[1]. وليس هذا فحسب، وإنما عارضت إدارة الأليانس أي تدخل من جانب مديرية المعارف في بغداد في شؤونها[2]. ويشير الباحث بدر مصطفى عباس بوضوح إلى هذه المسألة، حيث كتب يقول: "**إن هذه المدارس [يقصد الأليانس] لم تكن تلتزم بهذه التعليمات، بل كان مؤسسوها يعارضون تدخل الدولة في شؤونها، مما أدى في النهاية إلى إفشال قانون المعارف العام**"[3].

إن سياسة غض الطرف التي مارستها السلطات العثمانية تجاه المؤسسات التعليمية الأجنبية، وتركها تعمل بكل حرية من دون رادع أو متابعة، تعود إلى انشغالها بمشاكلها الخارجية وتدخلات الدول الأوربية، لاسيما روسيا القيصرية، وجراء ذلك أهملت الكثير من إنشغالاتها الداخلية. وهو ما أثر سلباً على الخدمات التي كانت تقدم في مجال التعليم في ولاياتها، لاسيما ولايات العراق. وقد ساهم ذلك في تعزيز دور المدارس الأجنبية في نشر الثقافة الأجنبية أكثر من المحافظة على الثقافة المحلية [4].

[1] علي إبراهيم عبده وخيرية قاسمية، المصدر السابق، ص 59.

[2] يحزقيل يفتح، المصدر السابق، ص 45 ؛ Hayyim Cohen, op. Cit., P. 118 .

[3] بدر مصطفى عباس، المصدر السابق، ص 35.

[4] جميل موسى النجار، المصدر السابق، ص 135.

جدول رقم (13)

أسماء مدراء المعارف في ولاية بغداد

ت	الاسم	سنوات الخدمة	الملاحظات
1	سامي بك	1884	لم يبقَ طويلاً في عمله
2	خالص أفندي	1885 – 1889	
3	محمد أفندي الجميل	1889 – 1893	
4	عيسى روحي	1893 – 1894	
5	راغب بك	1894 – 1896	
6	عيسى غياث الدين	1896 – 1898	
7	أدار شؤون المعارف محاسب المجلس	1898 – 1908	شغل المنصب طوال هذه الفترة. وكا محاسب المجلس يديره بالنيابة.
8	حسين رفيق أفندي	1908 – 1913	
9	عبد ا فيضي بك	1913	بقية لأشهر معدودة
10	رفعت بك	1913 – 1914	
11	حكمت سليمان	1914 – 1916	تولى الإدارة وكالة، وفيما بعد جرى تثبيت في منصبه.

ومن خلال المصادر المتوفرة، لم نجد ما يشير إلى كون السلطات العثمانية المختصة مارست أي سلطه في الضغط على الأليانس على الدوام. وعلى مدى قرابة النصف قرن من الزمن لم يسجل تدخل السلطات العثمانية المختصة في فرض سلطاتها وان كانت بشكل عابر ليس أكثر الا في حادثتين. **أولهما**، عندما أجبرت على تقديم طلب للحصول على إجازة عمل في عام 1891م، بعد تهديدها بالغلق، وذلك في عهد مدير معارف بغداد **محمد أفندي الجميل**. وإزاء هذا الضغط استجاب مدير الأليانس وسارع بتقديم الطلب لغرض إستصدار إجازة العمل، التي صدرت في: 24 كانون الثاني/جانفي 1891م[1]. إلا أن ذلك لم يؤشر إلى أي تعهدات أو التزامات فرضت على الأليانس من حيث أسلوب إدارتها وعملها أو أي شيء يتعلق بها. وإنما على العكس بقيت تدير شؤونها من دون أي تغيير يذكر.

وثانيهما، كان في عام 1892م عندما تقدمت إدارة الأليانس بطلب للحصول على موافقة مجلس ولاية بغداد لافتتاح مدرسة للبنات في المدينة[2]. والغريب في الامر، بانه على الرغم من عدم التزام إدارة الأليانس في بغداد على مدار سنوات عملها السابقة بأي من القوانين والتعليمات التي كانت تصدرها السلطات العثمانية المختصة، إلا أنها لم تجد أي صعوبة تذكر في استحصال الموافقة. علماً بان الدافع الحقيقي من وراء تقديم إدارة الأليانس لهذا الطلب ليس من باب التزامها بالقوانين والتعليمات التي تصدرها سلطات المعارف العثمانية، وإنما بسبب ظروف وحسابات دفعتها لاتخاذ مثل هذه الخطوة، أذ كان يدخل في إطار الصراع القائم بينها وبين أنصار التيار الديني المحافظ، الذي كان يرفض التغييرات التي تسعى الى تحقيقها في حياة الطائفة اليهودية. وكان من المؤكد أن فكرة فتح المدرسة للبنات ستصطدم بمعارضة هؤلاء، لذلك أرادت ان تستند على أرضية قانونية لخطوتها تلك حتى لا تعرقل. لهذا كانت الاستعانة بحماية السلطات الحكومية والتظاهر بتطبيق القوانين والتعليمات الخاصة بشؤون التعليم أفضل من فشل خطوة كان لا بد منها في إطار تغيير أوضاع الطائفة اليهودية. ومما يؤكد حقيقة ذلك، أن إدارة الأليانس في بغداد لم تعمل فيما بعد على استصدار الموافقات الرسمية عندما فتحت مدارس تابعة لها في المدن العراقية الأخرى.

---

[1] **سالنامة نظارة المعارف العمومية**، ألسنة 1317هـ/ 1899م، ص 965.

[2] **سالنامة نظارة المعارف العمومية**، ألسنة 1317هـ/ 1899م، ص 825.

وهناك من الحقائق ما يؤكد تجاهل الأليانس للسلطات العثمانية المختصة، فقد تجاهلت الأمر السلطاني الذي صدر في: 19 كانون الثاني/جانفي عام1875م، الذي نص على ضرورة إلزام غير المسلمين الحصول على موافقة الباب العالي. تحديداً، عندما يرغبون في فتح مدارس جديدة، وان يعملوا على الحصول على مثل هذه الموافقة لمدارسهم القائمة فعلاً [1].

ولم يتغير الحال، حتى بعد انقلاب الاتحاديين في عام 1908م، أين استمرت الأليانس تعمل دون أي التزامات قانونية أو إدارية تجاه سلطات المعارف العثمانية[2]. وبل على العكس، الغى الاتحاديين الالتزامات التي كانت مفروضة على المدارس الأجنبية والأهلية، وعندما أصدرت وزارة المعارف قراراً في أواخر عام 1908م، أعفاها بموجبه من أي التزام تجاه السلطات الرسمية[3]. لقد تلاءم هذا مع موقف الأليانس تجاه القوانين والتعليمات التي كانت تصدرها وزارة المعارف العثمانية القائمة على أساس تجاهلها وعدم إعارة أي اهتمام لها.

ختاماً، نستطيع القول بان مدارس الأليانس على مدى خمسين عاماً تقريباً لم تجد ما يعرقل نشاطها أو يحد من عملها في العراق من جانب سلطات المعارف العثمانية. وعلى العكس، كانت تعمل بكل حرية وهدوء، الأمر الذي سهل عليها مهمة ترسيخ جذورها وحقق لها نجاحاً ساحقاً أثر كثيراً في حياة الطائفة اليهودية في بغداد ، ومما ساعدها على الخروج الى خارج حدود بغداد حيث التجمعات اليهودية الأخرى.

2. موقف سلطات المعارف العراقية :

---

[1] **سالنامة ولاية البصرة**، ألسنة 1314 هـ/ 1896م ، ص 15.

[2] جميل موسى النجار، المصدر السابق، ص 33.

[3] بدر مصطفى عباس، المصدر السابق، ص 58.

ساهمت سياسة سلطات الانتداب البريطاني في العراق في دعم أنشطة المدارس الأجنبية والأهلية التابعة للطوائف الدينية، وهي ذات السياسة التي اتبعتها إبان الاحتلال،عبر مستشارها[1] في وزارة المعارف، إذ كان يوجه شؤون الوزارة ويرسم خططها بطريقة مباشرة بما يخدم المصالح البريطانية. وبسبب تدخلاته المستمرة لصالح تلك المؤسسات على حساب السياسة العامة للوزارة،كثيراً ما تأزمت الأمور بينه وبين كبار موظفي الوزارة [2].

لقد ساد الاقتناع لدى مسؤولي وزارة المعارف العراقية بضرورة إعادة النظر في عمل المؤسسات التربوية في العراق، على اختلاف مشاربها، وضرورة ربطها بدوائر الوزارة وإلزامها بالخضوع لقوانينها وتعاليمها. فقد وجدت في هذا الإجراء ما يعكس هويتها الوطنية عبر توحيد الأهداف التي تعمل على تحقيقها المنظومة التربوية. وفي إطار هذا التوجه باشرت الوزارة عملها مبكراً في تأكيد مرجعية هذه المؤسسات إليها. وأولى بوادر هذا التوجه تبلورت بعد عام من قيام الدولة العراقية، بأصدارها تعليمـات مـن وزارة المعارف فـي 29 تموز/جويليه 1922م تلزم تلك المؤسسات بتقديم معلومات وافية عنها عبر كشوفات يذكر فيها: اسم المدير المسؤول ،أسماء معلميها، محلات إقامتهم، نشأتهم بالإضافة إلى تعليمات المدرسة الداخلية ومفردات المناهج التي تدرس فيها. على ان تصحب الكشوفات المقدمة بنسخ من جميع الكتب التي لا تدرس باللغة العربية. كما ألزمتها الحصول على موافقة وزارة المعارف في حالة إجراء أي تعديلات في مناهجها، فضلاً عن إعلام الوزارة بأي تغيير يحدث في الهيئة التدريسية فيها[3].

نتيجة لهذا التوجه، شهدت العلاقة بين سلطات المعارف والأليانس عملية أخذ ورد. وحاولت إدارة الأليانس التملص من أي التزام وإشراف مباشر للسلطات الحكومية بحجة أنها مدارس أجنبية لا تخضع لقوانين الوزارة[4]. لكنها حالما كانت توزع المساعدات المالية على المؤسسات التعليمية الأهلية، كانت الأليانس تطالب بمعاملتها معاملة المدارس الأهلية وتخصيص حصة لها من هذه

---

[1] بموجب صك الانتداب الذي فرضته عصبة الأمم على العراق عام1921م، وانتدبت بريطانيا لتنفيذه، فـرض على الحكومة العراقية تعيين مستشار بريطاني مع كل وزير من الحكومة يقوم بتقديم المـشورة والـرأي للوزير المختص وصولاً إلى الخبرة اللازمة التي تؤهل العراق على إدارة شؤونه بالشكل المطلوب.

[2] مسارع الراوي، المصدر السابق، ص 12.

[3] ساطع الحصري، **مذكراتي في العراق 1921 – 1941**، ج1، بيروت، 1967، ط1، ص 123.

[4] المصدر نفسه، ص 123.

المساعدات[1]. وهذه الازدواجية سببت الكثير من الإرباك لسلطات المعارف، وأضعفت قراراتها أيضاً.

إزاء تشبث إدارة الأليانس، وبقية المدارس الأجنبية الأخرى، بأنها أجنبية ولا يحق لوزارة المعارف إلزامها باتباع ما يصدر عنها، لم يتردد مسئولو الوزارة في البحث عن أقصر السبل التي تختصر الزمن وصولاً إلى وضع هذه المؤسسات تحت إشرافها من دون اعتراض.

ونظراً لقلة الخبرة ومحدودية الإمكانيات المتوفرة آنذاك تبنت الوزارة قانون المعارف العثماني في عام 1923م تشريعاً ينظم العلاقة بينها وبين جميع المؤسسات التعليمية العاملة في العراق، أذ رأته مع الواقع المحلي لاسيما ان سبق تطبيقه في العراق أيام الحكم العثماني. وأبلغت مديريات التربية في الألوية العراقية بضرورة الالتزام بتنفيذ بنوده كافة. وشددت على الفقرات التي تلزم المدارس كافة سواء كانت أجنبية أم أهلية الخضوع لمراقبة المشرفين التربويين ومتابعتهم في مديريات التربية التي توجد فيها[2]. وبذلك أرادت الوزارة بهذه الخطوة، وضع حد لمحاولات الأليانس وغيرها في التذرع بعدم خضوعها للقوانين المحلية، وكان أن أخضعت بشكل أو بآخر للقانون العثماني من ذي قبل. وهي في ذات الوقت، خطوة تمهيدية لإخضاع هذه المؤسسات لإشرافها، عبر تحديد اتصالاتها بالجهات الأجنبية التي كانت كل واحدة منها تعمل على خدمة مصالحها.

على الرغم من الجهود التي كانت تبذلها وزارة المعارف في ربط المؤسسات التعليمية الأجنبية بدوائرها، إلا أنها فشلت بعض الشيء في هذا المسعى. يرجع ذلك لعدة أسباب، منها: قلة خبرة كوادرها في مواجهة الأساليب الملتوية من جانب إدارات تلك المؤسسات. والأكثر من هذا، موقف سلطات الانتداب البريطانية من تلك المؤسسات القائم على أساس دعمها المطلق لكون ذلك يشكل فائدة لها وورقة ضغط على سلطات المعارف العراقية لتمرير ما تريد.

إزاء دعم سلطات الانتداب البريطاني المؤسسات التعليمية الأجنبية، تنبه مدير المعارف العام **ساطع الحصري** إلى ضرورة وضع حد لما يحدث عبر وضع تشريع متكامل ينظم علاقة تلك

---

(1) ساطع الحصري ،**مذكراتي في العراق**،ج 1 ، ص 167.

(2) غانم سعيد العبيدي، المصدر السابق، ص 86.

المؤسسات بوزارة المعارف يقطع الطريق عليها في الاحتماء بسلطات الانتداب. فتقدم بمسودة مشروع نظام المدارس الأهلية والأجنبية إلى مجلس الوزراء في 16 شباط/فيفري 1924م. والذي يمكن تلخيص أسسه ومبادئه فيما يلي[1]:

1- تقوية علاقات المدارس الأهلية والأجنبية مع وزارة المعارف.
2- إعطاء وزارة المعارف الصلاحية الكافية ليتسنى لها مراقبة هذه المدارس ورفع مستواها بما يتلاءم مع سياسة الوزارة.
3- إرغام تلك المدارس على بث الشعور القومي والحفاظ على وحدة العراق.
4- قيام الوزارة بمراقبة تلك المدارس حتى لا تتخذ قاعدة لإشاعة الفكر السياسي المضاد للبلاد.

أثارت هذه الخطوة من جانب الحصري غضب دار الاعتماد البريطانية. فأخذت تمارس ضغوطها، عبر مستشاريها في الحكومة العراقية، كي تثني مجلس الوزراء عن الموافقة على إصدار هذا التشريع. وتدخل المندوب السامي البريطاني هنري دوبس عندما استدعى الحصري شخصياً ودخل معه في حوار ونقاش طويل، طالبه في ختام اللقاء بضرورة الكف عن التدخل في شؤون المدارس هذه، وان يتركها تعمل بحرية من دون تدخل[2]. مذكراً إياه بتعارض ذلك مع بنود المعاهدة العراقية البريطانية لعام 1922م[3]. وإزاء هذا الضغط البريطاني تيقن الحصري باستحالة إقرار هذا المشروع[4]. وكانت مخاوفه في محلها، عندما أرجا مجلس الوزراء مناقشة هذا المشروع حتى إشعار آخر[5]، وفي ذاك إشارة واضحة إلى رفض المشروع بشكل مهذب ليس إلا.

---

[1] غانم وحيد خالد الجبوري، **أثر المثقفين العرب في تطور العراق المعاصر 1921- 1941**، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب /جامعة الموصل، 1955، ص 56.

[2] إنعام مهدي علي السلمان، **أثر هنري دوبس في السياسة العراقية**، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب /جامعة بغداد ، 1997، ص 133.

[3] تنص المادة (**12**) من المعاهدة العراقية البريطانية لعام 1922م، على ترك المؤسسات التعليمية الأجنبية تعمل من دون تدخل من جانب الحكومة. للمزيد من المعلومات ينظر/ عبد الرزاق الحسني، **تاريخ الوزارات العراقية**، ج1، بغداد، 1986، ص 127.

[4] غانم وحيد خالد الجبوري، المصدر السابق، ص 56.

[5] إنعام مهدي علي السلمان، المصدر السابق، ص 133.

لم تثن تدخلات المندوب السامي البريطاني أو المستشارين الإنكليز من عزيمة مَنْ كانوا يعملون على فرض هيبة وإرادة وزارة المعارف على المدارس الأهلية والأجنبية. وقد نجح هؤلاء في مساعيهم عندما صدرت في عام1925م تعليمات من وزارة المعارف ألزمت بموجبها المدارس الأهلية والأجنبية، بما فيها الأليانس، تطبيق المناهج الدراسية الرسمية المقررة من جانب الوزارة بدلاً مما كانت تتبعه من مناهج[1]. وهذا الإجراء، يعتبر خطوة جيدة في إطار إضفاء الصورة الوطنية على هذه المؤسسات، لتمهد مستقبلاً نحو إجراءات أوسع، تعزز من إشراف وزارة المعارف على شؤونها.

كانت مجلة **المصباح** قد تنبأت بإقدام وزارة المعارف مستقبلاً على اتخاذ هذه الخطوة، وباركتها في ذات الوقت، لأنها وجدت هذا الإجراء، أي تطبيق المناهج الحكومية، ينصب في مصلحة طلبتها قبل كل شيء[2]. ولم تقف المجلة عند هذا الحد، وإنما عادت بعد عدة أشهر لتدعو الأليانس إلى ضرورة جعل اللغة العربية كلغة تدريس بدلاً من الفرنسية خاصة بعد تزايد أعداد الطلبة الملتحقين بالمعاهد العراقية،التي غالبيتها تعتمد اللغة العربية كلغة تدريس إلى جانب اللغة الإنكليزية[3]. وعلى ما يبدو أن هذه الضغوط إلى جانب الإجراءات التي بدأت وزارة المعارف تتخذها أجبرت مدارس الأليانس على اعتماد المناهج الدراسية وكل ما يعزز من علاقتها مع الوزارة خدمة لمصلحة طلبتها.

هذا على الصعيد الإداري، أما على الصعيد المالي، فالأليانس سعت بشتى السبل للحصول على الدعم المالي الذي كانت تقدمه وزارة المعارف العراقية. ولأجله دخلت في خلافات مع الوزارة يدعمها في ذلك وزير المالية اليهودي ساسون حسقيل، الذي كان أحد طلبتها في السابق. فالمعروف أن مدارس الأليانس منذ أواخر العقد الثاني من القرن الماضي كانت تخضع إدارياً لإشراف مباشر من جانب قيادة الأليانس في باريس، إلا أنها على الصعيد المالي، وحسب الاتفاق الذي أشير اليه من قبل، كانت تخضع لإشراف ومراقبة لجنة المدارس، التي هي إحدى لجان

---

[1] وزارة المعارف، **التقرير السنوي لسنة 1926/25**، المصدر السابق، ص 21.

[2] **مجلة المصباح**، العدد 4 في 1924/5/1.

[3] المصدر نفسه ، العدد 30 في 1924/11/3.

رئاسة الطائفة اليهودية في العراق[1]. وبحكم هذه الازدواجية في الإشراف حاولت إدارة الأليانس في بغداد تحقيق هدفين متضادين، الأول: رفع يد السلطات العراقية المختصة عنها بصفتها مؤسسة تعليمية أجنبية لا يمكن أن تخضع للقوانين المحلية، والثاني الاستفادة من المساعدات المالية التي أخذت تقدمها وزارة المعارف للمؤسسات التعليمية لدعم أنشطتها في نشر العلم والمعرفة في المجتمع العراقي.وإزاء محاولة إدارة الأليانس خلط الأوراق فيما يخص تحديد هويتها. كان لابد من الوقوف قليلاً لتحديد مصطلحي المدارس الأهلية والمدارس الأجنبية.

المدارس الأهلية: هي تلك المدارس التي تؤسس وتدار وتستمد ماليتها من العراقيين ومن السلطات المحلية، فيما تعرف **المدارس الأجنبية**: على أنها المدارس التي تؤسس وتدار وتستمد ماليتها من أشخاص أجانب ومنظمات أوباسم الحكومات الأجنبية[2].ومن خلال هذين التعريفين، يتضح أن مدارس الأليانس، هي: مدارس أجنبية من حيث إدارتها وهويتها، لأرتباطها ارتباطاً مباشراً بقيادة الجمعية في باريس، وكانت الأخيرة تتولى مهمة إرسال المدراء وهيئات التدريس والتعليمات وغيرها من الأمور[3]. ولم تحظ باستقلاليتها إلا في الجانب المالي، ويرجع ذلك إلى سياسة الجمعية القائمة على أساس ترك هذا الأمر بأيدي أبناء الطائفة اليهودية التي تعمل بها المدرسة[4].

لقد أحدث هذا التداخل في هوية مدارس الأليانس خلافات كبيرة داخل الحكومة العراقية، حيث يرى مسئولو المعارف العراقية أنها مؤسسات تعليمية أجنبية في كل شيء، فيما يرى المستشارون الإنكليز أنها مؤسسات تعليمية أهلية، ويجب أن تخضع لجداول المساعدات المالية التي تقدمها الحكومة للمدارس الأهلية. ويدعمهم، في هذا الرأي، وزير المالية العراقي **ساسون حسقيل**[5].

وعندما وصل الخلاف بين الطرفين إلى نقطة اللاعودة، تم طرح القضية على مجلس الوزراء العراقي في جلسته المنعقدة في 3 تشرين الثاني/نوفمبر1921م. وبفعل الضغط الذي

[1] تقرير عن المدارس الإسرائيلية، ص 13.

[2] غانم سعيد العبيدي، المصدر السابق، ص 11.

[3] المصدر نفسه، ص 82 ؛ فاضل البراك، المصدر السابق، ص 49.

[4] تقرير عن المدارس الإسرائيلية، ص 4.

[5] ساطع الحصري، **مذكراتي في العراق**، ج1، ص 124.

مارسه المستشارون الإنكليز، عدت كل مدرسة غير حكومية مدرسة أهلية إذا زاد عدد طلبتها من العراقيين على 90% من مجموع الطلبة[1]. ويشير الأستاذ ساطع الحصري إلى أن هذا القرار، كان إجراءاً يخالف مفاهيم الإدارة ومقتضيات التربية والتعليم، لكون تبعية المدرسة تتحدد بتبعية هيئاتها الإدارية، لا تبعية طلبتها. فالمدرسة التي تؤسسها وتديرها هيئات أجنبية يجب أن تعد أجنبية حتى لو كان جميع طلبتها من العراقيين[2].

ويتهم الأستاذ ساطع الحصري في مذكراته بشكل مباشر وزير المالية اليهودي ساسون حسقيل بأنه يقف وراء إصدار مثل هذه التعليمات من أجل إدخال مدارس الأليانس في عداد المدارس الأهلية دون التقيد بما يصدر عن وزارة المعارف من قوانين وتعليمات، ومن ثم تلزم الوزارة بتخصيص معظم المساعدات المالية إليها نظراً لكثرة أعداد طلبتها، على اعتبار إن ذلك يدخل في إطار تحديد قيمة المساعدة[3].

لكن سرعان ما سحب البساط من تحت وزير المالية ساسون حسقيل والمستشار البريطاني للوزارة، عندما أصدر مجلس الوزراء العراقي تعليمات خولت بموجبها وزارة المعارف تحديد قيمة المساعدات المالية وعملية توزيعها على المدارس بعدما كانت وزارة المالية تقوم بذلك[4]. ولم تجدي محاولات دار الاعتماد البريطانية في إحباط قرار الحكومة هذا، وأعادت هذه الصلاحيات إلى وزير المالية[5].

وفي الأول من آذار/مارس عام1926م صدر قانون توزيع المساعدات للمدارس الأهلية رقـم(18) لسنة 1926م[6]، الذي أعاد النظر في عملية توزيع الأموال إلا انه فشل في تحديد أي المدارس تستحق أوأي لا تستحق؛ إلا أن ما يميز هذا القانون بدء تعامله مع المدارس الأهلية كوحدة مستقلة قائمة بذاتها. وعلى أساسه تم تحديد حجم المساعدة. كما اشترط القانون بان تدفع المساعدات للمدارس التي تمارس نشاطها فعلاً وتخفف عن كاهل الوزارة من أعباء عملية نشر

---

(1) غانم وحيد خالد الجبوري، المصدر السابق، ص 54.
(2) ساطع الحصري، **مذكراتي في العراق**، ج1، ص 166.
(3) المصدر نفسه، ص 167.
(4) للمزيد من المعلومات حول هذه التعليمات يمكن مراجعة: المصدر نفسه ، ص 163 – 175.
(5) غانم سعيد العبيدي، المصدر السابق، ص 84.
(6) **الوقائع العراقية**، العدد (412) في 1926/3/11.

التعليم، وليس من أجل إنشاء مدارس جديدة. وبذلك حدد القانون حجم المساعدات على الدور الذي تقوم به المدرسة لا على أساس تبعيتها الطائفية[1]. وساهم هذا القانون في تراجع مستوى الدعم المالي الذي كانت تحظى به الأليانس سابقاً، عندما كانت تحدد على أساس تبعيتها الطائفية أو عدد طلبتها.

لم يستكن المشرفون على مدارس الأليانس في بغداد ولم يستسلموا للإجراءات المتلاحقة التي كانت تتخذها وزارة المعارف، وحاولوا إثبات عدم مشروعيتها، لاسيما بعد تراجع معدل المساعدات المالية التي كانت تحظى بها المدارس. وفي هذا الاتجاه، لم يجد هؤلاء مخرجاً يمكنهم من التخلص من ضغوط الوزارة إلا وحاولوا طرقه للالتفاف على التعليمات التي كانت تصدرها وزارة المعارف. وهذه المرة وجدوا ثغرة في تعليمات وزارة المعارف، عندما تقدموا بطلب للوزارة ادعوا فيه بضرورة تطبيق مبدأ " **اعتبار حق مراقبة الحكومة مرتبطاً بما تقدمه من مساعدات** "[2]. وبما أنها كانت تحصل على مقدار ضئيل من المساعدات وتمتعها بموارد مالية أخرى تمكنها من الاستغناء عن مساعدات الوزارة، طلبت قطع هذه المساعدات لتتمكن فيما بعد من استعادة استقلاليتها التي سلبت بواسطة الإجراءات الحكومية. غير أن الرفض كان الرد على مقترح الأليانس وبحزم، أذ أبلغت رسمياً بأن حق المراقبة من الحقوق الأساسية للحكومة؛ وان جميع المدارس الأهلية والأجنبية لا بد أن تكون تحت مراقبة الوزارة، وتتبع جميع أوامرها سواء أخذت مساعدات أم لم تأخذها[3].

وفي نهاية المطاف، تمكن مسئولو وزارة المعارف من ارغام إدارة الأليانس على الالتزام بكل ما يصدر عن وزارتهم، وجرى تهديدها بعدم الاعتراف بشهاداتها إن لم تطبق المناهج الحكومية، وتسير شؤونها وفق السياسة التي تحددها الحكومة في قطاع التعليم. وبهذه الخطوة تمكنت الوزارة من الضغط على الأليانس بشكل غير مباشر، لأن عدم التزام الأليانس واستجابتها لهذا المطلب سوف يدفع أبناء الطائفة اليهودية على تغيير وجهتهم إلى مدارس أخرى للاستفادة من

---

[1] غانم سعيد العبيدي، المصدر السابق، ص 84.

[2] ساطع الحصري، **مذكراتي في العراق**، ج2، ص 364.

[3] ساطع الحصري، **مذكراتي في العراق**، ج2، ص 364.

فرص إكمال دراستهم العليا في المعاهد العراقية. وهو ما لم تكن ترغب الأليانس فيه، لأنها سوف تفقد مكانتها وسمعتها المكتسبة على مدى سنوات طويلة[1].

وجاء قانون المعارف العامة رقم 57 لسنة1940م[2]، والذي يعد من القوانين المهمة في مسيرة المعارف منذ قيام الدولة العراقية، ليساهم في توطيد أركان الاستقلال الثقافي للتعليم في العراق. كما انه يمثل مظهراً من مظاهر الإدارة الوطنية للعراقيين برفضهم لأي نوع من أنواع التسلط الأجنبي[3]، حيث وضعت المدارس الأهلية والأجنبية بموجب هذا القانون تحت إشراف وزارة المعارف ومراقبتها، وألزمتها بدون أي إستثناءات تطبيق المناهج الحكومية، فضلاً عن توليها تعيين المدراء والمعلمين وعملية إعارتهم، ومنعها من قبول الإعانات من جهات أجنبية إلا بعد موافقة الوزارة[4].

وهكذا خضعت مدارس الأليانس في نهاية المطاف للأمر الواقع والمتغيرات التي يشهدها قطاع التعليم في العراق؛ وبدأت اتصالاتها مع قيادة الجمعية في باريس تشهد تراجعاً ملموساً، وعزز ذلك التغيير الذي طرأ على موقف الأليانس من الحركة الصهيونية وما يجري من أحداث في فلسطين، عندما أعلنت تأييدها للصهيونية وأطماعها في فلسطين. وعلى أثر هذه التطورات قطعت كل خطوط الاتصال بين الطرفين في السنوات الأخيرة من عملها في العراق، وأصبحت تخضع كلياً لإشراف لجنة المدارس في رئاسة الطائفة اليهودية في العراق حتى توقفت تماماً في عام1951م على أثر صدور قانون إسقاط الجنسية العراقية عن اليهود عام 1950م، عندما انتفت الحاجة للعدد الكبير من المدارس اليهودية التي كانت تعمل آنذاك[5].

ومن الهفوات التي كادت تطيح بالسمعة التي حققتها الأليانس على مدى سنوات عملها الطويلة، وزرع بعض الشكوك في مصداقيتها، اكتشاف عمليات تزوير لشهادات تخرج الطلبة، فقد قام أحد موظفي الأليانس عام 1923م بتزويد بعض الطلبة ممن لم يكملوا دراستهم الإعدادية

---

(1) غانم سعيد العبيدي، المصدر السابق، ص 86.

(2) للإطلاع على نص القانون أنظر/ محمود شهاب احمد وآخرون، **مجموعة القوانين والأنظمة والتعليمات لوزارة المعارف**، بغداد، 1948، ص 10 – 12.

(3) صالح محمد حاتم عبد ا ، المصدر السابق، ص 164 – 165.

(4) محمود شهاب احمد وآخرون، المصدر السابق، ص 12.

(5) **رئيس الطائفة اليهودية في العراق**، بغداد، مقابلة في 2001/6/25.

بشهادات تخرج مزورة، مستغلاً المتغيرات السياسية التي مر بها العراق بعد انتهاء الحكم العثماني وقيام الحكم الوطني في العراق، فضلاً عن توفر الأختام الرسمية التي تعود إلى ذلك العهد والتي كانت محفوظة في المدرسة[1]. ألا ان إدارة الأليانس استطاعت ان تسترد عافيتها عبر سلسلة من الإجراءات التي حالت دون حدوث ذلك مستقبلا .

[1] **م.و.م.**، ملفة رقم 1691/25/ق، اسم الملفة/المدارس الأهلية لسنة 1923، كتاب وزارة المعارف إلى وزارة الداخلية برقم 1381 في 1923/10/3.

الخاتمــة:

من خلال دراستنا لموضوع (مدارس الأليانس الإسرائيلي العالمي وأثرها على الطائفة اليهودية في العراق) يتضح لنا الآتي:

1. كان إهمال الدولة العثمانية لشؤون التعليم، وتأخرها عن القيام بالأعمال التي من المفترض القيام بها في هذا المجال، قد ساهم في انتشار مظاهر الجهل والتخلف والأمية واتساعها بشكل فاق كل التوقعات، وعزز ذلك عجز المؤسسات التعليمية التقليدية عن توفير التعليم اللائق الذي يمكن السكان من تجاوز الظروف الصعبة التي يمرون بها.

   ولم تجد محاولات الدولة العثمانية لإصلاح شؤون مؤسساتها، لاسيما قطاع التعليم، إلا أن ذلك ظل مقتصراً على العاصمة اسطنبول. ولم يجر افتتاح أول مدرسة على وفق التعليم الحديث في بغداد إلا في عام 1869 ،أي: في عهد الوالي مدحت باشا. ولكن حتى هذه البداية المحتشمة لم تكن ذات أثر لأنها كانت مقتصرة على عليّة القوم، فيما حرم منها بقية الراغبين من تلك الخدمات. وأكثر من هذا، حملت الأهالي مسؤوليات أكبر من طاقتها، كجهة مسؤولة، في إقامة المؤسسات التعليمية في المدن العراقية، وانعكاسات ذلك خطيرة على مستوى التعليم.

2. تباطؤ السلطات العثمانية في القيام بدورها المطلوب في تطوير مستوى التعليم فسح المجال أمام الإرساليات التبشيرية المسيحية لتأخذ على عاتقها إدخال الأساليب والطرائق الحديثة في التعليم فقامت بإنشاء الكثير من المدارس الحديثة بهدف تحقيق أهدافها التبشيرية عبر تغيير مذاهب الأهالي من المسيحيين. ومما زاد من كثافة نشاط هذه الإرساليات عدم تدخل السلطات العثمانية في شؤونها ومنحها تسهيلات وامتيازات للدول الأوربية خلال القرن التاسع عشر، مما مكنها من إنشاء شبكة واسعة من المدارس، إلا أنه لا يمكننا القول: أنها ساهمت في خفض مستوى الأمية بسبب خصوصيتها واقتصارها على الأهالي من المسيحيين.

3. فشل المؤسسات التعليمية الدينية اليهودية في العراق في تقديم صورة جديدة للتعليم لأنها كانت تعمل ضمن أفق محدود جداً، وهي لا تختلف هنا عن المؤسسات التعليمية

الإسلامية. ولهذا وجد الكثير من يهود العراق أن بقاء التعليم على أساسه الديني يعني فقدانهم للحقوق التي ضمنتها الدولة العثمانية في إطار حركة الإصلاح التي شهدتها أواسط القرن التاسع عشر، فكان لا بد من العمل لإيجاد مخرج لهذا الجمود الذي كانت تعيشه الطائفة اليهودية. فظهر بصيص من الأمل الذي أخذت الأليانس تستوقده في حياتهم من أجل تغيير أوجه التعليم اليهودي والارتقاء به نحو حياة أفضل مما هم عليه. لهذا كانت الأليانس ضرورة تاريخية في حياة الطائفة اليهودية في العراق خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر.

4. جاء تأسيس الأليانس في فرنسا كرد فعل واضح لحالة الاندماج التي بدأت تعيشها الطائفة اليهودية في هذا البلد؛ كما أنها شكلت حافزاً للتوجهات اليهودية التي تدعو إلى ضرورة اندماج الطوائف اليهودية في المجتمعات المحلية التي تعيش في ثناياها، وان الانفصال والانعزال ليس في صالحهم. ومن أجل تعجيل ذلك الأمر، وضعت الأليانس في مقدمة أهدافها أهمية تطوير القدرات الذاتية لأبناء الطوائف اليهودية بما يمكنهم من أخذ دورهم الفعّال والمؤثر داخل المجتمعات التي يعيشون فيها.

كما اتضح من الدراسة، بأن الأليانس خلال ما يقارب القرن من الزمن كانت تتقاطع في أهدافها مع الحركة الصهيونية التي كانت تعارض فكرة الاندماج وتدعو إلى العمل على تجميع اليهود في (**وطن قومي**) لهم في فلسطين. ولم يتغير الموقف هذا إلا في أواخر الحرب العالمية الثانية عندما أخذت قيادة الأليانس تتبنى الشعارات التي تطرحها الحركة الصهيونية بالنسبة إلى أطماعها في فلسطين.

5. تبين من خلال الدراسة، أن يهود بغداد حظوا باهتمام غير اعتيادي من قيادة الأليانس، مما جعل اختيارها يقع على بغداد لتفتح فيها أول مدرسة لها. والأسباب التي وقفت وراء ذلك ارتبطت بما كانت تتمتع به الطائفة اليهودية في بغداد من مكانة متميزة اجتماعياً واقتصادياً وروحياً أمام الطوائف اليهودية الأخرى في الشرق عموماً.

6. ساهمت الخطوات المدروسة التي كانت تسلكها الأليانس في عملها منذ اللحظة الأولى لانطلاقتها جعلها قادرة على تجاوز كافة الصعاب التي واجهتها. فعلى سبيل المثال، لم تحدث المعارضة التي واجهتها في بغداد، عند انطلاقتها الأولى عام 1864، أي إحباط لما كانت تخطط له.

وإنما على العكس تمكنت من استثمارها، أي: المعارضة، بتعزيز وجودها وترسيخه فيما بعد. ويتضح ذلك في النجاحات التي حققتها في بغداد، وبقية المدن العراقية التي أمتد اليها نشاطها على درجة أقل. وهي نجاحات انعكست آثارها الإيجابية على أحوال الطائفة اليهودية في العراق عموماً.

7. كان نجاح الأليانس سَبَباً رئيساً في تهيئة الأجواء التي مكنت طلبتها من استيعاب المناهج المتطورة التي واظبت على تدريسها،وفي المقابل، فشلت المدارس الحكومية، بل عجزت، في العهد العثماني عن القيام بدورها المطلوب، لافتقارها لأبسط المستلزمات التي تساعدها على أداء واجبها في أدنى مستوياته، أضف إلى ذلك إصرار السلطات العثمانية على تجاهل اللغة العربية وجعل اللغة التركية لغة التدريس ممّا ساهم في ارتفاع معدلات الرسوب والتسرب من مدارسها، في حين قامت الأليانس بإدخال اللغة العربية في مناهجها إدراكاً منها لأهمية معرفة يهود العراق للغتهم الأم. وهذا بطبيعة الحال، جعل طلبة الأليانس علامة مميزة في مجال التعليم، فضلاً عن مساهمة ذلك في تطوير إمكانياتهم الذاتية وتأهيلهم لاستكمال دراستهم في مراحل أعلى.

8. خالفت الأليانس الرؤية التي طرحتها الإرساليات التبشيرية عندما ربطت التحصيل العلمي بالعامل التبشيري، فلقد جعلت من التعليم غاية لا هدفاً تعمل من أجله. وطرحها هذا ساهم في حصول الطلبة الملتحقين بمدارسها على مستوى جيد من التعليم الحديث، سواء من الطلبة اليهود أو من غير اليهود الملتحقين بمدارسها من دون أدنى عقبات.

لقد عملت الأليانس منذ تأسيسها على ترسيخ هذا الهدف النبيل، نَقْصدُ مساعدة الطوائف اليهودية في تخطي حالة الجهل والتخلف حتى تتمكن من الاندماج في المجتمع المحلي دون عناء.

9. شكلت مدارس الأليانس عاملاً حاسماً في سحب البساط من تحت أقدام القيادات الدينية اليهودية وحاخاماتهم في العراق. كما قللت من تأثيرهم الروحي الذي كان يخضع يهود العراق له، وذلك في الآن الذي أخذت تأثيرات الثقافة الغربية الأوربية تبعد الشباب اليهودي المتعلم عن التزاماته الدينية. كما أنها عملت على بلورة التيار المستنير الذي كان

يناهض التيار الديني التقليدي مما عزز من قدراته في هذا الصراع، وساهم في انسلاخ يهود العراق من غياهب الأجواء القاتمة التي وضعتهم فيها المؤسسة الدينية.

10. لقد كشفت الدراسة عن كون مدارس الأليانس كانت قد أرست دعائم التعليم الحديث في الوسط اليهودي في العراق. وكان الطابع الأوربي واضحاً في الإجراءات الإدارية والتربوية التي كانت تتبعها الأليانس. وقد جعلها هذا الوضع تتميز في مستواها التنظيمي مقارنة بالمدارس الرسمية التي تزامنت معها بسبب المتغيرات التي كانت تشهدها السياسة التعليمية لهذه المدارس وإطلاعها على آخر المستجدات التي تطرا على التعليم في أوربا، لأن معظم القائمين في هذه المدارس يتقنون اللغات الأجنبية، كما أنها ساهمت في أن تكون حلقة الاتصال بين التعليم الشرقي والغربي.

11. أظهرت الدراسة مدى التحولات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي شهدتها الطائفة اليهودية بدءاً من نهاية القرن التاسع عشر وحتى الربع الأول من القرن العشرين، ودورها في توسيع مستوى التعليم الذي بدأته الأليانس في بغداد. فالخدمات التي كانت تقدمها الأليانس لم تعد تواكب ارتفاع أعداد الأفراد اليهود الراغبين في التعليم. فقد استدعى هذا الأمر تأسيس مدارس أخرى خارج إطار سيطرة الأليانس. فكان أن شهدت العقود الثلاثة الأخيرة من النصف الأول من القرن العشرين تأسيس الكثير من المدارس، على مختلف مستوياتها، لتأخذ دورها المكمل في تطوير مستوى التعليم اليهودي الحديث وتوسيعه بين أبناء الطائفة اليهودية في العراق.

12. تمكنت النخبة المثقفة اليهودية، التي كانت نتاج التطور الذي شهده التعليم اليهودي في العراق، من اثبات وجودها في ميادين الإدارة والاقتصاد والصحافة والتعليم ، فضلا عن الأهتمام بالواقع السياسي والاجتماعي السائد آنذاك. وهذا الأمر يدفعنا إلى القول بأن الأليانس قد أرست الدعائم المادية بتبلور هذه النخبة.

13. عزز مستوى التعليم المتطور الذي أدخلته الأليانس من مكانة يهود العراق في الحياة الاقتصادية، كان أن فرض هؤلاء اليهود هيمنة تكاد تكون مطلقه على قطاعي التجارة الخارجية والداخلية فضلا عن أعمال الصيرفة لعدة عقود. وكان لهذه الهيمنة الدور الكبير في التغييرات التي شهدتها أحوال الطائفة اليهودية في العراق في النصف الأول من القرن الماضي .

14. وأخيرا، على الرغم من الفائدة التي قدمتها الأليانس في رفع شأن التعليم اليهودي في العراق ألا أن الأمر لم يخل من بعض المؤشرات السلبية. ومن هذه المؤشرات كان الاستعانة بجهود بعض المعلمين اليهود من فلسطين ودول أخرى.و كان لذلك انعكاسات خطيرة بدأت بوادرها بانتشار الفكر الصهيوني في أوساط الطلبة اليهود في أواخر العقد الثالث من القرن الماضي . حيث شكل هؤلاء الطلبه القاعدة التي انطلق منها الفكر الصهيوني بين فئات أخرى من أبناء الطائفة اليهودية في العراق فيما بعد.

كما ساهمت الاليانس في اندماج اليهود العراقيين بالمجتمع العراقي، الامر الذي ساهم في اختفاء ظاهرة الجيتو او الانفصال الشخصي لليهودي عن بقية افراد المجتمع. وذلك يرجع الى الارتباط الوثيق بين مصالحه ومصالح الاخرين ، فكان لابد من الغاء كل القيود التي تحول دون الارتباط .

قائمة المصادر والمراجع:

الوثـــائق:

1. **الوثائق غير المنشورة:**

أ. الوثائق العراقية:

- ملفات وزارة المالية :

ملفة رقم 9/7/ع ، اسم الملفة (تأسيس شركات) ، السنة 1945 .

- ملفات وزارة المعارف:

ملفة رقم ة/167/12 ، اسم الملفة (المدارس الأجنبية)، السنة 1925.

ملفة رقم 1691/25/ق ، اسم الملفة (المدارس الأهلية)، السنة 1923.

- ملفات وزارة الداخلية:

ملفة رقم م/6/هـ /5 ، اسم الملفة (النادي التجاري العراقي).

- ملفات وزارة الأعلام :

ملفة رقم 54 ،اسم الملفة (المطابع اليهودية).

ب. الوثائق البريطانية:

- **ملفات وزارة الخارجية (foreign office)**

- F.O 195. 2308. 4817
- F.O 371. 346. 9948
- F.O 371. 348. 9199
- F.O 371. 560. 3717
- F.O 371. 1007. 2537

ج. الوثائق الأمريكية:

- **الأرشيف الوطني للولايات المتحدة(United States National Archive)**

-USNA, International Affairs of Iraq 1930 – 1944, Roll.2 and 7 .
-USNA, Iraq, Internal of Foreign Affairs 1945 – 1949, Roll. 2 and 9.

2- الوثائق المنشورة:

أ- الوثائق العثمانية:

- الدستور، ترجمة: نوفل أفندي نعمة ا نوفل، المجلد 1-2 ، بيروت، 1310 هـ .
- سالنامة نظارة المعارف العثمانية العمومية لسنة 1317 هـ / 1899 م .
- سالنامة نظارة المعارف العثمانية العمومية لسنة1324 هـ / 1906 م .
- سالنامة ولاية البصرة لسنة 1314 هـ / 1896 م .
- سالنامة ولاية بغداد لسنة 1292 هـ / 1875 م .
- سالنامة ولاية بغداد لسنة 1294 هـ / 1877 م .
- سالنامة ولاية بغداد لسنة 1299 هـ / 1881 م .
- سالنامة ولاية بغداد لسنة 1300 هـ / 1882 م .
- سالنامة ولاية بغداد لسنة 1301 هـ / 1883 م .
- سالنامة ولاية بغداد لسنة 1302 هـ / 1884 م .
- سالنامة ولاية بغداد لسنة 1305 هـ / 1887 م .
- سالنامة ولاية بغداد لسنة 1307 هـ / 1889 م .
- سالنامة ولاية بغداد لسنة 1309 هـ / 1891 م .
- سالنامة ولاية بغداد لسنة 1310 هـ / 1892 م .
- سالنامة ولاية بغداد لسنة 1311 هـ / 1893 م .
- سالنامة ولاية بغداد لسنة 1312 هـ / 1894 م .
- سالنامة ولاية بغداد لسنة 1313 هـ / 1895 م .
- سالنامة ولاية بغداد لسنة 1314 هـ / 1896 م .
- سالنامة ولاية بغداد لسنة 1315 هـ / 1897 م .
- سالنامة ولاية بغداد لسنة 1316 هـ / 1898 م .
- سالنامة ولاية بغداد لسنة 1317 هـ / 1899 م .
- سالنامة ولاية بغداد لسنة 1318 هـ / 1900 م .
- سالنامة ولاية بغداد لسنة 1319 هـ / 1901 م .

- سالنامة ولاية بغداد لسنة 1321 هـ / 1903 م .
- سالنامة ولاية بغداد لسنة 1323 هـ / 1905 م .
- سالنامة ولاية بغداد لسنة 1324 هـ / 1906 م .
- سالنامة ولاية بغداد لسنة 1325 هـ / 1907 م .
- سالنامة ولاية بغداد لسنة 1326 هـ / 1908 م .
- سالنامة ولاية بغداد لسنة 1327 هـ / 1909 م .
- سالنامة ولاية بغداد لسنة 1328 هـ / 1911 م .
- سالنامة ولاية بغداد لسنة 1329 هـ / 1913 م .

ب - الوثائق البريطانية :

- Review of The Reports on The Administration of The Basrah Viloy at from April To December 1917 .

ج. الوثائق العراقية :

الحكومة العراقية:

- دليل العراق الرسمي لسنة 1936 ، بغداد ، 1936 .

وزارة المعارف :

- التقرير السنوي عن سير المعارف لسنة 1925 / 1926 ، بغداد ، 1926 .
- التقرير السنوي عن سير المعارف لسنة 1926 / 1927 ، بغداد ، 1927 .
- التقرير السنوي عن سير المعارف لسنة 1927 / 1928 ، بغداد ، 1928 .
- التقرير السنوي عن سير المعارف لسنة 1928 / 1929 ، بغداد ، 1929 .
- التقرير السنوي عن سير المعارف لسنة 1929 / 1930 ، بغداد ، 1930 .
- التقرير السنوي عن سير المعارف لسنة 1930 / 1931 ، بغداد ، 1931 .
- التقرير السنوي عن سير المعارف لسنة 1931 / 1932 ، بغداد ، 1932 .
- التقرير السنوي عن سير المعارف لسنة 1932 / 1933 ، بغداد ، 1933 .
- التقرير السنوي عن سير المعارف لسنة 1933 / 1934 ، بغداد ، 1934 .
- التقرير السنوي عن سير المعارف لسنة 1944 / 1945 ، بغداد ، 1945 .
- التقرير السنوي عن سير المعارف لسنة 1945 / 1946 ، بغداد ، 1946 .
- التقرير السنوي عن سير المعارف لسنة 1946 / 1947 ، بغداد ، 1947 .
- التقرير السنوي عن سير المعارف لسنة 1947 / 1948 ، بغداد ، 1948 .

- التقرير السنوي عن سير المعارف لسنة 1948 / 1949 ، بغداد ، 1949 .
- التقرير السنوي عن سير المعارف لسنة 1949 / 1950 ، بغداد ، 1950 .
- التقرير السنوي عن سير المعارف لسنة 1950 / 1951 ، بغداد ، 1951 .
- مجموعة القوانين والأنظمة والتعليمات لوزارة المعارف،أعداد/محمود شهاب احمد واخرون، بغداد ، 1948 .

<u>وزارة الشؤون الاجتماعية :</u>

- مديرية النفوس العامة، إحصاء السكان لسنة 1947 ، بغداد، 1948 .

<u>غرفة تجارة بغداد :</u>

- التقرير السنوي لغرفة تجارة بغداد للعام 1937 / 1938 ، بغداد ، 1939 .

<u>رئاسة الطائفة اليهودية :</u>

- المجلس الجسماني الإسرائيلي (لجنة المدارس)، تقرير عن المدارس الأهلية الإسرائيلية لسنة 1950 ، بغداد ، 1950 .

<u>الحولية السنوية للاليانس الاسرائيلي العالمي :</u>

- Bulletin de A.I.U , No.37(1912) .
- Bulletin de A.I.U , NO.38(1913).

<u>الكتب العربيــة والمعربــة:</u>

- احمد سوسه، العرب واليهود في التاريخ، بيروت، 1975 ،ط4
- إبراهيم خليل احمد، الاستشراق والتبشير وصلتهما بالإمبريالية العالمية، القاهرة، 1973 .
- ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ، تطور التعليم الوطني في العراق 1869 – 1932 ، بغداد ، 1982 .
- إبراهيم الدروبي، البغداديون ... أخبارهم ومجالسهم ، بغداد ، 1958 .
- إسحاق دويتشر، اليهود اللايهودي ، ترجمة: ماهر الكيالي ، بيروت ، 1971 .
- إسماعيل راجي الفاروقي، الملل المعاصرة في الدين اليهودي، بيروت ، 1968 .
- البرت منتشاشيفلي، العراق في سنوات الانتداب البريطاني ، ترجمة/ هاشم صالح التكريتي، بغداد ، 1987 .

- الكسندر أداموف، ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها ، الجزء الأول، ترجمة: هاشم صالح التكريتي ، البصرة ، 1982 ، ط 2 .
- أمين عبد ا محمود، مشاريع الاستيطان اليهودي منذ قيام الثورة الفرنسية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى ، الكويت ، 1984 .
- أمين المميز، بغداد كما عرفتها ... شذرات من ذكريات ، بغداد ، 1985 .
- أنور شاؤول، قصة حياتي في وادي الرافدين ، القدس ، 1981 .
- بديعة أمين، المشكلة اليهودية والحركة الصهيونية، بيروت ، 1974، ط 1 .
- بيير دي فوصيل، الحياة في العراق منذ قرن1814–1914،ترجمة:اكرم فاضل، بغداد، 1968 .
- جعفر الخياط، صور من تاريخ العراق الحديث في العصور المظلمة، بغداد ، 1971 .
- جلال الحنفي، المغنون البغداديون والمقام العراقي، بغداد ، 1964 .
- جمس بكنغهام، رحلتي الى العراق ، ج 2، ترجمة: سليم طه التكريتي، بغداد ،1969 .
- جوزيف حجار، أوربا ومصير الشرق العربي ...حرب الاستعمار على محمد علي والنهضة العربية، ترجمة/ بطرس الحلاق وماجد نعمة ، بيروت ، 1976 .
- حاييم كوهين، النشاط الصهيوني في العراق ، ترجمة: مركزي الدراسات الفلسطينية(بغداد) والأبحاث الفلسطينية(بيروت)، بغداد ، 1973 .
- حسين محمد القهواتي، دور البصرة التجاري في الخليج العربي1869–1914،بغداد، 1980 .
- حنا بطاطو، العراق ...الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية في العهد العثماني حتى قيام الجمهورية في العراق ، الكتاب الأول ، ترجمة:عفيف الرزاز، بيروت ، 1992 ، ط1 .
- حنا خياط، الأقلية الدينية في العراق ، ج 1 ، بغداد ، 1939 .
- خلدون ناجي معروف، الأقلية اليهودية في العراق بين سنة1921و1952، ج1، بغداد،1975، ط 1 .
- ـــــــــــــ ، الأقلية اليهودية في العراق بين سنة 1921 و1952،ج 2 ، بغداد، 1975، ط 1 .
- داود سمره، مذكرات داود سمره ، بغداد ، 1953 .
- رشاد عبد ا الشامي، حول الشخصية اليهودية والروح العدوانية ، الكويت ، 1986 .
- رودريك ماثيوز ومتي عقراوي، التربية في الشرق الأوسط العربي ،
- ريجارد كوك ، بغداد مدينة السلام ، ترجمة: مصطفى جواد و فؤاد جميل ، ج 2 ، بغداد ، 1967 ، ط2 .
- زاهدة إبراهيم، دليل الجرائد والمجلات العراقية 1869 – 1978 ، الكويت ، 1982 .
- زكي صالح، مقدمة في دراسة العراق المعاصر، بغداد ، 1953 .

ـ ساطع الحصري ، البلاد العربية والدولة العثمانية ، بيروت ، 1965 .
ـ ـــــــــ ، مذكراتي في العراق 1921 – 1941 ، ج 1 ، بيروت ، 1967 ، ط 1 .
ـ ـــــــــ ، مذكراتي في العراق 1927 – 1941 ، ج 2 ، بيروت ، 1968 ، ط 1 .
ـ صبيحة الشيخ جواد، أول الطريق ، بغداد ، 1958 .
ـ ستيفن هيمسلي لونكريك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، ترجمة: جعفر الخياط ، بغداد، 1988 ، ط 7 .
ـ سليمان الصائغ، تاريخ الموصل ، ج 3 ، بيروت ، 1928 .
ـ سليمان فيضي، مذكرات سليمان فيضي في غمرة النضال ، بيروت ، 1974 ، ج 2 .
ـ شموئيل موريه، القصة القصيرة عند يهود العراق ، القدس ، 1981 .
ـ صالح زهر الدين، اليهود في تركيا 500 عام ، حلب ، 1996 .
ـ صالح فليح حسن، جغرافية التعليم الابتدائي في العراق ، بغداد، 1979 .
ـ طارق نافع الحمداني، ملامح سياسية وحضارية في تاريخ العراق الحديث والمعاصر، بيروت ، 1989، ط 1 .
ـ عباس بغدادي، بغداد في العشرينات ، بغداد ، 2000 ، ط1 .
ـ عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين ... العهد العثماني الثالث1831– 1872، ج 7 ، بغداد ، 1955 .
ـ ـــــــــ ، تاريخ العراق بين احتلالين... العهد العثماني الأخير 1872–1917، ج 8 ، بغداد ، 1955 .
ـ عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية ، ج1 ، بغداد ، 1986 .
ـ ـــــــــ ، تاريخ الصحافة العراقية، بيروت، 1983 .
ـ ـــــــــ ، ثورة النجف...بعد مقتل حاكمها الكابتن مارشـال، بغداد، 1982 ، ط5.
ـ عبد الرزاق الهلالي، تاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني 1738– 1917، بغداد،1959، ط1 .
ـ ـــــــــ ، تاريخ التعليم في العراق في عهد الاحتلال البريطاني1914-1921، بغداد ، 1975 ، ط1 .
ـ عبد العزيز سليمان نوار، تاريخ العراق الحديث ... من نهاية حكم داود باشا الى نهاية حكم مدحت باشا ، القاهرة ، 1968 .
ـ ـــــــــ ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، بيروت ، 1973 .
ـ عبد الكريم العلاف، بغداد القديمة ، بغداد ، 1960 .

- عبد ا عبد السلام القطشان، التعليم الخاص اليهودي والمسيحي والإسلامي 1920 – 1948 ، ج 2 ، عمان ، 1988 .
- عبد الوهاب المسيري، الاقليات اليهودية بين التجارة والادعاء القومي ، القاهرة ، 1975 .
- ـــــــــــ ، الأيديولوجية الصهيونية ... دراسة حالة في علم اجتماع المعرفه ، القسم الأول ، الكويت ، 1982 .
- عزيز جاسم الحجية، بغداديات ، بغداد ، 1967 .
- علي إبراهيم عبده وخيرية قاسميه ، يهود البلاد العربية ، بيروت ، 1971 .
- علي البازركان، فصول من تاريخ التربية والتعليم في العراق ... ذكريات ووثائق ، المجلد 2، تعليق: حسان علي البازركان، بغداد ، 1992 ، ط 1 .
- علي شاكر علي، تاريخ العراق في العهد العثماني الثاني 1638 – 1750 ... دراسة في أحواله السياسية ، بغداد ، 1985 .
- علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج 1 ، بغداد ، 1969 .
- ــــــــ ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج 4 ، بغداد ، 1969 .
- غانم سعيد العبيدي، التعليم الأهلي في العراق بمرحلتيه الابتدائي والثانوي...تطوره ومشكلاته ، بغداد ، 1970 .
- فاضل البراك، المدارس اليهودية والإيرانية في العراق...دراسة مقارنه، بغداد،1985،ط 2.
- فرتز غروبا،رجال ومراكز قوى في بلاد المشرق،ج1،ترجمة: فاروق الحريري، بغداد،1990.
- فخري الزبيدي ، بغداد من 1900 حتى سنة 1934 ، ج 1 ، بغداد ، 1990 .
- فرنسيس صائغيان ، تاريخ الأرمن الكاثوليك ، بيروت ، 1964 .
- فيصل محمد ألارحيم ، تطور العراق تحت حكم الاتحاديين 1908–1914، الموصل، 1975.
- كارل بروكلمان ، الأتراك العثمانيون وحضارتهم، ج4 ، ترجمة: نبيه أمين فارس ومنير بعلبكي، بيروت ، 1950 .
- ليدي درور، في بلاد الرافدين (صوروخواطر)، ترجمة/جعفر الخياط، بغداد ،1961، ط1.
- مأمون كيوان ، اليهود في الشرق الأوسط ... الخروج من الجيتو الجديد، عمان،1996،ط1 .
- مسارع حسن الراوي ، نحو استراتيجية جديدة للتعليم في العراق ، القاهرة ، 1974 .
- مس بيل، العراق في رسائل المس بيل ، ترجمة: جعفر الخياط ، بغداد، 1977 .
- مصطفى الخالدي وعمر فـروخ ، التبشيـر والاستعمار في البلاد العربية، بيروت،1970،ط4.
- محمد أنيس ، الدولة العثمانية والشرق العربي، القاهرة ، 1951 .
- محمد حسن ربيع ، المصارف ، بغداد ، 1948 .
- محمد عبد الرؤوف سليم ، تاريخ الحركة الصهيونية الحديث ،القسم الأول، القاهرة ، 1974 .

- محمد قدري لطفي ، دراسات في نظام التعليم ، القاهرة ، 1960 .
- مهنا يوسف حداد ، الرؤية العربية لليهودية ، الكويت ، 1989 ، ط1 .
- مير بصري، أعلام اليهود في العراق الحديث ، القدس ، 1983 .
- ميخال افيطبول وشالوم بر-أشير ويعقوب برناي ويوسف طوبي، اليهود في البلدان الإسلامية 1850–1950، ترجمة: جمال الرفاعي ، الكويت ، 1995 ، ط 1 .
- ملك سيف ، للتـاريخ لسان، بغـداد، 1983 .
- يهودا أطلس، حتى عمود الشنق ، ترجمة: حلمي عبد الكريم الزغبي ، بغداد ، 1977 .
- يعقوب يوسف كورية ، يهود العراق ... تاريخهم، أحوالهم وهجرتهم، بيروت، 1998، ط1.
- يوسف مئير،خلف الصحراء...قصة الحركة السرية الطلائعية في العراق،ترجمة: حلمي عبد الكريم الزغبي، بغداد،1976 .
- يوسف رزق ا   غنيمة، نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق ، لندن ، 1997 ، ط2 .
- ي . سندلير، يهود إيران ، الكويت ، 1979 .
- ي. توجمان، الموسيقى الفنية المعاصرة في العراق ، لندن ، 1978 ، ط1 .
- هاشم صالح التكريتي، المسألة الشرقية (المرحلة الأولى 1772– 1856)، بغداد ، 1990 .
- وليد ألاعظمي، مدرسة الأمام أبى حنيفة...تاريخها وتراجم شيوخها ومدرسيها 459 –1400 ، بغداد ، 1985 .

الكتـب الاجنبيـة :

1-الإنكليزية :

- Abbas shiblak ,the lure of zion the case of the iraqi jews , london, 1985 .
- Abraham leon sachar , ahistory of the jews , newyork , 1939 .
- Bernard lewis , the jews of islam , new jersey , 1984 .
- ---------------- , the emergence of modern turkey , london ,1962 .
- David solomon sassoon ,ahistory of the jews in baghdad , leteh worth, 1949.
- Hayyim cohen , the jews of middle east 1860 – 1972 ,jerusalem , 1972 .
- John ussher , journey from london to perrepolis , london, 1865 .
- Marion woolfson , proptets in babylon …jews in the arab world, london , 1980 .

- Michael r.marrus, the politics of assimilation … astudy of the french jewish community at the time of the dreyfus affair, oxford, 1971 .
- Nissim rejwan ,the jews of iraq 3000 years of history and culture, london, 1985 .
- Walter laqueur , ahistory of zionism , london, 1972 .
- Shmuel moreh , short stories by jewish writers from iraq 1924 – 1976, jeursalem , 1981 .
- Zvi yehuda , jewish schools in baghdd 1832 – 1974 , tel-aviv , 1996 .

2-الفرنسيـة :

- Narcess leven , cinquante ans dhistoire lalliance israélite universelle 1860 – 1910 ,tome premier, paris, 1910 .
- ---------------- , cinquante ans dhistoire lalliance israélite universelle 1911 – 1920, tome 2 , paris , 1920 .

3-التركيـ ـة :

- Osman ergin, turkiy maarif tarihi , cild :1 – 2, istanbul,1977 .
- Polat haydaroglu, osmanli imparatorlugnda yabanei okullar , ankara, 1990 .

4-العبريـ ـة:

- أبراهام بن يعقوب، موجز تاريخ يهود بابل من بدايتهم وحتى اليوم، القدس، 1971 .
- افاريم نيمارق، رحلـة الى بلاد الشرق، طبعة مزيدة ومنقحة بقلم ابراهام يعـ ري، القدس، 1947.
- شموئيل اطنيغر ، تاريخ اليهود في العصر الحديث، تل ابيب ، 1969 .
- شمعون دوفنوف ، تاريخ اليهود ، تل ابيب ، 1969 .
- يحزقيل يفتح ، التعليم اليهودي في العراق خلال الاجيال الاخيرة ، يافا ، 1984 ، ط2 .
- يحييل هلبرين ، الثورة اليهودية ، تل ابيب ، 1961 .

البحـوث والدراسـات:

- إبراهيم خليل احمد، حركة التعليم والتربية، بحث في كتاب (حضارة العراق) ، ج 11، بغداد ، 1985 .
- احمد سوسه، لمحات من تاريخ يهود العراق ، مجلة مركز الدراسات الفلسطينية، العدد 4 ، السنة 1975 ، بغداد .
- حامد مصطفى، مدد الصهيونية من الأوقاف العراقية ، مجلة أفاق عربية ، العدد9 ، السنة 1978 ، بغداد .
- جعفر عباس حميدي، الحركة الصهيونية في العراق 1921– 1952 ، مجلة الأمن القومي، العدد 4 ، السنة 1978 ، بغداد .
- خلدون ناجي معروف، جوانب من التعليم اليهودي ببغداد ، مجلة مركز الدراسات الفلسطينية ، العدد 8 ، السنة 1976 ، بغداد .
- ــــــــــــــ ، لمحات عن يهود العراق في العهد العثماني، مجلة مركز الدراسات الفلسطينية، العدد 4 ، السنة 1973 ، بغداد .
- سامي عبد الحافظ القيسي، النشاط الصهيوني في العراق1941– 1943، مجلة الأمن القومي، العدد 1 ، السنة 1988 ،بغداد .
- شريف يوسف، مدارس الاتحاد الإسرائيلي الأليانس في العراق وارتباطاتها بالحركة الصهيونية، مجلة أفاق عربية، العدد 5 ، السنة 1981 ، بغداد .
- شفيق جحا، التنظيمات او حركة الإصلاح في الإمبراطورية العثمانية 1856 – 1876 ، مجلة الأبحاث، الجزء 2 (حزيران/ جوان)، السنة 1965 ، بيروت .
- عبد الرزاق الهلالي، حقائق وطرائف من تاريخ التعليم في العراق ، مجلة أفاق عربية ، العدد 11 ، السنة 1978، بغداد .
- ــــــــــــــ ، لمحات تاريخية عن الدراسة العلميـة في الخارج، مجلة أفاق عربية، العدد 1، السنة 1979 ، بغداد .
- عبد الوهاب عباس القيسي، حركة الإصلاح في الدولة العثمانية وتأثيرها في العراق 1839–1877 ، مجلة كلية الآداب/جامعة بغداد ، العدد 3 ، السنة 1961 ، بغداد .
- علي عبد القادر العبيدي ، موقف بريطانيا من النشاط الصهيوني في العراق خلال فترة الانتداب البريطاني 1920 – 1932 ، مجلة دراسات تاريخية، العدد 2 ، السنة 1999 ، بغداد .
- ــــــــــــــ ، أضواء على المحاولات اليهودية لاستيطان العراق أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين (دراسة تاريخية) ، مجلة دراسات في التاريخ والتراث، العدد 6 ، السنة 2001 ،بغداد .

- فيصل السامر وعلي الوردي، اليهود العراقيون ... لمحات تاريخية ، مجلة مركز الدراسات الفلسطينية ، العدد 22 ، السنة 1977 ، بغداد .
- قيس عبد الحسين الياسري، مجلة المصباح ودورها الصهيوني في العراق، ملحق صحيفة الجمهورية في 7 آذار/مارس 1978 ، بغداد .
- هشام فوزي عبد العزيز ، الطائفة اليهودية في العراق1860–1914، المجلة العربية للدراسات العثمانية، العددان 1 – 2 ، السنة 1990 ، تونس.
- يوسف عز الدين، مكان المرأة العراقية وتعليمها في القرن التاسع عشر، مجلة المعلم الجديد، ج 1– 2، أيلول/ستمبر 1953 ، السنة 17 ، بغداد .
- مير بصري ، الطائفة الإسرائيلية(الموسوية) في العراق ، بحث منشور في كتاب نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق ، لندن، 1997 .

البحوث والمقالات الأجنبية :

- Elie Kedourie , The Alliance Israélite Universelle 1860 – 1960; Jewish Journal Sociology , no.4 , 1967 , London .
- ---------------- , The Jews Of Baghdad In 1910 ; Middle Eastern Stuties , vol. 7, no.3 , October 1971, London .
- Sylvia Haim , A Spects of Jewish Life in Baghdad Under The Monarchy ; Middle Eastern Stuties , vol.13, no.2 , May1976, London .
- Poul Dumont , Jewish Communitis in Turkey During The Last Decodes of the Nineteenth Century in The Light of The Archives of Alliance Israélite Universelle ; in book : b. Barude and b. Lewis , Christians and Jews in The Ottoman Empire , vol.1, London , 1985 .
- Walid Khadduri , The jews of Iraq in The Nineteenth Century : A Case Study of Social Marmony; in Book : Zionis Imperialism and Racism , London, 1979 .

الرسائل الجامعية :

1. العربيــة :

- أنعام مهدي علي السلمان ، اثر هنري دوبس في السياسة العراقية، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب /جامعة بغداد ، 1997 .

- باسم حمزة عباس ، تاريخ التربية والتعليم في البصرة 1921 – 1958 ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب /جامعة البصرة ، 1992 .
- بدر مصطفى عباس، الحياة التعليمية في ولاية بغداد1869–1909،رسالة دكتوراه غيرمنشورة ، كلية الآداب /جامعة الموصل ، 1997 .
- حميد حمدان التميمي، البصرة في ظل الاحتلال البريطاني1914–1921، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب /جامعة بغداد ، 1975 .
- جاسم محمد هادي القيسي، أحوال العراق الاقتصادية والاجتماعية1831–1869،رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب /جامعة بغداد ،1985 .
- جميل موسى النجار، التعليم الحديث في العراق 1869–1918...دراسة في ظروف النشأة وابعاد الانتشار، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب /جامعة القاهرة ، 1986 .
- صالح محمد حاتم عبد ا ، تطور التعليم في العـراق1945–1958، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب /جامعة بغداد ، 1994 .
- سلامة حسين كاظم، التبشير في العراق ... وسائله ... أهدافه ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الشريعة/جامعة بغداد ، 1985 .
- عبد الباسط عبد الصمد احمد الشاوي ، الغزو الأوربي للفكر العربي الإسلامي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الشريعة /جامعة بغداد ، 1987 .
- عماد عبد السلام رؤوف ، الحياة الاجتماعية في العراق أبان عهد المماليك1749–1831، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب /جامعة القاهرة ، 1976 .
- غانم وحيد خالد الجبوري ، أثر المثقفين العرب في تطور العراق المعاصر1921–1941 ، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الموصل / كلية الآداب ، 1995 .
- ياسين شهاب شكري، ولاية بغداد1872–1909... دراسة في أوضاعها الإدارية والاقتصادية ، رسالة ماجستير غير منشوره ، كلية الآداب /جامعة الموصل ، 1994 .

2. **الاجنبيـة :**

- Abdul Wahab Abbas Al-Qaysi , The Impact of Modernization on Iraq society During The Ottoman Era : A Study of Intellectual Development in Iraq 1869 – 1917, PH.D Thesis , Mischigan University , 1958 .
- Monaf n .abdul –ghani , iraqi school of modern hebrew writers in israel , athesis master of arts , University of manchester , 1982 .

الموسوعـات :

1. **العربية :**

- افرايم ومناحيم تلمي، معجم المصطلحات الصهيونية ، ترجمة:احمد بركات العجرمي، عمان ، 1988 ، ط 1 .
- عبد الوهاب المسيري وسوسن حسين، موسوعة المصطلحات والمفاهيم الصهيونية (رؤية نقدية)، القاهرة ، 1974 .
- عاطف غيث ، قاموس علم الاجتماع ، القاهرة ، 1979 .

2. **العبرية :**

- الموسوعة اليهودية ، الجزء الاول ، القدس ، 1970 .

3. **الإنكليزية :**

- The Encyclopedia americana ,vol. 16 , washington , 1962 .
- Encyclopedia internactional , vol.10 , canada, 1968 .
- Encyclopedia of zionism and israel , vol. 1 , newyork , 1971 .
- The new jewish Encyclopedia , Jerusalem , 1977 .
- The Jewish Encyclopedia , vol. 1 , Jerusalem, 1965 .
- Encyclopaedia judaica , vol.4 and 8 , Jerusalem , 1971 .

الانترنيت (The Internet)

- Arie Elias, Jews of Iraq, Irecent Generation ... The Jewish Theater in Baghdad.
  www.babylonjewry.org.it/news/images/linee.gif
- Anna Dangoor,From Baghdad to Boardroom my Familys Odyssey.
  www.dangoor.com/71060.html.
- Daniel khazzoom, aman ahea of his time,
  www.Nosank.net/khazzoom.html.
- Eliezer c.abrahamson, the ben ishchai-chacham yosef haim,
  www.epipo.com/index.asp.
- Sara manasseh, aspect of babylonian jewish life in iraq and india during the 19th centures.
  www.midrash .org /babylonian/news letters/archi09/page 2.html.
- Sara manasseh, the midrash ben ishhai

www.midrash .org /babylonian/news letters/archi09/page3.html.
- Shmuel moreh, atribute to elie kedourie
  www.dangoor.com/75033.html.
- Yitzhak avishur, jews of iraq in recent generations…synagogues in babylon.
  www.baz.org/iraqijews.html.
- The encyclopaedia judaca, judaaism in kurdistan.
  www.kurdwcb.humanights.de/kco /index.html.
- Rachel mahlab- goren, the lafe jacob mahlab.
  www.dangoor.com/page22.html.
- Mid-19th century ottoman reforms.
  www.angelfire.com/int/giyamesh/19th.html.
- Why we donet need modern orthedoxy or any other orthedoxy .
  www.sphadiccafe.com/ orthedoxy.html.
- Yosef meir, al-tawarat… baghdad neighborhood.
  www.babylonjewry.org/il/news/english/nehnradea/10/my.html.
- Gabbay sashon, hakham shimon agassi zt1.
  www.dangoor.com/73page58.html.
- David dangoor, babylonian jewry.
  www.dangoor. com/74022.html.
- Levi hakak, in memoriam dr.abraham katan.
  www.bsz.org/iraqijewery.html.
- Leon Barkha,Jewish Presence in Iarq is Dying.
  www.desnews.com/egi-bin/libstory-rey/da98.html.
- Moshe gat, the socio- economic patterns of iraqi jewry in twenty century.
  www.jcpaa/jpabap 98.html .
- Shanl sehayik, armenian genocide.
  www.dangoor.com/page24.html.
- Shlomo bakhash, jews of iraq … a will to survive.
  www.bgeny.org/our.html.
- Hayyim v.hobbousha, he farthud.
  www.midrash.org/articles.html.
- Aziz al-haj, baghdad in former time.
  www.dangoor.com/71014.html.
- The jews of kolkata.
  www.india profilc.com/people/calcutta- jews.html.
- Pamela Shabi, The Late Daisy.
  www.dangoor.com/page72.html.

الصحف والمجـلات :

1. **الصحـف :**

ـ صحيفة الاتحاد الدستوري (بغداد) ، 1951/3/23 .
ـ صحيفة الاخاء الوطني (بغداد) 1932/6/27 .
ـ صحيفة الاستقلال (بغداد) 1929/2/28 .
ـ صحيفة الزوراء (بغداد) 20 صفر 1291 هـ / 1874 .
ـ صحيفة الزمان (بغداد) 1951/3/12 .
ـ صحيفة العالم العربي (بغداد) 1926/1/5 .
1926/6/8 .
1926/6/10 .
1927/11/25 .
1927/10/3 .
1951/3/14 .
ـ صحيفة العـــــراق (بغداد) 1924/9/12 .
1924/11/7 .
1929/12/30 .
1950/5/13 .
ـ صحيفة المفيـــــد (بغداد) 1922/4/15 .
1922/4/17 .
ـ صحيفة كل العـرب (بغداد) 1/21/ 1918 .
ـ جريدة الوقائع العراقية (بغداد) 3/11/ 1926 .
1926/3/31 .
ـ صحيفة البـــــلاد (بغداد) 1930/7/14 .
7/20/ 1930 .

2. **المجلات :**

ـ مجلة الحاصد (بغداد) العدد 13 ، السنة 1932 .
العدد 49 ، السنة 1932 .
ـ مجلة لغة العرب (بغداد) الجزء 6 ، السنة 1912 .
الجزء 9 ، السنة 1912 .

ـ مجلة غرفة تجارة بغداد (بغداد) العدد 3 ، السنة (الأولى) 1938 .

ـ مجلة المصباح(بغداد) العدد 4 في 1924/5/1 .
العدد 8 في 1924/5/29 .
العدد 11 في 1924/6/19 .
العدد 21 في 1924/8/8 .
العدد 22 في 1924/8/15 .
العدد 23 في 1924/8/22
العدد 24 في 81924/29 .
العدد 25 في 1924/9/5 .
العدد 29 في 1924/10/3 .
العدد 30 في 1924/11/3 .
العدد 31 في 1924/11/10
العدد 32 في 1924/11/17 .
العدد 35 في 1925/12/8 .
العدد 38 في 1925/12/29 .
العدد 41 في 1925/3/12 .
العدد 44 في 1925/4/2 .
العدد 52 في 1925/5/29 .
العدد 53 في 1925/6/5 .
العدد 60 في 1925/7/24 .
العدد 63 في 1925/8/14 .
العدد 64 في 1925/8/21 .
العدد 65 في 1925/8/29 .
العدد 71 في 1925/10/9 .
العدد 74 في 1925/10/30 .
العدد 75 في 1925/11/7 .
العدد 77 في 1925/11/14 .
العدد 79 في 1925/11/21 .
العدد 95 في 1926/4/22 .

العدد 101 في 1926/9/10 .

العدد 102 في 1926/6/17 .

العدد 107 في 1926/10/22 .

المقابلات الشخصية :

- مجموعة مقابلات مع السيد توفيق شاؤول سوفير (بغداد)

2001 /7/23 .

2001/7/ 27 .

2001/ 8/ 4 .

- مقابلة مع الشيخ جلال الحنفي (بغداد) في 2001/5/17 .
- مقابلة مع رئيس الطائفة الموسوية في بغداد 2001/7/3 .
- مقابلة مع الأستاذ المحامي نعيم شهرباني (بغداد) في 2001/4/24 .
- مقابلة مع الحاج محمد حسين ألاعرجي (الموصل) في 2001/4/16 .

لماذا يستهدفون العراق

الدكتور علي العبيدي

جامعة الجزائر/معهد التاريخ

أن فهم موضوعي ودقيق لحقيقة العدوان الذي تخطط له الولايات المتحدة الأمريكية وتابعتها بريطانيا، من خلال تجيش الجيوش له عبر انتزاع غطاء دولي يصدره مجلس(الحرب) الدولي، يستدعي تتبع المخطط الانكلوسكسوني في ضرب الإرادة العربية وتشتيت قدراتها، والذي تعاقبت على تنفيذه بريطانيا،من قبل، والولايات المتحدة الآن .فنظرة سريعه لمراحل تنفيذ هذا المخطط ، نلاحظ أن الأمة العربية شهدت تحديات عدة ، بدأت بالتغلغل الاقتصادي والثقافي مرورا بالسيطرة الكولنيالية مع نهاية الحرب العالمية الاولى، لتنتقل بعد ذلك الى صفحة الحرب النفسية ، أن صح التعبير، عبر جر الإنسان العربي الى حافت الهاوية واليأس من الواقع المعاش ، وإظهار النموذج الغربي هو الملاذ الذي يمكن ان يخلصه مما هو عليه معتمدة في ذلك على العناصر الرجعية والمنتفعة التي ربطت نفسها بالأجنبي. وهدفها من وراء ذلك محاربة شيوع الفكر الثوري التحرري في صفوف القوى الوطنية العربية، فلم تنفع الخطوة التي أقدمت عليها القوى الاستعمار في محاولتها لقتل هذه الروح وخنقها بقيود الفشل والهزيمة، وان أناخت بعض الأنظمة واستسلمت أخرى ، ولكن بقية قلة قليلة صمدت وتحدت الواقع العربي المزري ، وفي مقدمتها العراق .

لقد تمكن العراق، بعد ثورة17 تموز1968 وحصوله على استقلاله الوطني، من العمل على توظيف كل المقومات التي تعيد للإنسان العربي مكانته ، و تمكنه من مواجهة التحديات التي تواجهها الأمة العربية . فشرع العراق في عملية تغيير شامل لحياة الإنسان العراقي من كل الجوانب بما يمكنه من الاستجابة للمتغيرات التي يشهدها العالم، أضف الى ذلك أعلن العراق عن توظيف كل قدراته في خدمة القضايا القومية ، وفي مقدمتها القضية المركزية فلسطين، وطرحه المنطقي هذا جعله محط اهتمام وتربص الطامعين . وهذا ما أدركه العراق مليا، ألا أن ذلك لم يحول دون المضي في تجربته الفريدة التي أراد من خلالها استعادت دوره الحضاري يوم كانت بغداد في مرحله من مراحل البناء الحضاري تشكل عاصمة الدنيا ، يوم كان العرب المسلمين يمسكون بزمام العلم والأيمان . وبهذه الإرادة العظيمة التي حملتها قيادة العراق من النجاح من الانفلات من طوق الحصار العلمي والفكري المضروب من جانب الدول الغربية ، ليس على الدول العربية فحسب، بل على دول العالم الثالث برمتها. وبطبيعة الحال شكل ذلك خطر يهدد مصالح الغرب وأطماعه في منطقتنا العربية ، ولابد من وقفه .

لقد تمكن العراق بامتلاكه استقلاله الوطني وسيطرته على ثرواته من بناء قاعدة علمية توفرت على كل أسباب التنمية الحقيقية ، الى جانب بنائه القدرة العسكرية المتطورة والحديثة التي تمكنه من الحافظ على منجزاته التي حققها، فضلا عن الإخلال بموازين التفوق الصهيوني التي كانت تتبجح به.وعبر هذا العمل الطويل، تمكن العراق من أن يقدم نموذج حضاري يزاوج الماضي بتراثه وجذوره، والانفتاح على العصر ومنجزاته العلمية. وهو ما جعله مثال يحتذي به عربيا وعالميا .ويكفي العراق فخرا من انه تمكن في أواخر العقد الثامن من القرن الماضي من القضاء على الأمية بشكل تام وهو ما لم تحققه حتى بعض الدول الأوربية بلا مبالغه .

أذن ، كان لهذا الخروج من دائرة الهيمنة والابتزاز ضربة لم تتقبلها القوى الاستعمارية ، وانما وجدت في العراق الخطر الذي يهدد مصالحها ويخلط الأوراق عليها . فكان قرارها لابد من وقفه بشتى السبل، وعلى اثر ذلك بدأت المؤامرة التي أخذت اوجه عدة . وكان وجهها الأول الحرب التي فرضتها إيران ، والتي خاضها العراق مجبرا لمواجهة تحدي تصدير الثورة ، عام 1980 .و أرادوا من خلال هذه الحرب أضعاف إمكانيات العراق عسكريا وعلميا عبر استنزاف قدراته المادية بما يعرقل من مراحل النمو الطبيعي كان يشهدها قبل الحرب، و أشغاله عن القضية المركزية فلسطين،فكان التحالف الإيراني الأمريكي الصهيوني الذي فضحته الكثير من الوقائع والدلائل ، التي لا داعي لذكرها الآن. ولكن آمالهم خابت ، عندما فوجئوا بالصمود الرائع والانتصارات الكبيرة التي حققها العراق في المعركة. والتي انتهت في الثامن من آب عام 1988

بانتصار كبير أعطى للعراق دفعا جديدا في مواجهة التحديات التي تعيق الأمة من اخذ دورها الحقيقي في البناء الإنساني . وإزاء هذا الفشل في النيل من قدرات العراق في الحرب مع إيران ، بدأت القوى الاستعمارية بصفحة أخرى متداخلة مع السابقة عندما أوعزت ، للاسف، لبعض ممن ادعوا العروبة لإغراق السوق العلمية بكميات من النفط تجاوزت احتياجاته مما أدى الى انهيار السوق النفط العالمي ، وذلك بهدف الأضرار بمصالح العراق كون النفط كان يشكل المورد الأساس للعراق في تعزيز صموده وبناء قاعدته الحضارية. وكلنا يذكر الرؤية التي تعامل بها القائد صدام حسين (حفظه ا ورعاه) عندما حذر هذه الأطراف في مؤتمر القمة العربية في بغداد، بقوله (قطع الأعناق ولا قطع الأرزاق) حيث ذكر هولاء من أن تركيع العراق لا ينصب في مصلحة الأمة العربية ، وان الإصرار على النهج قد يودي الى نتائج غير محمودة .